

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير: طه حسين

فهرست

٩	المعذبون في الأرض — صفاء (قصة) ..	طه حسين
٣٧	بين هولندية وأندونيسيا	محمد رفعت
٣٥	الحج ... إلى شلالات نياجارا	محمود تيمور
٤٤	على قبر بتهوفن	حسين فوزي
٥٢	قبل أن يبدأ التاريخ في مصر	سليمان حزين
٦٢	رحلة في اليونان عام ١٩٤٧	برنار جويون
٧٤	حلم	حسن محمود
٧٩	الظلال في الأدب	بشر فارس
	تاسيتوس المؤرخ الروماني ورأى	على أدهم
٩١	نابليون فيه	
١٠٠	الشعر الذي أريد (قصيدة)	على الخطيب
١٠٣	نحن خمسة في هذا العالم	سلامة موسى
١١٠	الحبيبية في الغزل العربي	نجيب العقيلي

شهرية السياسة الدولية — شهرية المسرح
شهرية السينما — من كتب الشرق والغرب — من وراء البحار
ظهر حديثاً — في مجلات الشرق — في مجلات الغرب



Univ.-Bibl.
Bamberg

تصدرها دار الكاتب المصري
شركة سامية مستندة
القاهرة

اتفاقية



سوپر سٹیل

Superstyl

بایکار
القلم الذي
لا يبارى

توزيع في المحلات الكبرى
العدد : الكاتب المصري ش.م.م

كتاب

البخلاء

للجاحظ

حق نصه وعلق عليه

طه الحناجري

مدرس الادب العربي بجامعة فاروق الاول

٥١ + ٤٦٨ صفحة ، الثمن ١٠٠ قرشاً

البريد المسجل ٩٦ ملياً
واللخارج ١٠٨ ملياً



ظهر حديثاً

عبد العزيز البشري

قطوف

مقدمة لط مسين

هي الأدب كل الأدب ، وهي الفن كل الفن ،
وهي الكلام الذي يجمع إلى رصانة الأدب
القديم وجزالته خصب الأدب الحديث وثروته

طبعة في جزاين ، ثمن الجزء ٢٠ قرشاً

البريد للجزاين ٢٨ مليا



ظهر حديثاً

محمد الصادق حسين

البيت السبكي

بيت علم في دولتي الممالك

« وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق
لا يقدر أحد يرد علي هذه الكلمة . »
« الفلاح حر لا يد لآدمي عليه . »
تاج الدين السبكي

٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً

البريد ٢٠ سلما



ظهر حديثاً

سلامه موسى

تربية سلامه موسى

العالم طيب . . . إلى أبارك على الحياة .
رامبو

تاريخ حياة المؤلف باعتبار أن الحياة تربية
وتاريخ مصر في تطورها وانتقالها من
القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين

٢٩٢ صفحة ، ألثمن ٢٥ قرشاً

البريد : ٢ ملها



ظهر حديثاً

هنري برجسون

الضحك

بحث في دلالة المضحك

تعريب سامي الدروبي و عبد الله عبد الواسع

كتاب وضعه الفيلسوف الفرنسي الكبير
هنري برجسون يدرس فيه الضحك
كظاهرة نفسية والمضحك وأنواعه المتعددة

١٣٦ صفحة ، الثمن ١٥ قرشاً

البريد ١٣ ملياً



ظهر حديثاً

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين
سكرتير التحرير : حسن محمود

تصدر مجلة الكاتب المصري في أول كل شهر عن دار الكاتب المصري ، شركة مساهمة مصرية ، ونطبع بنطبتها ،

الاشتراك

١٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان ،
١٢٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يعادلها .
يدفع الاشتراك مقدماً باسم دار الكاتب المصري . لا تقبل الاشتراكات لأقل من سنة كاملة .

نمن العدد بمصر : ١٠ فروش

مجلة الكاتب المصري تصق بكل ما يرد إليها من المقالات والرسائل ولكنها لا تلزم نصحها ولا ردها

إدارة الكاتب المصري

• شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

تليفون التحرير : ٤٩٢٥٤

الإدارة : ٤٥٠٣٤-٤٧٨١٥-٤٢٧٣



AL KATEB EL MASRI

Monthly literary magazine published
by LE SCRIBE EGYPTIEN S.A.E.

5 Kantaret el Dekka Street
Cairo (Egypt)

Editor-in-chief : Taha Hussein

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري

الكتاب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير
طه حسين

مجلد ٨



القاهرة ١٩٤٨

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري ١٩٤٨



المعذبون في الأرض

صفاء

كان ذلك ممكناً في تلك الأيام السود ، فالآن فقد سر الله الأمور ، وأوح لنا أن نخرج من ظلمة البؤس واستقاء ، في نور النعيم والرخاء ، فليست أحب أن أخوض ، ولا أن غوضي في هذا الحديث ، وهمت حينئذ أن شكك وسكن ابنها نصيلاً أعرض عنها بوحه ، وبأى عنها بجانه ، وأسعل سجاريه في سبي من أنفه ، ومنخر في شيء من كبره ، ومشي أمامه فترك الحجرة ورك الدار كأنه لم يخل فيهم أحداً ، وضلت حينئذ صابرة مبهومة ، ثم كسبت دموعاً كانت تريد أن تسيل ، ثم حزمت أسرها وقدرت في نفسها أن تراجع أمها في هذا الحديث ، ومنهضت فأقبلت على أعمال الدار كأن لم يكن بينها وبين ابنها شيء .

وقد استوفيت في أمي ما ينبغي أن يسوقه الكاتب حين يريد أن يستأنف قصة ختيه أو بسيره ، فأنقبت إلى القراء هذه الجملة الغامضة التي لا يذكر فيها الفاعل ، ولا المبتدأ إلا متأخراً ، لأثير في نفوسهم هذه العراة التي تدعو إلى الاستطلاع ، ثم ذكرت بعد هذه الجملة اسم حينئذ وأبها نصيف لتزداد حاجة القراء إلى هذا الاستطلاع ، ثم فرقت بين الأم وابنها على هذا النحو الغريب لمريب ؛ فبينهما حديث لا يريد الفتى أن يتصل وعرض الأم على أن يتصل . وهذا الحديث يمس الداعي المنكر الذي خرجت منه الأسره ، ويريد الفتى أن تنساه ، وتريد الأم أن تفي له وتحرص عليه .

وأبده ذلك أنها تكفكف الدمع ، وتقدر في نفسها أنها ستعود إلى الخوض فيه متى لقيت ابنها حين يقبل المساء ، أو حين سفر الصباح . وأكبر الطن أنها تؤثر أن تتحدث إلى ابنها في أول النهار حين يجلس إلى فضوره هادي النفس مستريح الجسم فارح البال ، لم ينكف من أعمال يومه الجديده سداً . ولم يسح له بعد أن يذكر من أعمال أسسه التقسيمه شيئاً . ذلك خير من التحرب إليه في المساء ؛ فهي فلما تخلو إليه في المساء لأنه يروح إلى داره محلاً ، فيصطب شيئاً من طعام مع الأسرة ريثما ، ثم ينصرف عنها عجباً لشيء أرايد وأعجبه . فيسمر معهم سقراً من الليل ، ويعود وقد تساقط له وجهه على الأسرة كلها فأغرقها في سبات عميق .

ومن حين انقضى بعد غد وجد أن عرف حسنه ونصف ، وشعره حسنه ونصف . وبعد الماضي انقضى الذي يكره الحى أن يسبق منه شيئاً . وتحرص الأم على أن تستبقى منه بعض الأشياء .

وسب أدبه أن أودى للقارى حقه هذا إن قبل أن ينتقل معي في الزمان ونحو جمع . وما أطلب إليه أن يسر معي إلى زمان مسرف في السمر ، أو إلى مكان مسرف في السعد ، وإنما أريد أن تعود إلى أول عهد العرن ، وأن يترك القاهرة في مسه من بين الأقاليم في مصر عوسقني . فقد ينبغي لكل قصة أن يكون لأحداثها ، ومن كان يحاربها الكاتب ، أو تخارجه الأحداث نفسها . والشيء الذي أؤدبه للقارى هو أني - أحتر ولم أكن أستطيع أن أخار زمان هذه القصة ومكانها ، كما أني لم أختر ولم أكن أستطيع أن أختار أشخاص هذه القصة وأحداثها . وإنما اختار طبعه الأساء هؤلاء الأشخاص ، وأجرب طبيعة الأساء عليهم ما أجرب من الأحداث ، وأرادت أن يكون هذا في آخر القرن الماضي وأول هذا العرن ، وأن أشهد القصة ، وأماز بها أحد النابر وأعجمه ، وأن أدحرها في نسي لشيء لم أكن أعرفه حين شهدت القصة وادخرتها ، وقد أخذت أعرفه الآن حين بدأت أملئ هذا الحدث . فأنا إنما نهبت القصة وادخرتها لأحدث بها إلى قراء هذه المجلة ، بعد أن مضى على أحداثها ما يقرب من نصف قرن .

بل أكاد أطلع بأن لم أختر ، ولم أكن أستطيع أن أختار أن أتخذ هذه القصة موضوعاً هذا الحدث ، وإنما هي لتي اختارني لتصل من طريق إلى

القراء . وسمت أستطع أن أبين لذلك سبباً ؛ لأننى لا أستطيع ، والقرى نفسه لا يستطيع ، أن أسأل القصة عن السبب لذى من أجله احتارت أن تذاع فى هذه الأيام ، والذى من أجله اختارت أن تذاع من طرفى أنا ، ومن طريق هذه المجلة التى أكتب فيها .

وإنما أرى أنى قد فرغت أياماً وأياماً ، موضوع من موضوعات الأدب الفرنسى . وجعلت أدرسه وأستقصيه لأخذه موضوعاً لهذا الحديث ، وبعثت من ذلك أكثر ما كتب أريد ، إن م' كن بعث كل ما كنت أريد ، وجست إلى صاحبي لأمنى عليه ما قدرت إملاءه . ولكن صاحبي لا يسمع منى حديث عن منى يتصل بالأدب الفرنسى من قريب أو بعد ، وإنما يسمع منى بدء هذا الحديث ويهم أن يرجعنى ، كما هم حينئذ أن تراجع نصفاً . ولكنى أعرض عنه بوجهي ، وأبأى عنه بجانبي ، وأسعل سيجارتي فى منى من حزم ، وأمنى فى الإملاء فمضى هو فى الكتابة ، ويظهر أمامى أشخاص هذه القصة مزدهرين أسد الارواح ، ملجبن أعظم الاحاح ، كلهم يريد أن يسبى منى من هذا الحديث . كأنما طال عليهم النوم حتى سئموا ، وتقل عليهم الشيطان حتى خافوا به ؛ فهم يريدون أن يستيقظوا ، وهم يريدون أن أدكرهم أنا وأن ينكرهم القراء . وأن يستردوا بسك شيئاً من حياه ، وإن ذاب حينئذ بسك الأولى لأهون وأسى من أن يفكر فيب أصحابها ، ومن أن يعرضوا على أن يستردوا منها نصيباً قليلاً أو كثيراً .

وهؤلاء الأشخاص الذين يرون بعض الكثرة ؛ فلا بد من أن أصطنع شيئاً من انتقام لحزم لأرددهم إلى بعض القصة ، ولأشهرهم فى أما ذبهم انقسامه لهم من هذا الحديث . وأما ذبهم هذه لم أفسمها أ لهم . وإنما قسمها لهم حينئذ لأولى نفسها . فهم يؤلفون أسرين فبطنة من أسر الريف ، كاسا بعسان مجاورتين ، قد أنشأ الجوار بينهما ، ينشئ عاده بين الجيران من لودة والإلف . ومن اعسرة لتقصه والاختلاط الدائم فى غير تكلف ولا عناء ، ومن هد لاستراثة فى لذاب احياه وآلامه ، وفى مسراب احياه ومساءاتها ، وفى هذه الأحداث انى تحت ، والخطوب التى لم ، والنوائب التى تنوب . وكانت أسره لمقدس مبخائل نادرس تعيش فى دار ليسب بالمسرفه فى السعة ، وليسب بالمسرفه فى الضيق ، وإنما هى دار موسعة ، تألف من حجرات

وبسطة ، لا يظهر عليها التراء ، ولا يظهر عليها انصر ، ولا يظهر عليها م يلبس إليها أحداً . كانت داراً متواضعة وإن لم تكن حقيرة . وكانت تقوم في أول شاعر مما يلي القته على منحدر يسير بكف الساعى إليها قليلاً من الجهد ، فنحدر إليها إن جاء من هذه الناحية ، ونصعد إليها إن جاء من تلك الناحية ، ولا سعى إليها سعيًا عينا على كل حال . وكان المقدس ميخائيل صاحب تجاره يسيرة هينة ، قد اتعد له حانوتاً يبعد عن داره بعض البعد ، يبيع فيه سقط المسح من هذا الخرز الذى يتخذ بقراء منه عموداً يحلّى بها النساء واغناس ، ومن هذا الزجاج الملون الذى يتخذ النساء منه أساور أو دوائر مفرعة يدخلن فيه سواعدهن ، أو يسخننها في سواعدهن . ويبهرن أنفسهن كما بهرن الرجال بألوانها الزاهية ورنسها الخلو ، ونسج من الأقمشة المرحضة التى يتخذ منها نساء الريف ثيابهن حين يتفعلن وزينتهن حين يتبرجن .

وكانت لحنوته شهرة خاصة بهذه عصابات المنظره التى كان النساء يدرنها حول رؤوسهن ، فمدن بها الرجال ويسحرن بها عيون الشباب . وكان المقدس ميخائيل يفسد من تجارته هذه السيرة ما يسج له أن كفل لأهله حياته ، إن . لكن رغبة كل الرضاء ، فلم تكن خفته كل الضيق ؛ وإنما كانت شيئاً بين ذلك تسمح هذه الأسرة أن ترى نفسها من الطبقة المتوسطة ، وأن تطمح إلى ما يصح إليه هذه الطبقة من الآمال التى كانت في ذلك الوقت متواضعة أشد التواضع .

وم تكن هذه الأسرة صغمة . ولا تلبس العدد ، وإنما كانت تألف من ميخائيل وزوجه حنيئة ، وابنتهما نصيف وابنتهما صفاء . ووضع أن هذا الاسم لم يكن ينطق على هذا النحو الفصح ، وإنما كان ينطق به بمفطور الألف لا ممدودها . وكان النطق به يثير في نفوس السامعين أنه مستعار من نبت لغدائر المعدنسة التى كان النساء يصنعنها بشعورهن ويرسلنها على ظهورهن ، ويسمع لها حين يفتن ويقعدن وسعين صدر بعجب الآذان .

وقد طمع ميخائيل في أن يرفع ابنه عن المنزلة التى كانت له هو في الحياة ، فلم ينسئه في التجاره ليخلفه على الحايوت حين تفعد به السن ، وإنما أرسله إلى المدرسة المدنية ، بعد أن اختف إلى الكتاب القبطى عاماً وبعض عام ، وأضر فيها بينه وبين نفسه ألا يكتفى بالمدرسة الابتدائية ، وأن يرسله إذا

استعاض إلى المشاهدة لتعلم في بعض مدارسها . وليكون موظفاً من موظفي الحكومة . ولست بنفسه طرقتاً جديده غير الطريق التي سلكها هو وسلكها أبوه من قبله .

وتمتع حينئذ في أن ترفع أيتها عن المنزل التي فسمت لها هي في الحياة . فأرسلها إلى . لعممه ، كما كانت الأمهات في الطبقة المتوسطة يرسلن إليها بناتهن . ليتعلمن عنده فتوناً من النظرية والتطبيق . والتأق في التوصل وصناعة الأزياء .

وود اختلف لصبي إلى المدرسة ، واختلفت الصبية إلى المعلمة . ورضيت الأسره عن تسمي وعن تربيت لابنها أسوا . وظفر الصبي بالشهادة الابتدائية بعد حين . وأخذت الصبية من فون المعلمة ما استصغت أن تأخذ . ونظرت الأسره فإذا هي مضطرة أن ترسل الصبي إلى القاهره . وإلى أن تسمت الصبية في امدار . والله تعلم ب تكلف المقدس ميخائيل من الجهد لدير ما يحتاج التي إليه من النفقات . وما احتملت حينئذ من الحزن لفرق ابنها الوحيد . وقد أخفق اثني بمدرسه ثانويه . فأودع فيها ب ساء الله أن يقيم عبداً وعبداً وعاماً دون أن تحبب فيها نجحاً . وإثني هي السه الأولى بقيم فيها العام بعد العام . ثم مضى المدرسه إلى فصله لكره ما أخفق ، فستحق بالمدرسه القبيصة لكبرى التي كانت في ذلك الوقت تتلقى من تفصيل المدارس الحكومية من السباب الخفيس ، أو من حول سن بينهم وبين الاستحقاق بالمدارس الحكومية . أو من يقصر يدي آياتهم عن أجور اسعاهم في مدارس لدوله . ويقطول مع ذلك امدل آياتهم . فيأبون . لا أن تتعلم أناؤهم حتى سنفوا الشهاده الثانوية . لعينهم أن يجدوا لأنفسهم مكاناً في مدرسه من مدارس العالمة . أو عملاً في ديوان من الدواوين . وود أودم تصبف في المدرسه الحرة عبداً وعبداً . وسكنه لم تصب فيها نجحاً كما لم تصب في المدرسه الحكومية نجحاً . وثقلت النفقه على أبيه . ونزل الحزن على أمد . وصافى لفتى بأبيه وأمه ونفسه نُضاً . وإذا هو يقترح على أبويه ذاب عام أن يتحول من هذا التعليم الثانوي الذي لم يخلق له . إلى تعليم آخر يسير قريب . لا يصحح إلى كثير من ثقافة . ولا إلى إصحاح في عمل . ولا إلى فضل من جهد . ولا إلى طويل من وقت . وإنما هو عام أو بعض عام . ثم يتقدم لطالب إلى الامتحان ويظفر بالدبلوم . ويشغل منصباً من مناصب

الدولة . وكذلك الحقى اعقبت تدرسه التلغراف . وما هى إلا أن بنفوق فيها
عاماً أو قر من عام ، ثم يتقدم للاستحصال فمصيب فيه ما أراد من نجاح .
ويعود إلى أهله ومعه الدبلوم قد لفته لفتاً أنيقاً ، ووضعته فى حرز أتيق اتخذ
من الصنم ، وجعل الأب ينظر إلى الدبلوم يحاول أن يقرأ ما فيه ، وجعلت
الأم تنظر إلى الدبلوم بعجب برؤيته . واحتشم الأبوان بعض الاختصاص أهما
يحفظ بهمة العبد من الصنم ! ألدسها ! لم بين سببها . أم يحفظ الأب فى
درج من أدراج مكتبته القديم . ولكن المهم هو أن المقدس ميخائيل كان قد
بلغ من أحدهم أفضده . فأحق كرمه ، ذات تجارته نعل عليه . واحتمل من
السفد أكثر مما ذات سنه يستطيع أن تحمّل . وبيع فى سبيل هذا الفنى
ما كان عند زوجته من الخى لمواضع ، واضطر الأسره إلى سقى من المقر
الضيق البعض الضئيل الذى لا يتأق ، لولا سقى من فسحه لأمل . ولم
يدرك الفنى ما أدرك من نجاح حتى كان المقدس الشيخ مضطراً إلى أن يقعد
فى داره . ويمنظر البرق من هذا المرب الضئيل . احدى كات السود تجريره
حينئذ على الموظفين فى البرق أول ما ينهضون بأعمالهم .

وكانت الدولة بحمد حفا فى ملك الأمام . فقد كان حسن السلوك مدعى
بمكتب من مكاتب البرق على سبيل التجربة وانمرن ، ويؤجر فى أثناء ذلك
ثلاثة جبهات فى الشهر ، لا تحسب له جملة ، وإنما تحسب له مياومة أثناء
المرن سره قروش فى اليوم لا تزيد . ولم يكن حامل الدبلوم حراً فى اختيار
مكتب البرق الذى يعمل فيه . وسى كان عمل الدولة وسوسيه أحراراً فى
اختيار المكاتب التى يعملون فىها ! إنما كات السود يرسل هؤلاء المؤمدين
والعمل حسب سماء وحسب عطشى المطام أن يرشدوا . فأرسل الفنى إلى أفضى
بعضه ، وأفسد أسره فى أدنه . وجعل الفنى يقبض أحره أحر أشهر .
ويرسل بصفه إلى أسره لبعض . ويبقى نصفه الآخر على نفسه . وعدم الفنى
وعند أسره أن الآمال لا تصدق أفعالها دائماً . وإنما مكذبهم فى كثير
من الأحيان . فقد ظنرا سقى السلوك وتغل متحباً من مناصب الدولة . وأصبح
فرداً مزاراً من هذه الطبقة المتدرة طبعه المومض ، وانكم ما زال فقيراً بائساً
محاسبا ، وما زالت أسره متوسفة برد إلى الفقر يوماً بعد يوم . وسدع إلى
البضى عندما بعد عام . والفنى بعد ذلك فرد ممتاز من طبقه مزاره . ولا مياز

يكف أصحابه كثيراً من الدل . فلابد من أن يعين الفتى من أتوا به عبثة ملائمة . ومن أن سجد من الزينة ما يلائم طبيعته . ومن أن يحيا حياة لا يحتر إله أرائه في نبي من الاستحسان به أو الانفاق عليه . وكان هذا كله يرهق الفتى من أمره عسراً . وربما اضطره بين حين وحين إلى ألا يرسل إلى أبوه ما عود أن يرسل إليهما من القدر . أو أن يرسله إليهم منقوص . وكان هذا تحف الأسرة ويعيظها وعينيها . فلم تكن حاجتها إلى لحاء الملائمة بأهل من حاجة الفتى . والفتى وحده . وعلى أسرته مؤلدة من أشخاص ملائمة . حيث أن يرسل إليهما أكراماً لمرتب . وأن يكفى الفتى لأفله . فكيف إذا يرسل إليهما لا أفله ! وكيف إذا يرسل إليهما شيئاً ! وعلى بعد ذلك قد أسب عمره وحده . وكل ما سكب في سبيل هذا الفتى . فانظر إلى الأبناء كيف يجحدون حمزى الآء . ونظر إلى استب كفيف يكفرون بعمه اسوخ . وانظر إلى هؤلاء الفلاس الناصحين كيف يؤرون أنفسهم سحير ومختصوم . والهاب . ويرآون السامع وأصحابهم يشقون بالنقص في الأموال والتمرب . بل يستقون بالنس واجبوع والحرمان . وكذلك ألتفت الأسرة بعد صبح ابنتها في الامسجد ونسره بالمتصمب أغواهاً دفت قبي من البؤس المادى والمعوى . ما لم تدفعه حين كان الفتى صوب يضيف إلى المدرسة الابتدائية أو غلاماً يختلف إلى المدارس في القاهرة .

أما الأسرة الأخرى فأسرته المعلم يونان . كان زعيمهم كاتباً متواضعاً في دائره من دوائر الترك . ينفق ماله سائاً على دفتره أو محسباً لماظر أو مراقباً للمعاون . ويعود إلى أهله آخر امهار راساً عن نفسه ولكنه متعب مكدود ؛ فلا يكاد يصيب معهم شيئاً من طعام وسمر مع جاره شيئاً من سمر . حتى تأوى إلى مضجعه وقد بلغ الاعباء به أقصاه . ثم لا يكاد الصبح يتنفس حتى يراه في الطريق العامة غادياً على عمله في الدائرة أو في الحقول . وكان الأجر الذى نصيبه من هذا العناء فيبلا ضئيلاً ، لا يكاد يقيم الأود لأسرة تألف من ثلاثة أشخاص . هم المعلم يونان . وزوجه سرجانة . وابنتها عبد السيد .

وكان المعلم يونان رجلاً متواضعاً . لا يرفع نفسه عن طبقتة . ولا يحاول أن يرفع ابنه عن هذه الطبقة . وإنما حاول أن يعلم ابنه مهنة هو . ليكون بعده كاتباً في الدائرة كما كان هو كاتباً في الدائرة وكما كان أبوه . من قبله كانا

فيها أيضاً . وكان أقصى همه أن يحسن الحصى الأخذ عنه والافساء به ، حتى إذا أدرك أول السباب استناع أن يعينه على عمله . وأن يلتفت إليه الأمور لعله أن يرعى عنه ويعطف عليه . فبأجره فرشين أو قروساً في اليوم تعين الأسرة على احتمال أعباء الحياة . ولكن الصبي لم يكن ذكياً القلب ، ولا محباً للعمل ، وإنما كان كسلاً خاسداً يؤثر اللعب حين يسبح له فرصة اللعب ، فإن لم يسبح له آخر حياء هادئه على إلى الدهول أقرب منها إلى أي شيء آخر . وكان ذلك يغضب أباه ويحنفه ويدفعه إلى أن يقسو عليه أحياناً . ولكنه كان وحيد أبويه ، فكان المعلم لا يعنفه إلا ليرى له . ولا يسوق عليه إلا ليرقى به .

والسن يتقدم بالمعلم حتى يحسن الضعف عن المروض أعانه ، والذي يتقدم في العلم بمهنة أبيه مباحناً مسافلاً . حتى إذا اضطر السخ إلى التعود في داره كان المني أحمل وأكس من أن يقوم مقامه . فلم يستفد منه إلا رعايه لحق أبيه ورفقاً بأسرته ، ولم تمنحه من أجل ذلك إلا نصف ما كانت تمنح أباه من الأجر .

واضطرب مرجانه إلى أن خرج الدار . وسعى بعض السعي على شحها الشدة برؤفه وعلى ابنها أحياناً لمعسه . فحعب سعي إلى أخرى أسرته تشتري من عصى شبيب ما يريدون أن يسعوا من فضل جسمه وورده . تحمل ذلك في قصعة ضخمة ، وتغيبه بشيء من العشب الأخضر الرطب يحفظ عليه رطوبته وتجذب إليه عيون . ويصوب سهم على بعض البوب . تبعه فيها بما يتيح لها شيئاً من ربح يتم لزوجها وابنها ما يحتاجان إليه .

وقد سمعت الأسرتان المتجوران في طريق واحدة إلى الضيق ، ثم إلى ضيق السدد ، ثم إلى ماحسره وأحزانه . فزادت الصلاب بينهما قوة ، وفرح الشخشان السعدان لنفسه والديف . وجعلت مرجانه وحببه بلبيان حين يسفر لصبح وحين يسد النهار . شارضان المساع وسعاوان على أنفال حياه . ويتحاذيان أطراف أحدهما لما قال . وجعلت صناء (بألفها المدودة أو المنقوصة) تدعى حبه السد حين يغدو إلى عمله في الدائرة . وحين يروح من عمله إلى الدار . فكون بينهما ما يكون بين الشبان من هذه الأحاديث النازعة ، التي لا تؤدي شيئاً ولا تدل على شيء . وإنما نشغل أصحابها عن أنفسهم ، وتلهيهم عن آمالهم .

ولكن السباب ماكر ماهر ، يتميز الغرض ، ويتنفس الوسائى اخلاصاً :
فهو يتسع في هذه الأحاديث الفارغة بين حين وحين ما يريد أن يتلها ،
معجزة ذلك في أول الأمر . ولكنه لا يعرف العجز ولا اليأس ولا الاحتقار ،
وإنما هو ملح دءوب ، يفضله النجح هذه المرة فلا يرد ذلك من استنراف
المحاولة ، وهو سبب إلى غيابه طرقتاً مختلفه ملوويه ، لا يحسن العلم بها إلا المدين
محضهم الحباه وعلمتهم التجارب . وأين اختان اعارون من تمحيص احياه
ويعلم التجارب ! كله ينطق بها صفاء ، فإذا السباب يجري فبه عنويه سر
مألوفه ، ويوقعها من أذن عبد السيد وقلبه موقفاً غير مأنوف . وحركه تأتي
بها عبد السيد فإذا السباب يجري فيها رسافه غير مأنوفه ، ويوقعها من حين
صفاء وفيها موقع غير مأنوف . وإذا التفت مشغول بهذه الكرمه اعبدته ،
يريد أن يكرر وأن يضاف إليها أمثاله . وإذا الفناء مشغوله بهذه الخركه
الربيمه . تريد أن يكرر وأن يضاف إليها أمثاله . وإذا كلامه مشغول بصاحبه
حين يشه ، ومشغول بصاحبه حين يأى عنه ، ومشغول بصاحبه حين يقبل
للمل ، ومشغول بصاحبه حين يستمر انهار . وإذا الفناء الذي كان يكون
مهما على غير موعده وعلى غير نية ، قد جعل لتصبح ميث ربيره الخطط
وبمعنى إلهه ابسان . وإذا احدهم الذي كان يكون بينهما فرغاً ليس وراءه
شيء . قد حوّل لتصبح ميث وراءه كثير من الأساء . وإذا الأسريان يحفظان
أن يهين النفس سائما . فلا يكران ولا يعرفان أول الأمر ، ثم يسم فلوب
اشموج لهذه الحيله الماسيه بين عديدين المشابين . ثم يحدث الله من
محبائل إلى حيله ، ويحدث العلم بوبن إلى مرحله . ولا يقول بحدى
الأسريين بلآخرى سئما . وإنما ينصرفان أن يكون لأخرى هي التي تبدأ
حدث . والشباب لا يحسن بما ينور في حوس السيوخ من حواطر ولا بما
يصطرب في حقولهم من تفكير ، وإنما هو باض لعايته لا يقترى وراء ،
وإنما ينظر إلى أمام . وإلى أمام دائماً ، حتى لا يفت الأسريين وحدهم إلى
نفسه وإلى ما أحدث من صلات . وإنما يلدت أسراً أخرى من الجيران .
وعندك يسبه السيوخ فتحدث مرجانة إلى حيله ، ويحدث العلم في القدس ،
وتصبح الخطبة شيئاً مقررأ متفقاً عليه .

ونضيف مقيم في غربته بتقافه المدن في أعلى الأرض وفي أسفلها ، وبعد

نُبتت في منصبه فلم يفيض أجره ساوية ، وإنما أصبح مؤثماً بالمعنى الصحيح
الديق ، وزيد مرتبه حتى بلغ أربعة جنيهاً ونصف جنيهه يخضم منها المعاش آخر
الشهر ، ولكن مرتبه قد زيد على كل حال ، إلا أنه لم يزد وحده ، وإنما زادت معه
تغيب الفتى وسكنت حياته بعد أن أصبح مؤثماً مبيعاً . زاد مرتبه الفتى ،
ولكن نصيب أخته من حد المرتب لم يزد ، وإنما ظل كما كان : نصيب لهما
أحياناً كمالاً . وأحياناً منقوصاً ، ويختلف بينهما بين حين وآخر .

ومثل الفتى ذات يوم في إجاره من إحزاب الميطفين مري أسره ،
فمري الهندسة منه شدة ، ربيعاً أصلاً ما تعرفه من قبل ، ومري زينة وروء لا يجد
لها بها عند أمثال هذا الفتى من سحره من أساء للراغ واستحار . ويرجع
رأس المقدس حين يرى إعجاب الناس بابتها واحتفاءهم به ، واحتشاد النسوة
والصبيبه رؤسهن حين يمر بهن اسرع أوداك ، وبهذه حذاره أوداك . ويمتليء
الفتى بسسه بها وإعجاباً حين يرى بها من الناس عسده وسعيرهم إسه ، حبه
بعضهم من يرم . ويحسد بعضهم من بعده . ويعجب به أولئك ومزلاء .
ويجري فيه مع ذلك أوجع ومزلاء سناً من السكراء : فنكره بعض الناس
في قومهم . وسكره بعض الناس أنفسهم . واستقى لأب ولأم على منهما من
حسد حاسد . ومعنى لأب والأم أن هم أحدهما يفضل لأمه أسسها به
ولسعه تحضره . وسبيل مع ذلك أن يحفل السمر لبأس لسه لسانين
وحسد الحاسدين . ويعود الفتى بعد أيام إلى عمله . وقد رضى من نفسه ،
ورضى عند أبوه . ورضى عنه أكر أهل المدينة . وضاق به أقربه . ولأنما
أثم الفتى بهته لسه إناسته القصيره بيت . لمودع أبوه ووره للمره الأخيرة .
فم يكاد الفتى يسافر ويمضي على سفره أيام حتى يحسن المقدس من الضعف
ما يحسن شيوخه . فلا يكاد يحفل بذلك ولا يفتق إليه . ولكن الضعف يزداد
ويلج . واستبح ثقل ويضمصر إلى لزوم داره ، كما إلى لزوم فراسه . ثم إلى
فراق هذه الدنيا . ويعود الفتى مرة أخرى إلى المدينة حزناً كئيباً . ولكن
الحزن واسكاته لم يزداه إلا رساقه وأناقته واستهواء لقلوب الناس . واستجلاباً
لحبهم له وعطفهم عليه : فقد ذهباً بكثير من فرجه ومرجه واعداده بنفسه
واستخفافه بغيره ، ورداه إلى شئ من السعد والاتزان واعتدال المزاج .
ومهما يكن من شئ فقد أبقى في روع الفتى أنه أصبح يعد موت أبيه

رجلا عمل التبعات . ونهض بأعباء الأسره . وقد واجه اسبغات والاساء
مواجهه حسنه . فشمّل أمه وأخيه بكبير من العطف والرعيه ، وجد واجهه
وسعى ووسط غيره في السعى حتى استطاع أن ينقل نفسه من مدينه بيت
سعوده الى أن يعمل فيها . إلى مدينه هذه التي بنى فيها أسره ، وإذا
هو موظف في مكتب البرو بالمدينه يقيم في أسرته ويرعدها . ويقوم منهم
مقام أبيه .

وتخصى أمور الأسره كما نستطيع ، أو على خبر ما نستطيع : فقد أفاد
الفتى في داره وعاش مع أهله ، ودبر أسره خيرا مما كان يدبره أساء الغربه ،
فاستقامت له ولأهله حياه لم تكن تستقيم لهم من قبل . وكم تمتحت حثيثه
- لو كان ينفع النتي - أن يعود المقدس فيشارك في هذه الحياه ، وينعم بها .
ويسعد برؤيه ابنه عاديا على العمل ، أو رائحا إلى الدار في ربه ذاك الجميل .
وشكله ذاك الوسيم ، ومنظره الذي يملأ القلوب روعة ورضا .

ونصن أسباب الفتى بزملائه الذين يعملون معه في مكتب البرو ،
وبزملاء آخرين يعملون في الخطه ، ويجمعات أخرى من الموظفين يعملون
في المحكمه أو في مكتب البريد . وإذا هو يرق بأسره حقا إلى هذه
الطبقة الممتازة التي طالما ود أبوه لو يرق بها إليها . وإذا هو ممتاز بين هؤلاء
الموظفين المختارين حين يلبسون من آخر النهار أو من أول الليل في قهوه
ذلك الرومي التي كانت تقوم على شاطئ القناه قريبا من الخطه ، والتي كان
الموظفون . ولا سيما اسباب منهم ، يسعون إليها حين يدنو الأصيل ، فيتمسكون
فيها قرحين مرحين لاعبين مداعبين حتى يتقدم الليل .

وفي ذات صباح يجلس الفتى إلى قصوره وأمه إلى حسنه ينظر إليه
ويعجب به . وأخته صفاء قائمه بين يديه تخدمه تذهب وتجيء مقدمه خدما
البون رافعه هذا الاناء ، وإذا الفتى يحتال حتى يبعد أخيه ، ويخلو إلى أمه
فيلقى إليها في همس سريع أو سرعه هامسة ، أن رسله فلانا يخطف إليه
أخته ، وأنه سعيد بهذه الخطيئه يرى فيها مزيدا من رقي وفضلا من رخاء .
فهذا الرسيل فتى كريم من أسره كريمة . قد فهد أبوه . فهو إذن سيد
نفسه . وهو يتبض في آخر الشهر مربيا كالذي يتقبضه هو . وهو يريد أن
يكون له أحمأ . وإذا قبلت خطبته وتم زواجه فسيجلس في الدار ، وسيكون

لأمه ابنتان ، وسجتم المرتبان ، وستغرى الأسره فى نعيم ورخاء لم تكن لترجوها أو تفكر فيهما . وتسمع الأم هذا الحديد فيقع من قلبها موقعا غريبا فيه كثير من الاغراء ، ولكنه يثير كثيرا من الحزن والخوف والأسى . فانتبهت مخصوبه أو مخصصه لجارها الفتى . قد ذهب زوجها إلى اسر الآحره وهو متر هذه الخطبه رضى عنها مغبط بها ، وفى نفس ابنها شئ من هذا التنى الجار ، ليس فى ذلك شك . ثم ثوب الشخه إلى نفسها بعد أن سكنت غير طويل ، وتقول لابنها فى صوت هادئ رزين : وددت لو كان ذلك يا بنى ، ولكن أختك مخطوبه أو كالخطوبه ، قد أحبها جارنا عبد لسه وكأنها تحبه ، وقد تحدث فى خطبتهما وقبلها أبوك . ولا يكاد الفتى يسمع حديث أمه حتى تأخذه الكبرياء . وعواده الاعتماد بالنفس ، وبسول لأمه فى صوت الغضب الذى كادت تخرجه الموجه من طوره : « كان هذا فى بيت الأمام السود ، فأب الآل فما أحب أن أخوص ولا أن نحوص فى هذه الحديث . » ثم تشعل سجاريه فى أنفه ويهض فى كبره مشفقه وتنصرف عن الحجرة ، ثم يتصرف عن الدار وكأنه لم يخلف فيهما أحدا .

وفد صبر حنيه نفسها على هذه المكروه . فلم تحدث فبه إلى ابنتها . وأزمنت أن تراجع به ابنتها ، وراجعته سره ومره . ولكنها لم تظفر منه شئ . ولم تلى منه إلا اردواراً وإسرافاً . حتى أئذرها ذاب نوم بأنها إن لم تدعن له فستقتل من هذه المدينه كما نقل إليها ، وسيسألف حباته بيت العربيه المسرده . وستتركه بعض مع ابنتها فى ظل هذا الفتى العاقل الذى لا سناء فيه . وسيرسل إليها ما يستطع أن يرسل إليها من المال يبعثها على العيش كما كان يفعل فى حياة أبيه .

ولم تعود الأمهات فى مثل هذه البيئه معاومه أبناهن ، وإنما يعودن الاذعان لهم والاستجابة إلى ما يريدون . والفتى بقوة مقام أبيه ، فهو سيد الأسره وصاحب الأمر والنهى فيها ، لا ينبغي أن تلقى منها مقاومه ولا اعتراض . فما أبسر ما ندعن حننه لآنها ! وما أسرع محاول أن تحمل صفاء على الاذعان ! وصفاء ليست فى حاجه إلى أن تحمل على الاذعان ، فهي مدعنة بطبعها لما يرد أخوها ولما تحب أمها . ومتى استطاعت الفتيات أن يخالفن عن أمر الأخوه والأمهات !

على إذن مسعته لأزاده ، ولكم ثأثره القلب . وقد بذلت حينئذ جهداً
غير قليل لمعري ابتغى بمثل ما أسراها به ابنها من الرخاء والنعم ، وارناع
المنزلة ، وإتباعاً لقلبته ، وما سبوح ها من زينة ونرف لم تكن لتصرف بهما لو
اقترنت إلى عذا الفتى المتواضع الفقير الذي لا يكسب قوته إلا بالجهد
ولسفه . وسعى أمه لبعبه على محصيل ما تحتاج الأسرة إليه . وكانت صفاء
تسمع هذه الأحاديث ، فتدعج إرادتها ونشور قلبها ، وتحاول أن تبهر ارض
فلا تجد إلى إظهاره سبيلا .

ثم تخرج ساء هذه الخطبة من د رحينه إلى دار مرجانه تم إلى غيرها من
الدور ، وصبح حديث أهل بشرح . ثم حديث من يعرف الأسرة من اناس .
فأم مرجانة فسمع ولا تقول شيئاً ، وأما انعلم يونان فسمع وبسهم ولا يزيد
على أن يقول : وأين يكون اناس هذا الفتى ! وابنتا كاسب لا يكاد يكسب
قوته وهذا الفتى موصوف ممتاز ! وأما الناس فأفلهم يعبط صفاء ، وأكثرهم
يحسد ها . وأما عبد الله فسور ونشور وينذر مره باقتراف الجرمة ، وسرة
أخرى مثل نفسه ، ثم يُرَدُّ إلى عدوه مسكر من ورائه سر عظيم .

فيو يغدو وروح بين أمه وعنده قد انطوى على نفسه ، وانصوب نفسه
على ما فيها ، فيو لا يتحدث إلى أحد في هذه الخطبة العلنة . وفي هذا الزواج
المنصر ، ولا يحب أن يتحدث إليه أحد فيهما . وإذا تحدث الناس إليه في
سوء من ذلك أعرض عن حديث ولم يبق إليه بالاً ، لأنه غريب عن هذه
البئس التي يعيس فيها . لا يعبه شيء مما يفعل الناس حوله أو يقولون .
وقد كانت مرجانة تهني نفسها لمنصر على ابنها شيئاً من عطف ، وفضلاً من
حنان نرود أن نعريه عن محبه ، ونواسيه في هذه الملمة التي نزلت به فبغضت
إليه الخياه ، وألقت بته وبين الأمس حجباً صفاقاً وأسنداً كثافاً . ولكم لم
تر من ابنها حزناً ، ولم تسمع منه سده ، وحاولت أن تنفذ إلى ذات نفسه ،
فلم تبلغ مما حاولت شيئاً ، وطئت آخر الأمر أنها أكبر من هذا الأمر صغيراً .
وعظمت منه حقيراً .

وأسرفت في حسن الظن بابنها ، فقدرت أنه كان يحب وسعد بالحجب ، وأن
هذه الخطبة قد ردت من الكآبة والحزن واليأس إلى ما لا يطاق . ولكنها
تنظر فترى ابنها ساعياً لاهياً ، لا يحفل بأحد ، ولا يحفل بشيء . ولا يظهر

عنه ما يدل على أنه حزين أو بائس أو ذائب . فقد كان المتى عبثاً في حبه
 إذن . وهو الآن عاقل بعد أن شغف لأسباب يمين هذا الحب .
 سطر أن ساح له فرصة أخرى لعب آخر مع فمه سطر عنه افتاده . وليس
 من شك في أن مرجانة لم تسم بما لاحظت من سوء أبنها ولهوه وعنفه ، وإنما
 إذاها ذلك في نفسها ، وأضف إلى حرمها المديح حراً جديداً ، وإلى ما ألتب
 من خيبة الأمل في فتاها الذي لم يكن يحسن العمل كما كان يحسن أبوه ،
 ويكسب من المال كما كان يكسب أبوه ، خيبة أمل جديدة في فتاها الذي
 لا يحسن أن يحب . ولا يحسن أن يأبى حين يقطع به أسباب الحب ويحل
 بينه وبين من يهوى . وعلى ترد عشتها وحسنها وزهرها وإسماها إلى سبها
 بإثمه الكتيبة التي كانت تريد أن تجده سباً من روح في إظهار ما سكه
 نفوس الأمهات من العطف والحنان وارجحه والاستغنى . وليس أدري أي
 الأمرين كذب . رجبه أسد نادياً : بخسه أمليها اجتده في أبنها بوحده . أم بما
 صصرت إليه من آتيت عوشها ورد نفسها إلى الأحباء بعد أن ذاب
 حصص . وإلى المقر بعد أن كذب بفتى . وإلى أموب بعد أن همت بالخطاه .
 وليس سيء أدفع لنفوس الأمهات إلى اليأس الفشل من هذا الحرمان التي
 ترد إليه رثاً وسكره عليه إثارها . فما نمس الأم إذا به تحب لعطف على بنها .
 والرجحه له حين يأمر أو يعرض لللائم ! وما نفس الأم إذا لم تجر الرضا واعبته
 والاعجاب حين تأتي أبنها بما يدعو إلى الرضا واعبته والاعجاب ! وهذه
 مرجانه من حبل بنها وبين الرضا عن أبنها . والاعجاب به منه وقت طوبى .
 وعلى ترى حارها حسنه زاهي عن بنها صصف كثر الرضا وعجب به كل
 الاعجاب ، ويزيد رضاها وإعجابها أن الناس من حولها يكبرون الفتى ويقدرونه
 ويثنون عليه . ولا يدعوها باسمها . كما كانوا يفعلون في بعض ما يفتي من
 التوفى . ولا يدعوها بأمر نصف كما كانوا يفعلون بعد أن ولد أبنها ، وحين كان
 صبي أو شاب مختلف إلى المدارس . وحين كان مريضاً شديداً لا يراه العيون
 ولا تلتقى سموس ما يمتاز به من الرسامة والأدب وجهل البري وزوعه السطر .
 وإنما يدعوها أم الأبدى . بلعون حمزه . وسمعون فتحها على الام . فيقولون
 « أم لفتدى » .

حل بين مرجانه وبين الرضا عن بنها والاعجاب به منه بسبب أنه

خدمت حميد ، لا تغني عنه أبداً ، ويحال بينها الآن وبين ما عيها من أن
 ستم اسب بالعطف وارحه والحنان ، حين يلم به الخطيب أو يلج عليه
 هم أو يرل به المكره . فابنها لا يحس خصاً ولا غماً ولا مكروهاً ، ولا يجد
 حاداً إلى عطف أو رجه أو حنان . ولو قد سمعه أنه يسي من ذلك لما أحسه
 ولا ذقه ولا استب إليه . عي إذن شدة تحببه لأهل ، ستم بكبب اعاطفة .
 وهي سبب أن يجهت إلى زوجها الشيخ في بعض ذلك ، فلا سمع منه إلا
 شد حوب بده عطف في ستمه حزنه ساخره : « أين يقع ابننا الحامل
 احامه اسمن الرئس . من هذا الفتي الحصل الوسم الذي ستم به الحياه !
 وعظم مرجانه أن نجهت ذات يوم إلى سب في بعض ذلك ، فدل فما
 مصاحداً : « نحن وذاك ' إن المال أقوى فيه ، وأعظم أسأ ، وأوسع سلماً ، وأشد
 سراً من حب ، وما يسعى لبقراء أن يحوا . » وهمت أن تمضي في حديهما
 فكبت من سب ساخره في ثقت طویل . واستكانه إلى أحاديث الحاصل
 والعيس قد . وإلى أحاديث اسائره وسوطمها ، حتى قل أنه : « سخي : « دعي
 هذه سبي فيه لم تخفي لفرح ولا حزن ، كما لم تخفي خد ولا عمن . » وسمع
 الفتي مقصد أنه ، فزاد سبوا في الضحك ، ثم انصرف عن اسرار كأنه
 مجبور . وذل من وراء هما خبير مع ذلك خضر فله طوى عليه نفسه طبا ،
 وهو أن مال أقوى فوه من الحب . ولكن اسطرق بينه وبين احب قريبه
 كل الرب مهمه كل التجهد : فليس بسه وبين صئه إلا حصار واحد تفصل
 سبها . فادا ارتقى إلى سقف الدار ، فليس بسه وبين صفاء جدار ولا ستر
 ولا حائل رفس أو صفي . فلأسوار بيند وبين الخطبه والأسوار بينه وبين الزواج
 تشبهه سبها لا سبيل إلى امحامها ولا إلى النفوذ منها . وبقي اسطاع الفقير
 النعدم أن سبه من أسوار المال والنراء ! ولكن الأسوار بينه وبين الحب لا وجود
 لها ، وإنما هي حيله واسعة أولاً ، وجراءه حربته ناسه ، وصير للنفس عي
 ما سكره بعد ذلك . وقد جعل هذا الحاطر تردد في ضمير الفتي يقطان ويتردد
 في أحلامه نائماً . والفتي يهك أمره وبضبط نفسه ويمسك لسانه ، فلا يظهر
 شيئاً ولا يقول شيئاً ، ولا يخفي بين الناس وبين ما أخفى في ضميره من هذا
 السر المكتوم . ولم تكن حال صفاء خيراً من حاله ، ولكنها كانت أدنى منه
 إلى الصراحة ، وأسرع منه إلى الادعان . لم تكن نفسها عسيرة ولا معقدة ،

ولم يكن له حص من مهاره أو مكر . وإنما كانت سادجه سافله لا تقس
 حقداً ولا كيداً ولا استخاء . وهي من أجل ذلك لم تنطوعى نفسها ، ولم
 تستخف بما فى ضميرها ، وإنما أذعنت خاضعة الارادة ثائرة القلب كما قلت .
 فلما استمد عليها لأحاج ، وأدبر حوها الاغراء ، وجعلت أنوار اسرف وفتون
 الهدايا تسقى إلى امدار ، رصبت بنصف نفسها وسخفت بنصفها الآخر ؛
 فكانت تمنح الخطبة والزواج اينسافاً ظاهراً ورصب بلاء يسرى له وجهها
 أحياناً ، وكانت تمنح حب حرباً دحيلاً وأمثلاً ديباً ، ودسوعاً لعلها أن ينهل
 حين يحبو إلى نفسها فى ساعه من ساعات نهار أو فى ساعه من ساعات ليل .
 وهي بعد لم تر خطيبها ولم تسمع له ، وإنما رأيت اناره ، وسمعت ما كان
 يروى عنه من الأحاديث . فكان خطبها ظلاً يرسل الذرف والهدايا والزينة .
 ويحدث الناس عنه بما يشاءون . وكان حبه شخصاً ، أنه من قرب واستمع
 له وتحدثت إليه ، وتمثلته فى نفسها ، واستحضرتة فى ميمري . وقد جعلت
 منذ حين لا تراه إلا مغالسة ، ولكنها تراه على كل حال . وعنى يستمع إن
 شاءت أن تبتغى الوسائل بسائنه . ولو فعلت لأتبع لها هذا اللقاء . ولو فعلت
 لاستأنس التحدث إليه والاستماع له ، ولتعت من حديثها وشرابها بما راب
 تمنع من قبل . ولستمعت من حديثه وثقرااته بما كانت تستمع به من قبل .
 حوهر يردد فى نفس القتاة وهي مشبهه شياً قوياً أو ضعيفاً حوهر يردد
 فى نفس الغنى . وربما خطر لصفاء أن لو كان جارها ميسر الحال موفور الكسب
 لم يستمع أحد أن يصدى عنه أو يردى عن حبه . ولكنه حارس خدعه
 لا كسب ما يسم أوده وأود أوجه . فما حجب ليقتر إلى مكر ، وما يرون
 المؤس إلى ابؤس . وما الناس الاعدام بالعدم ؛ ألقى بدن أن احب لم
 يخلق للفقراء ، وأن الفقراء لم يخلقوا ليحبوا . وإنما خلقوا ليكرو ويعدوا
 ويعملوا ويكسبوا القوت ، فان بلغوا من ذلك ما يريدون فهو خير لهم ، وإن لم
 لم يبعوه دن فى الشقاء هم سعد . وفى الموت هم راحه وروحاً .

وذلك كانت نفس الصفاء مضطرب تمس ما كانت مضطرب به نفس
 الفتى من الألم وحزن والأسى ؛ وكان قلب الصفاء يجد ما كان قلب الفتى يجد
 من ابوغه والحسره والأسى . وكان أحب شئ إليه أن يعصى إلى الفتى
 بذات نفسها ، وأحب شئ إلى الفتى أن يعصى إليها بذات نفسه ، ولم يكن إلى

سلك سبيل يستهد من اناس أو على غيب منهم ؟ فقد حبل بينهما وبين السماء ،
وبس حصل بينهما مع ذلك إلا حائط واحد رمق . ولو قد صعد كلاهما
إلى سقف داره مخالسة لأتيح لهما اللقاء والحديث .

ولأم انتهى على ذلك وتبعها الليالي قد ارداد النعم بون اتصالا
ويروا ع ، وازدادت مرجانة ضوفا في الأرض فصعبت ذلك التي نغظيها
الغيب . وبقي انتهى في حده لكسبه اعامد وينصه انقلد ادهلة ،
وانصل النساء وستد احركه في ذر صفاء ، وأحسن الدس أن يوم الزواج
يتمو قلا قلا ، وقد أضل هذا اليوم واستقبله صفاء باسمه النفر . غابسه
اسفس . طير ارمض وضمير السحرة . وقيل القسس مع المساء على دار
فرحة مبهجة قد املاث يوم فرحين مبهجين . وقد أحيا القسس مراسيمهم
فعلو وذلوا وفرحوا الأجراس والنواويس ، وعقدوا ذلك العقد التي لا يصمها
لا الثوب . وكان لمعلم بونان مسلفها على مصمصه في الجانب الأيمن من
داره . وكانت مرجانة قد جلست منه غير بعيد واجهه ساهمة ، تجري على وجهها
دموع صممة . يقول العلم : « أين ابنك يا مرجانة ؟ » فتقول مرجانة في صوت
مبتل : « لعلك كنت تريد أن يشارك في هذا الفرح ! »

فيعود السخ إلى صمته ، وتضي الشيخة في وحوشها الباكي أو بكائها الواحم .
ولم تشعل في دار مرجانة لذلك اليوم نار ، ولم تر دار مرجانة في تلك الليلة
نورا ، وإنما كانت النار ذاتية والنور مألفا في دار حنينه . ويتقدم الليل
حتى يبلغ نصفه ، ثم يتقدم حتى يوسك أن يبلغ ثلثيه ، واحتفلون في فرحهم
ومرحهم قد أخذوا يشوفون ويشوفون إلى مثل ما تعودوا أن يشهدوا في
نكاح الليالي . ولكهم نصرفون بوا سيئا ، وم يسمعون شيئا ، وقد شملهم
فنور غريب بغضب . وتري أعقاب الليل المنهزم قتي ينسل من دار حنينه
مستخفيا فيما بقي من ظلام . ويسفر الصبح ساحا كثيبا ، وتشرف الشمس
بنور رهبا . ولكها ترس على ذلك السارع أشعة فاتره خائرة مهالكة ، لا
سكاد تخرجه من سكونه إلى الحركة ، ولا سكاد تخرج أهله من صمتهم إلى
الكلام . وهؤلاء نفر من الناس قد أقبلوا يسايرون شاطئ القناة ، حتى إذا
بلغوا المنحدر هبصوا إلى دار مرجانة فأخذوا فيه جثه قد احتز القطار رأسها
احترازا . ويرفع صوت مرجانة سولولا ، فلا سكاد يجاوز دارها حتى يجيبه من

دار حنينه صوب آخر سولول قد ارتفع بالأعوال . ويعلم الناس قبل أن ينصف
النهار أن الفتى قد نام ينتظر الموت حتى جاءه به قطار لصعيد ، وأن صفاء قد
أصبحت مريضة كالطليعة ، ففصمت نبت عتده ابنى عتده الشمس ولى لا
يفصمها إلا الموت .

تقول حنينه في نحيبها : « يا ليتنا لم نعرف المال ! » وتقول مرجانة في نحيبها :
« يا ليتنا لم نعرف الحب . » ويقول لعلم يونان في صوته اهأدى المتقطع : « فقد
عرفنا الموت الذى هو أقوى قوة من المال والحب جميعا . »

طه حسين

في أفق السياسة العالمية

بين هولندا وأندونيسيا

كان الناس إلى وقت قريب إذا ذكروا الاستعمار الأوروبي اتجهت أفكارهم نحو الهند وما وسعته أرضها من كنوز ونائس وأسواق تغص بمئات الملايين من البشر، وفيها من المسجات المعدنية والزراعية والصناعية ما جذب أظار الناس وخيب ألبابهم منذ القدم . فلا غرو أن قامت حركة الاستكشاف في مستهل الترون الحديثة ووجهتها جميعاً إلى الهند ، وأن يكون كولمب ومن تبعه من المستكشفين الأوروبيين على اختلاف جنسائهم قد عبروا المحيطات وأبحروا فيها غرباً وشرقاً باحثين عن أمثل الطرق وأقصرها للوصول إلى الهند . وقد أدى بهم الحنين إلى تلك الأرض السحرية وسده بدعهم على الناس سواحلها أن أطلقوا اسم الهند على كثير من الجزر والأراضي التي نزلوا بها دون علم بكنهها . وإنك تری الآن اسم الهند على الخريطة بصلعك في جهات عدة منها ؛ ففي أمربكا جزر الهند الغربية ، وفي آسيا جزر الهند الشرقية ، وترى إلى جانب الهند البريطانية الساعة الهند الفرنسية والهند الهولندية ، وفيها جميعاً قد رسخت قدم الاستعمار الأوروبي بدرجات متفاوتة منذ القرن السادس عشر إلى وقتنا الحاضر .

وقد كان يجب أن يذكر اسم البرتغاليين إلى جانب الإنجليز والهولنديين والفرنسيين الذين استعمروا في آسيا ؛ فهم أول من خاطر بالسباحة حول إفريقيا في الأزمنة الحديثة . وكان فاسكو دا جاما أول من اخترق المحيط الهندي حول إفريقيا إلى ساحل الهند الغربي في ذلك الوقت . وإلى جهود مستكشفهم وحكامهم الآخرين في القرن السادس عشر يرجع نفوذ البرتغال البحري في المحيط الهندي والبحر الأحمر وانتزاع السيادة في تلك الأرجاء من أمرائها الوطنيين ومعظمهم من المسلمين ؛ وذلك بعد أن عجز المماليك والبنادوة متحدین عن صد تبت القوة البحرية الجارفة . وقد كان البابا إسكندر السادس حين استندت المنافسة بين الأسبان والبرتغاليين في إبان حركة الاستكشافات . قد

قضى بأن يكون خط الصول الذي يمر عبر جزيرة أسوره هو اخط الفاصل بين نشاط لأستين ؛ فما استكشف شرفيه كان للبرنغل وما استكشف غربيه كان لأسبانيا ؛ ولذلك كانت جزر الهند الشرقية من نصيب البرتغال . غير أن أسبانيا ما لبثت أن ضمت البرنغال في سنة ١٥٨٠ ، واستمر هذا الاتحاد إلى سنة ١٦٤٠ . وفي تلك الأثناء كان الهولنديون والانجليز يناصبون أسبانيا العداء ، فاستطاع الهولنديون أن يضعوا أيديهم على جزر الهند الشرقية في أوائل القرن السابع عشر . ومن ثم عرفت هذه الجزر التي سالت من جاوه وسومطرة وسدورا وأكثر من احرر الصغيرة الأخرى باهند الهولندية أو الهولندية Netherland Indies وهي التي نعرف الآن بأندونيسيا ، أو على الأصح هسويسيا . ولما شهده غلبته في اندح المصاط والتبغ والقصدير والسكر والبنزول . ويبلغ عدد سكانها أكثر من خمسين مليون نفس ، منهم نحو خمسة وأربعين مليوناً في جاوه وهي أهم هذه الجزر وأعرقها مدنيه . والكثرة العظمى من الأهالي مسلمون يعملون في الزراعة وينكمون بلغة الملايو . وبها أديان من الصينيين والأوربيين لا يؤمن عددهم جميعاً على نصف مليون نفس .

ولما دخل الهولنديون البلاد ، وجدوا أنفسهم أمام شعب غريب ، يعتز بمدنيته الجاوية القديمة ، ويعم بوحدة في الجنس واللغة ولدين لامتزاج الأجناس ولا نسبها المتنازعات بين الطبقات كما هي الحال في الهند .

ولما كان الهولنديون في مقدمة الشعوب الأوروبية التي ثارت وكافحت طويلاً من أجل حريتها واستقلالها ، فانهم ساروا في اسعدهم وفي سياسته أكثر اسداه من سياسته البرنغليين والأسبان الذين أسأوا محاليم المفتيش في بلادهم ضد مخالفتهم في الدين ، واتخذوا من الاسعر أداة صبعة للبتشير وبسر المذهب الكاثوليكي في مستعمراتهم بين الويسين والمسلمين على السواء .

وهذا كانت شؤون هذه الحرز في أول الأمر بأيدي شرته الهند الهولندية . فاستغمت الشرته مورد ابلاد وطغى في حكمها أكثر من قرنين حتى نسبتا الحكومة الهولندية في منتصف القرن السابع عشر ؛ فدأت عهداً جديداً كان اتجهها فيه أقرب إلى النظام البريفسي الذي كان مهوف إلى الحكم لدانيه إلى النظام الفرنسي الذي يعمر عدده شرته أهل مستعمراتهم وإدماجهم في الدولة الفرنسية . ولم يكن عجيباً أن يتأثر الهولنديون بالظم البريفسيه

وقد حارب هولنديون الأندلس في سلمية وفي حروبهم ، وجمعت بينهم أواخر حوار وندمب الندي ، وألف من قلوبهم ركوب البحار واستعرض بلا خصار . ومن ذلت وضع هولنديون حققتهم في اسعير أندونيسيا على أساس ما في سطح بوصف أن رفعوا من مساوهم عند الفاعده حتى ينفوا بمضى الزمن مع الأورس عند هذه المرحه . فكان اوطنيون ببدءون بعسمهم في مدارسهم الاسائيه ببعثهم اوصه ، حتى إذا وصلوا إلى مرحله العلم الثانوي تلقوا



دراسة لادع هولنديه إلى جانب دروسهم الأخرى . فاد وصل اساتون منهم دراسهم اجامعه في ساف عاصمه الهند الهولنديه امترحوا بزملائهم لأورس وحصنوا حلوسهم نلعه هولنديه ، وسادون برمن الحصص أساسهم جمعاً سواء في أندونيسيا أو جامعات هولنديه . وتمن هذه الروح سار الهولنديون في اصلاحهم الأخرى ، فأغوا الجبان ونشأوا المعاهد لمواصلة المحو العلميه

المستفصه في كل ما من شأنه ترقية منتجات لسلاد وتحسين أحوال ودراس حاجاتها في مختلف الوجوه .

ولاسك في أن الاندونيسيين قد جموا من تلك الاصلاحات خيراً كثيراً حتى شاركوا الهولنديين على قدم المساواة في كثير من الأعمال والوظائف الحكومية . ولكن هذه الاصلاحات جميعها كانت هباء إلى جانب قصور الهولنديين في الناحية السياسية . والشعوب المغلوبة على أمرها لا تغنى عادة بالتقدم المادى أو ثقافى مثل اعتمادها بالتمتع بحرياتها وحقوقها الوطنية ؛ فهي تعتبر مع هذه الحقوق مسبة وطنية ، كما أنها تعتبر تحققتها فرضاً شديداً على الوطنيين الأحرار أن يكافؤوا في سبيله مهما أغدق عليهم المستعمرون من مال وجاه . وعلى قدر اهتمام الوطنيين بهذه الناحية السياسية يكون عادة نكوى المستعمرين وترددهم في إجابة الوطنيين إلى حقوقهم ؛ فهم رغم نظهرهم بإخلاص نياتهم في الاصلاح لابد مندوبون بغيره الأثرة والدفاع عن النفس إلى قمع الحركات الوطنية أو القومية في البلاد التي يحكمونها ، وتأخير إعدادها للحكم الذاتى أو الاستقلال حتى يرغموا على ذلك إرغاماً ، إما بالثورة من جانب المحكومين وإما انصياعاً للظروف وقوة الأمر الواقع . وقد قضى الانجليز في حكم الهند وقضى الهولنديون في حكم أندونيسيا قروناً طويلة استطاع المستعمرون في أثناءها أن ينهضوا بسؤون المستعمرين من الناحيتين الاقتصادية والثقافية . ولكننا نشاهد الآن أنه حان الوقت لنزول المستعمرين عن سلطات الحكم لوطنيين طوعاً أو كرهاً . وجد الوطنيون سبيل الحكم أنفسهم خاصة بالأسواق والعثرات مدفوعة بالصعاب والسرار . وذلك لأن المستعمرين لم يكن يهمهم أن يأخذوا بيد الأهالى نحو الاضطلاع بالمسؤوليات بقدر ما كان يهمهم زراعة اقتضى وصناعته في الهند أو استغلال المطاط والبتروى في أندونيسيا .

وقد كانت هولندا تعين على أندونيسيا حاكماً عاماً تضع في يده جميع السلطات . وكان يساعده مجلس استشارى خاص لم يكن له شأن يذكر في الحكم . ولكن ما كادت تنتهى الحرب العالمية الأولى وتهدب الحركات الوطنية في الشرق والغرب بتأثير مبدأ تقرير المصير الذى نادى به الرئيس ولسون قبيل انتهاء الحرب ، حتى نشب انثوره في مصر وإرلنده وبركيا والهند ، واضطر الهولنديون إلى إشراك الوطنيين في الحكم فألفوا مجلساً شعبياً من ٦ أعضاء كان نصفهم

من الوطنيين منتخبون له بطريق لا تختص غير المباشر. وقد قصروا اختصاص المجلس على جعب شؤون الضرائب والجمارك والمهجره داخل البلاد .

على أن هذه البلغه من الحكم اسباب م تسبب لهم الوطنيين لحرية والاستقلال : فأحد اساده الوطنيين ينقلمون صفوفهم ويوقعون صلاتهم بقيادة الحركات الوطنية في الهند وبورما والصين واليابان ، وبانوا يترقبون الفرص لتحقيق أمانيهم . وقد سحقت لهم الفرصه أخيراً عندما قامت الحرب العالميه الثانية .

ففى ربيع عام ١٩٤٠ اجتاحته ألمانيا هولنده وغدوت ملكها وحكومتها البلاد إلى انجلترا . ثم دخلت اليابان الحرب فأعلنت هولنده عليها الحرب فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ومنذ ذلك الوقت دخلت المسأله الأندونيسيه بل المسأله الآسيويه فى صور جديد من تاريخها . فقد بدأ عهد نفوذ اليابان فى شرق آسيا وجنوبها واستطاعت بعد انقضاضها على الأسطول الأمريكى فى مساء بيرل وعلى البارجتين الانجليزيتين الراسيتين فى خليج سيام أن تسيطر على مياه لمحيطين الهندى والهادى ، وأن تكتسح أساسها وهى فى دفعتها الأولى الجارفة جميع المستعمرات الأوربيه والأمريكيه فى شرق آسيا وجنوبها ، فاحتلت جزر الفلبين من الولايات المتحدة ، وشبه جزيرة الملايو ، وسنغافوره . ثم بورما من انجلترا ، وجزر الهند الشرقيه من هولنده ، والهند الصينيه من فرنسا ، وأصبحت اليابان تهدد الهند نفسها وأستراليا . ولبت الأمر كان مقصوراً على ذلك التفوق الحربى الذى استمر أكثر من ثلاث سنوات . بل كان ذلك التفوق الحربى المؤقت حادثاً بالغ الأثر فى تاريخ الشعوب الآسيويه ابى أذلها المستعمرون واستضعفوها فروناً طويله . فيها هى ذى اليابان الدوله الآسيويه ابى انتصرت على روسيا فى أوائل هذا القرن قد حالفتها آله النصر أيضاً فى هذه الحرب ، فانتصرت على ساداه البحر من الانجليز والأمريكان ، واستطاعت أن تستولى على سنغافوره تلك القاعده البريطانيه الحصينه الوافعه على خط الاستواء تحرس لبريطانيا طريقها الامبراطورى بين آسيا وأستراليا وبين المحيطين الهندى والهادى . لذلك كان انتصار اليابان بمسألة ناقوس عظيم جلجلت دقانه وسط هضاب آسيا وسهولها ، فأيقظت الشعوب المغلوليه على أمرها الصاسته على مضض ، وملاّت نفوب القوم ثقة بأنفسهم ، وأسلا فى التخلص نهائيا من سلطان الجنس الأبيض . ولم تكن الشعوب التى أخضعها اليابانيون وحرروها مؤقناً من الاستعمار الأوربى لهم كثيراً بأسلوب الحكم اليابانى وانسابه إلى

اضطهدوا الهولنديين أو الهنود. واستعبدوا المستعمره أو الحكومة لا تسطيع في
 كندجها أن تبحث فلسفه حكمه وأنوعه، وإتداهمها أمر واحد يؤثره على
 كل سبي آخر. ذلك هو إخلاص من الحكمه لأجنبي. وكان الهولنديون على علم
 بسعور الأهلى، فاستعدوه ضد الأوربيين ونفذ الجنس الأبيض عمده، وجعلوا في أساء
 احتلالهم تلك البلاد يهربون أهلها على فصول الحرب، فأفوا منهم حموس
 والعصابات وسلحورهم بمختلف الأسلحة. حتى إذا دنت ساعة النصر للهولنديين
 وأحسن الهولنديون بالمراب أجل احتلالهم لتلك البلاد ورزوا الوصيين
 سلاحهم ومؤنهم وعتدهم. وفاء الوصيين من كل صوب في بهند وبروما
 وأندونيسيا ولصين الهندى تتحدون ويتحدون لقتال أعداء الذين قد نكدهم
 أنفسهم باستعادة سيطرتهم على مستعمراتهم القديمة.

وذلك أحرره الوطنية في أندونيسيا قد أثبت قبل الحرب الأخيره عنتا
 من جانب الهولنديين؛ إذ اضطهدوا زعيمها الدكتور أحمد سوكونو وسجنوه
 أربع سواب ثم أعتقوا سراحه سنة ١٩٣١، ليفوه إلى جزيرة سومطرة. ولكن
 حكومته هولندية بعد أن شردها الألمان من بلادها ونقطعت صلاتها
 بأهلها في عرض المحيط عادب تحاول أن تجذب إليها قلوب أهل مستعمراتها.
 فأعلنت ملكه هولندية في سنة ١٩٤٢ من متاعها باجترار اعزام هولندية بعد
 أن تم تحريرها على من دستور اتحادى يجمع بين هولندية وأهلها في الشرق
 والغرب، ويمنع فيه الجميع بالحكم الذاتى وبنفس الحريات العامة التى يتمتع بها
 الهولنديون أنفسهم.

ولكن سرعيم سوكونو لم ينتظر حتى يعود الهولنديون إلى فواعدهم، ورأى
 أن يضعهم أمام الأمر الواقع، فاعتزم الفرصه عقب خروج اليابانيين وأعلن في
 أغسطس ١٩٤٥ تكون جمهورية أندونيسيا برياسته، واختار لرياسته
 صديقه الدكتور ساهريو وهو محام ساب درس القانون في جامعه ليدن بهولندية
 وقد أتر السجن في أثناء الاحتلال على التعاون مع اليابانيين كما فعل سوكونو.
 ولكم مع ذلك لم يتردد بعد ارتحال اليابانيين في وضع يده في يد سوكونو.
 ويعاون الأثنان على ضم الصفوف ومقاومة القوات التى نظمها الهولنديون لقمع
 الثورة. وكانت هولندية تمثل أول الأمر إلى الاستجداد بلولايات المتحدة، التى
 أصبح لفئدها الجنرال ماك آرثر مكانة فائقة في آسيا على أثر استسلام اليابان.

ولكن لحكومة الانجليزية عارض في تدخل الولايات المتحدة . وقالت إن أندونيسيا داخله في منطقة نفوذها . وعلى ذلك تقدمت إنجلترا بقواتها لمساعدته حليها هولندا في قمع الثورة بأندونيسيا . بل إنها لم تتورع حتى عن الاستعانة بقوات جيش الاحتلال الياباني . ولكن إنجلترا لم تثبت أن تفت عن مساعدته هولندا بعد أن أثار روسيا هذا الموضوع أمام مجلس الأمن سنة ١٩٤٦ .

وذلك بحكومة الهولندية قد ربيت شؤونها في بلادها ، فالتزمت بالعمل باسم الأندونيسيين ، وعينت الدكتور فان موك Van Mook حاكم عاما للولايات وقد فوضته في معالجته الحادة وفق ما يراه . وفان موك من مواليد الجزر الهولندية السريية ومن أنصار فكره التعاون مع الوطنيين ، فاجتمع مع زعماء الأندونيسيين وأنشئ لفرقة في نوفمبر سنة ١٩٤٦ على أن تعترف حكومة هولندا بجمهورية أندونيسيا في حاو وسموطة ومادورا برياسة الزعم سوكرنو . ومقابل ذلك تعترف أندونيسيا بسيادة الحاج الهولندي على الاتحاد الأندونيسي الهولندي الذي يشمل أندونيسيا وغيرها من الجزر التي لا تريد الانضمام تحت لواء الجمهورية ، وأن يترك للاتحاد الت في مسائل الدفاع والعلاقات الخارجية والتعاون الثقافي .

ويعرف هذا الاتفاق بمعدته « لنجوجاني » وقد وقع عليها السيد شاهيرير رئيس ابوزاره إذ ذلك . ووافق عليها البرلمان الهولندي . ولكن يبدو أن الرئيس سوكرنو وبعض العناصر المتطرفة لم يربحوا إلى شروط الاتفاق ، فاستغل شاهيرير ولكنته دعى إلى جانب الرئيس كسمسارلد . وتأييد أرادت هولندا أن تنهز الفرصة فمعى الاتفاق من أساسه وتعيد البلاد إلى سلطانها القديم ، فجهز قوه جديدة ما لبثت أن أغارت على أماكن الوطنيين في بونيه الماضي ، فأثارت بعدونها سخط العالم أجمع ما عدا الدول التي يهيها بقاء الاستعمار كبريطانيا وفرنسا وبنجبا . وارتفع صوت الوصيين من جو كجاكاريا عاصمة الجمهورية الأندونيسية ، وجأروا بالشكوى من البغيان الهولندي . وكان مندوب الجمهورية قد وصل إلى مصر ، وعقد مع الحكومة المصرية في يونيو الماضي معاهدة الصداقة ، فجاءته الأوامر بأن يرحل إلى أمريكا صحبه السيد شاهيرير للاستنجاد بمجلس الأمن وسائر الدول . وكانت هولندا تدعى أن القوات الهولندية التي محارب في أندونيسيا ، ما هي إلا قوه بوليسية تحاول استتباب الأمن وحفظ النظام في البلاد ، وأن أندونيسيا لا تزال قانونياً جزءاً من أملاك هولندا

وليس لها من الاستقلال والسيادة ما يسوّغ تدخل هيئة الأمم بشأنها . ولكن مجلس الأمن لم يسعه أن يتغاضى عن الخيانة الواقعة ، وهي أن هناك حرباً تدور رحاها بين شعبين في الشرق الأقصى ، وأن الواجب يدعو المجلس إلى التدخل لوقف الحرب ، فأدغمت هولنده ، وبحيث اجتمع في القنصة على سجل مسمماً لشكوى أندونيسيا . وقد أصدر قراره في أغسطس الماضي بمطالبه الطرفين بوقف القتال . ووصلت هذه الأوامر رحماً إلى الجهات المختصة ، ولكن الحالة عادت أسوأ مما كانت عليه بسبب حرب العصابات التي استفحل أمرها في أندونيسيا كما استمرى خطرهما في جهات أخرى من العالم في هذه الأيام (اليونان وفلسطين وكشمير) . وأخيراً تألفت لجنة ودية ثلاثية من بنجيكا عن هولنده وأستراليا عن أندونيسيا ومن الولايات المتحدة ، وقد فُصلت اللجنة إلى اندونيسيا ، وهي الآن تحاول حسم الخلاف القائم في هذه الأرجاء ووضع حد للقتال القائم فيها منذ ثلاث سنوات .

ويبدو أن الأسل كبير في أن تعرف هولنده بحق الأندونيسيين في أن يحيا الحياة الحرة المستقلة التي يرضونها لأنفسهم . فقد توالى النذر أخيراً بأن نجم الاستعمار قد أذن بالأفول . وها هي ذى الولايات المتحدة قد نزلت مختاره عن سلطانها في الفلبين . بل ها هي ذى بريطانيا سبده الاستعمار قد حررت من سيطرتها بورما والهند وهي التي كانت إلى وقت قريب قبلة الاسعمر وألع جواهره في نأجه . وبذلك قدمت حكومة العمل في انجلترا الدليل والتمساع على نهائه سياسة الاسعمر القديمة ، واقتراب عهد جديد لا تحكم فيه الشعوب ضد إرادتها . ولا تقوم فيه قائمة لشعب بضغى وببغى السيطرة على غيره من الشعوب .

محمد رفعت

الحج ... إلى شلالات نياجارا

الحج إلى الواطن الفريدة مختلف ألوانه .

فمنه حج ديني إلى البقاع المقدسة . يلتصق المرء فيها شفاء النفس ،
وصفاء الروح .

ومنه حج رياضي إلى ميادين الارتياض ، يطالب المرء فيها حق بدنه
عليه ، ويبغى النزهة والسلوى .

ومنه حج ثقافي إلى دور العلم ومجامع الرأي ومعاهد الفكر ، يتزود فيها
المرء زاد المعرفة ، ويقتبس نور الحكمة .

ومن الحج أنواع نعر على الاحياء ، فيها منقوس شفاء ، وللاذهان
متاع .

فأنا احج إلى شلالات نياجارا فهو - فيما أرى - حج شامل ، يخوض
دواعي الحج وبزاياه جميعاً . . . فيه من الدين قبسة ، ومن الرياضة نفحة ،
ومن العلم كلفة . . . وإني لأسميه حجاً إلى موطن الجمال الأصيل ، ومظهره
الأسنى : إذ أن الجمال هو غاية المل العلي في صحة الأبدان والأذهان
والأرواح !

يقف الصوفي الشاعيد أمام شلالات نياجارا فيستشعر إزاءها روح الله ،
ويؤنس من جانبها قبسا من نوره الأزلي ، ولا يلبث أن تتجلى له عظمته
الخالق وخالق المخلوق .

ويسرح الباحث نظره في تلك البقعة النائية من الدنيا الجديدة ، فيرى
ذلك العباب نلاطم أثباجه ، وتتخبط أمواجه ، وذأن هديره الصخب يعص
على انكون أحداث تلك البقعة التي شهد هودها الخمر مقيمين على أرباضها ،
يسبحون بحمد هذه الشلالات . ويقدسون اسمها ، وينصبونها إنشائها جباراً له
الطسوع والاذعن ، فلا ينوتهم في كل عام أن يزدلموا إليه بقربان نفيس :

عذراء من ربات الفتنة والسحر ، يلقون بها إليه . لسفح عديم برآه الرضا والغفران .

وإن رواد الطبيعة يشهدون من هذه الشلالات منظرًا عجيبًا ، فسءلون : كيف الخسب الأرض في هذه البقعة ؟ وكيف تدفق فيها الماء ، فراح يسبها سنا ، ويختلف فيها ضروباً من الجزائر والبطائح والوهاد ؟ وأما عواء الرياضة وطلائعها فحسبهم من هذه الشلالات روعة المشاهد ، وطيب الأهوية ، وسكينة المكان .

تناهى ذلك إلى أسماعنا ونحن في نيويورك ، فهاج أسواقنا إلى الرحيل ، قصداً إلى الشلالات . . .

وما إن بنينا عزمنا على الرحيل ، حتى أعددتنا العدة لهذه الرحلة ، وخرجنا عند انبلاج الصبح إلى محطة سنترال ترمينال في قلب المدينة . . .

وأنت إذا شرفت المحطة ، فلمحب بناءها الساسي ، حسب أنك دألف إليه ليحتويك قطار الرحيل . ولكن سداً ما يروعتك أن نعلم أن هذا بناء على سموفه وفخامته ليس إلا ناجاً للمحطة بعنلى رأسها . وأما المحطة نفسها فهي سارية في أطباق الأرض ، ضاربه في أحماقها ، نهبط إليها فإذا أنت تنحدر في ناطحة سحاب مقلوبة !

ما أجدد هذه المحطة بأن تسمى مدبنة وحدها ؛ فهي طبقات بعضها تحت بعض ، بكل طبقة طرقات وأبهاء ورداء ، وفي كل طبقة متاجر ومطاعم وأندية ، ولكل صنف مسالك يغدو فيها فتاراتها وتروح . . . وسى كل ذلك طابع من التناسق والنظام يأخذ بالألباب .

سضمنت هذه المدينة ، فيروقت أن تجوب فيها ، وترحل بين جوبها رحلة ربما صرفتكم عن رحلتكم المقصودة !

وأخيراً لا نجد سداً من أن نستهدى إلى قطارك ، فإذا أرسلت عليه دخلته في سلامة الله .

ويتحرك القطار ، تأله تستببر غور الأرض ، فحس به شئ جوفها شقا ، ويلتمس له من ضيقها مخرجاً .

ويبلغ القطار مأربه ، فيخرج على ظهر الأرض ، ميم صوب الشمال ، تستقبله أفواج الضياء . . .

وتمشي انظار لصيته . وهو ما برح في مناكب نيويورك تلك المدينة
سعد التي تبسط ذراعها ، فتحضن المرامي الفساح . وإنه ليخلل إليك أن
الفنار كئيعن ينهب الطريق . أسعد المدينة في مجرايه ، فكأنما هم
يتسابقان ، ككفرسي رهان . . .

وبعد لأي يستحسن انقطار أدله من مخالب بيت شمسه التي تمتد مبداهها
ومسرها ، حتى لحد لا تدع لغيرها شبراً من المعمور !

ما طشت بعشر ساعات في انقطار بين نيويورك ومدينه الشلالات ؟
إليك نحاسب لها حساباً عسيراً من الملالة والصجر ، وسكك ندهس إذ
سواصلت هذه الساعات وأنت رابه غير مدول ولا مضجّر . . . وربما كان
مردّ ذلك إلى ما يوافر في القطار من حلقة رخيصة ، وأسباب للراحة كافلة ،
وما نطالعت به الففءة من مساعد للمائن الصناعيه الراخرة بالحركة
والنشاط .

وإن انظار لبسلك إلى مدينه الشلالات وقد أدبر عنها النهار . في إن
بإرجح احضنه إلى الطريق العام حتى ينهد مواكب لأضواء في غير إزعاج ،
وينسعر أول وهله ذلك الهدوء السائل . وتجلّى لك ما طبع عليه المدينة
من رسافة ورفه ، فلا تلبث ذلك أن يلهيك عما نصبت من ساعات العشر
اطوال . وإذا أنت ماض في المدينه تدرع جوانبها ، مستوعباً ما فيها من
مباهج ومتع .

أكل خلباً بنا ، بعد عشر ساعات في قطار سيار ، أن تأوى على التو
إلى حجرتنا في الفندق نبتغي لأنفسنا الراحة والدعة ؟

عمرك ما كان لنا وقد أخلدنا إلى السكون على مقعد لا نريته طوال
مرحلة انقطار ، إلا أن نطأ أقدامنا من عندها ، وأن نروض أجسادنا على
الحركة والانتقال في ذلك الجو الرحيب .

بلده الشلالات أنيقة رسيقه ، سد من شواقي تتسامى فسطح السحاب ،
أو تتهاوى فتدرك الأرض السابعة . . .

لمدة قوامها شارع عظيم تشترع منه بمئة وسرة بعض المسالك والطرق ،
لا يعبك أن تلم بكل ما فيها أثناء جولة أو جولتين . في ساعده أو بعض
ساعة .

هي بلدة "سيح" ، يتوضح طابع اسسحه الأصيل على متاجرها ومطاعمها
وأنديتها وسائر مرافق الحياة فيها .

وحيث ترجع البصر في أطرافها نطالعت الحدائق الفساح ، ولغابات
الرحاب ، والجرائر والجسور ؛ كأنها لوح نقش رسمه في تخيير ألوانه الزاهية .
وإنت لسير في مسالك هذه المدينة ، فإذا أنت بقف القينة بعد القينة
ننصت إلى ذلك الدوي الذي يصافح سمعك لا يعرف له مأى ، كأنما هو
هافت بجواب بها الآفاق ، من بعيد . فتحس ها هزه ورهيه ، ولا تمك إلا
أن تمنع في الاصغاء لسنجلى ذلك الداء الخفى ، ما هو ؟ وما خصيه ؟
وكان دافعا مجهولا يثير فيك الشغف والتطلع .

وينتهى بك الصواف إلى الفندق ، فحتويك حجرتك ، وسقى بنفسك على
سرفتك ، فإذا الصوت يلاحقك . ولكنه يزداد من وضوح وجللاء ؛ فتجد
إحساسك كله قد تجتمع في سمعك ، لتتلقى به نبت الترنمه التي يعمر بها الفضاء ،
كأنما هي صوت الطبيعة يشدو ممجّدا عظمة الله !

وتراك قد أسبلت جفتيك ، يتغشاك سبات عميق . . .

ويدركك الصباح ، فتغادر الفندق ، طوعاً لذلك الصوت الذى ما يرح
يتاديت ، وتدع لندسك أن تنطلق ، فإذا بهما نحلانك إلى نبت الحدائق
العسرة ، قائمه على جزر وأسباه جزر ، وقد ترمى بجاذبه بساط من الماء
ينحسر البصر دون منتهاه . وإنه ماء عجب الأضوار ! ياره هو رقيق الخربة ،
وتاره هو أهوج عريبد ، يرافض بعصه بعض . كأنما هو يتوائم على
درج . . .

وتخترق الحدائق والعبات تملأ عينيك من مغنى الطبيعة المتبرجة . . .
نبت الطبيعة التي نلخذ لها هناك في فصل الخريف منقراً بسعاً ، وروناً
عجياً ؛ إذ تكتسى بذلك الرداء البهيج المختلفة ألوانه . . .

وأكرم ما يروعت مما يرى ذلك البحر المديد من أوراق الشجر ، بعضى
أديم الأرض كله . . . بحر فحل لا تخشى فيه غرقاً ، قدماك نخوضانه قسمع
لأمواجه خشخشة كأنما هي حديث ومناجاة .

ولا نمأ تسير وأنت نخوض هذه الأمواج من الورق في فرحة الطفل
اللعب ، ونشعر في مسيرك بالشجر تنفض عليك نثار أوراقه ، وكأنما هو

رذاذ سافط عليك في كل خطوه تحطوها ، فلا نبي تمصده عنك تتمضي في الطريق . . .

وحسب قلب النظر ستبلىك الطبيعة بزيبتها : أشجار ما برحت مخصرة راعمة . وأخرى صمدت ألوانها بين صفرة وحمرة ، وأشجار تعرب من أوراقها ، فهي تجمع وسكس أمام هباب النسيم كأنما تستخفى من أعين الرعاء . . . سراً ما تبين أنوان الطبيعة في حدائق تلك المدينة ، ودأن النبات وهو يودع فصل انور والنفح يرغب قبل استكانته في فصل البرد أن يستخو بكل ما في جعبته من فتنة ورواق .

ألس من سفارات الطبيعة أن تبدو الأشجار عربانة في فصل البرد ، كاسية في فصل الربيع ؟

ألس فكرك ممدا ، يسفر لك السر . . . إن هي إلا خطه مرسومة ، وفق نظام طبيعي دقيق . . .

السنا جهامه وأهوية ، ما أقل ساعات النور فيه ، فالناس في مُعَسَكَتَاتِهِم يصطفون ، لا هم لهم إلا النجاء من وطأه البرد وقسعريرته ، فيهب منهم النقات إلى زهرة تتفتّر ، أو سجرة نورق . فقيم بتزين الأشجار وتحتّى بالأزاهير ؟ ولم تبرز الطبيعة وقد أقترت المسالك من العيون ؟ فأما فص الربيع ، فيه سطع الأضواء ، وبطول عمرها في فسحة النهار ، وفيه نعتدل الأجواء ، ويضرب الهواء ، فلا يملك الناس إلا أن يخرجوا أفواجا يملأون الرحاب ، ويسون الطرق متمليا بحاسن الكون ومفدى الطبيعة ، وإذن فقد آن بشجر أن يسرج ، لبصيرة الأبصار ، ويسبي الأبواب . . . بسست الطبيعة إلا غانته ، فصارى همها أن تنصب حبالها في أنسب الأوقات اختلاباً للقلوب واجتذاباً للعجائب !

ها أنت ذا تتمضي في طريقك ، فتحس أن قدسك تسيران بك في نهج معلوم ، إلى غاية مرسومة . وكلهم قطعاً سوياً توضح لهدير واستبان عصمته ، فإذا أنت خافى انقلب واجبه ، وإذا أنت تحت خصك مخرباً بك الحدائق والشاره .

ونصحو وتبدأ من نشوتك . فتعرف أنك لس في هذا المكان بأوحد ، هن وهنالك زوار غير قليلين ، ليسوا وحدانا ولا زرافات ، وإنما هم أزواج من

ذكر وأنتي ، كل اثنين حالين لنفسيهما بح عربش ، أو خلف خدّه ،
أو مدرسين ذاك البساط الصريف من ورق السّجّر . . . وجوههم جميعاً
بواضق بالطلاقة والبسر ، فهم يستمرّون أدهى ساعات العيس ، وأحلى
أوثقات الحياة . . .

إنهم في مستهلّ أدم العرس . . .

ومن ثمّ لمُتَّيَّسَتْ تلك لمدينه تدميه شهر العسل ، يخيف إليها الأرواح
الجدد أفواجاً يغتمون فيها مناعاً وبهجد . وهل يجدون لأعراسهم مثابه أروع
من تلك المثانة التي خلعت عليها الطبيعة أنفُس هباتها ، وخصنها بأجمل نفحاتها ،
وكستها صبغة من السكينه والهدوء يعزّ وجودها في ذلك الوضن الأمريكى
الصاحب العجّاج ؟

وأنت إذا تبادأت حضائك ، لم يلبث الصوت الهدّار أن يستحث حتى
المضى غير وانٍ حتى تبلغ المكان المقصود .

وعندك يبين لك أنك على ربوة ترتقى دونها المهاوى البعيده ، وعلى
تيمك وشمالك تنصبّ الحجج في نيك المهاوى غاضبه فوّاره . وإن هذه الحجج
لنندى بنسبها ودقاً ، كسائب كسائب يزحم بعضها بعضاً في منافسه وغلاب .
وإنك لتشهد ذلك الصراع الفريد ، إذ تخرص كل كتيبة من الموج على

أن تسبق غيرها في الظفر بتلك القفزة الرائعة على صدر النهر السحيق .

وب هي إلا أن نحس في نفسك نزعه إلى مجاراه هذه الكتائب المنمره ،
طلباً لتلك النشوة العظمى ، نشوة الوثب والانطلاق . . .

وإذا أرسلت بعرك ترمب نيك الكتائب ، وهى تتسانط في حميتها
وتشوّتها ، بهرك منها ما يلمح من أنجره ناصعة نتخذ منها الشمس غلائل
ترسم عليها نوسها القزحي بأصباسه الزاعبه ، وألوانه الفاتنه . . .

ولا بد أن يسبب بك الشغف ، فتصمخ نفسك إلى رؤية نيك الكتائب
المعاربه في مستقره ، حمت بسبقيلها النهر ، ونفسح لها في مجراه طريق الخلاص .
وإن فعيك أن تجهز لمعارمه صغيره مأبونه ، سدوّع فيها بما يقيك
البذل . إذ أن مكانك هناك عن شب من حضن النهر ، نهمر دونه قلول من
نلك الكتائب الهاوية .

وحسبك في هذه المعامره أن تكسى رداء سابغاً من المطاط يشمك من

الرأس إلى القدم ، فكأنما أنت قادم على صمد بحري عظيم أخطر . . .
 من هتت بك المصعد ، واحتواك شاطئ النهر ، فأنت من الموج المتساقط
 تجاه سار عذبة أو غمهم كسيف راعب صوته ، كأنما هو زئير حافل
 لجذب من سماع ضاربة في فلاة مهجشة ، أو لكأنه بركان قد ثار وفور ،
 وراح يقذف بالحمم ، ويرمى بالجنادل والروجم . . .

يا لهول ! أهدأ يوم الحشر ؟ وتك أصوات الخلائق في عجب وعجيب ؟ . . .
 هذه هي الشلالات الأمريكية ، وذلك هو الشاطئ الأمريكي .
 وعلى مسافة البصر نراهى لك الشاطئ الكندي بشلالاته ، وقد لا تقع
 بما تهبط من ذلك السطر ، فتأبى إلا أن تسكمل متعتك بما هناك ،
 فعبير النهر على جسر العظيم ، جسر فوس قزح ، وسلك تنقل من وطن إلى
 وطن ، وننصل عن أمه إلى أمه ، أرض جديدة ، وسدنة حقب بمدينة
 الشلالات الكندية ، نلتها علم آخر ، ونعوم عليها حكومة أخرى !

لقد اتممت بريطانيا وأمريكا هذه الشلالات ، فكانت بينهما منصفة ،
 ولكن التسعة لا تعرف ذلك التقسيم السياسى ولا تقيم له وزنا . . .
 ليس بلد الشلالات الكندية إلا صورة من بلده الشلالات الأمريكية ،
 أو هي تكلمه ها . ما تجده هنا بعد مثله هالك ، حتى رساقه الدور ،
 ونظام المسالك والحدائق . . .

على أن روعة الشلالات الأمريكية لا تنجلي وأخذ المفاتيح إلا حيث
 يأخذها بصرك من الشاطئ الكندي . وأروع ما تكون إذا دجا الليل ،
 وراحت تكسى من سواطع المصابيح الكهرومائية تحتة الألوان حلة رفاقة
 ساحرة .

هنا تتزوج صبيحة الطبيعة وحشمة الانسان ، فتألف من ذلك
 التزاوج منظر يسمو بك من حدود الحقائق الواقعية إلى آفاق الخيال .
 وكأنك وأنت ترقب هذه الشلالات تحت الأضواء الباهرة قد امنطت
 الجواد الطائر المسحور ، فطوح بك في عوام حفة من كحلى الأساطير ،
 ولا تدب أن يخيل إليك أنك تشهد جسيم دانتى وأن هذا الماء الكثر
 الوهاج الذى تعدد ألوانه ليس إلا جيباً من جوانب تلك الجحيم نلهمب
 سعلها ، وبصمة دخانها ، ويدوى زفيرها . بيد أنها حجم طيبة

بأمونه لا تشعرك خوفاً ولا رهبا ، ولا صلبك من دوحها سواظ . وإنما
تملاً قلبك فتنة وروعة ، وتثير بين حناياك عبادة الجمال .

إنك لنض في وقتك ، غافلاً عن وقتك ، يحول بك جوادك المظان في
مدكه الخيال الرحب ، منفلاً من أذى إلى أذى . معرض غيبك أفق ما في
الوجود من مناظر وصور .

وما تزال في عموك . بل في نشوك . حتى يتلف لك نسيم الليل .
فعبائك بلمساته . فصحو من أحلامك . راجعاً إلى دنيا الواقع ؛ ويستند
دثارك لتحكم وضعه على كنيث . ويذبح بخضك إلى مسرك . وتأت
آيب من مقر بعيد الشقة ، جرب فيه يأمد من الحطب الخوالى .

ويستضيفك مكانك من الفندق ، فتمضي متصفحة تلك المصورات التي
تقص عليك نبأ الشلالات وتمثل لك مفاتيحها ، فيستريح بصرك منظرها تحت
وطأة الشتاء .

هذه الكنائس الصخرية العريضة من الموج تكبح جماحها البرد .
فتقلب كتلاً صاماً ساكنة . . .

بينما هي متأهبه لوثبها الخريشة ، إذا هي قد جمعت بعث واسحل
ماؤها السيل جلاميد من صخر أملس .

إنها ما برحت في وضعها المائي المتواصل الدقيق ، إلا أن كائنهم وحي في
مهيضها قد نصب حركتها . وتماسكت متعك بعضه تبعث . تأمنا قد يبعثها
ما يروع ، فوقفت مستسلمة ليس بها حراك .

وإن منها كنائب أدركها الشر وهي في رأس شلال على وسك الانحدار .
فبثب معضه على فم الهاوية . لا هي بتأذره على أن تزد . ولا هي بتأذره على
أن تواصل وثوبها إلى القاع . . .

هي من أمرها في حيره وذهتن ، تتميز نبط من عجزها وجمودها .
وها هم أولاء رؤاد الشلالات الذين كانوا بالأسس يرهبون سطونها ، ويحذرون
الدنو منها . تراهم اليوم يتواثبون على مسونها في غير محاذرة ولا رعب .
يسخرون من جمودها ، ويشمتون بعجزها !

وتد كنائب أخرى . باعته البرد في مصنف المتهوى ، فجمدت
واسدت دونها السات . يبدو بمواسمها السارع مصلوبه تزدت رؤوسها

بأمراس إلى الحافة . وُجِدَتْ أقدامها إلى قرارة الهاوية ، فهي مائلة في أغلالها تنتهبها العيون !

ما من كائن حي إلا له وقت راحة ودعة . . . فما لهذه لشلالات نَسْأَىء حكم الطبيعة ، وتضييق بحكمة الوجود ؟

إن الساء لنسج لها قرصة للمصمب واهجوع ، تستجيم ونستجمع ، منهية لصراع جديد .

لنس منظر الشلالات نساج بأهون من منظرها في الصيف . ولكن المرء وسُوءٌ أبدأ بالحرارة والصخب . يؤثرها على الجمود والنوقف ، ومن ثم كان الصيف هو الموسم الأعظم لبلدة الشلالات .

تنوافد على هذه الشلالات ألوف مؤلفة من الخلائق ، يحدهم استوفى والتطلع . ويحتذبهم مغتطسنة عجيبة تكمن في تلك الأمواج الزواخر . و كأن هذه المصفة القردة كعبه يتعبد لسحرها اليسر من كل جنس ومن كل صقع . ولم يعوز هذه السكعبة من تنوافر مختلف المعابد والمواطن المقدسة من ألوان الرلقى وصنوف القرايين . فادا كانت المدنية العصرية قد اكتسحت أمامها عادة الهنود الحمر الذين كانوا يزدلفون إلى الشلالات بعرائس يجذبنها لها في الحسول بعد الحسول ، فان البشرية ما زالت تقدم من ذات نفسها قربانات لذلك المعبود العظيم . ثمه عن كتيب من رأس الشلالات جسر بلفيونه « جسر الانتحار » يتهاوى منه الناس إلى السلالات . فيثفانون فيها . وقد سجل الاحصاء جملة من الخلق ، يلقون بأنفسهم إلى المهوى كل عام .

تري هل يدفعهم إلى ذلك ضيق بالحياة . ونسوء بالهموم ؟ أو هو دافع كين من سحر الشلالات يحدهم على أن يبذلوا أنفسهم في سبيل الموج ، ملتسمين تلك النسوة الشائقة ، نشوة الوثبة العظمى ، والاندماج الأكبر في تلك السكائب العارمة التي ينطوى ركبها الجبار على أفار وأسرار بعيدة المرمى عصية المثال ؟

مررت عجباً لا أياماً في نياجارا ، ورجعنا من هذه الحجة قد أدناها نساعزها من روركه ومناف ، تاركين لغيرن ممن ملكتهم صوفسها أن يقدموا لها القريان ! . . .

على قبر بتهوفن

« عزاء للرؤساء أن يعرفوا بأئسا مثلهم استطاع بكل
ما أوتي من قوة — وبرغم ما أقامته الطبيعة في طريقه
من عوائق — أن يرقى إلى مصاف رجال الفن ، بل
الرجال فحسب ، الخديرون بالقدر . »
بتهوفن في « وصية هايلجنشتات » سنة ١٨٠٢

« خفف الوطء ، ما أضمن إلا أنك نسوي أرضنا منفسد . صاح ! طال بك
الموى ، وطوح بك الصواف حتى جاء بك أخيرا إلى الأرض التي تضم روت
لودفيج فون بتهوفن . »

يمثل هذه الكلمات ، أو في الحانة السعورية التي تعبر عن هذه الجميل .
جنزت باب المدافن المركزية Zentralfriedhof بالحي احدى عشر (زمبرج)
من أحياء فيس ، ذات يوم من صيف ١٩٢٩ ، يحد عن قبر بتهوفن . ورنى لأشهر
يمنه أو يسره ، وأندم إلى الأسم أو أعود أدرحي مسترسد بالكسب لدللى
في يدي ، مجازا معبر ، رجب اسلام . « أُنك عرفت طرعت أنها المشارف .
فهذه المقبرة الفخمة ، مرفوعة على عمد من مرمر هي ولا شك . . . كلا .
هذا قبر باسمهدينس لبيديت فينا . تم هفت قبر أسره شيخ البقالين .
أو هو وزير الدولة ذو الحول والطول ؟ وهتا . . . فا . . . يجنب . . .
وم اجتهيمرات . . . مستشر ملكي . » أدور بين المدافن أطالع الأسماء فوق
الأضرحه الكبرى ، أسماء أولئك اتهوليين العظماء ، عاشوا بين سمع الناس
وبصرهم لحض مراكزهم في الدولة أو في التجاره والمال ، ثم هم يحفون
في التراب ، في تراب الساريخ ، مهما بالعوا في تزجيج حواجب رسومهم
وتزويق صدورهم وأعجازها . السلام عدكم يا أهل القبور ! وعلى ذلراكم
العفاء أيها الحمقى . يا أهل الغرور . عشرات الآلاف منكم ومن أسباهكم

لا سرون أئمة سادى الانسانه الأ كبر ، ومعصر نهر الآلهه ، لودفيج
فون بهوفن .

« خفف يومئذ ما أضج لأرسى إلا . . . خفف الوطاء ما أفن إلا أنك
عزى رفا مديته . صاح ! ولكن أين القبر الذى عبرت فيه لأفك به خفف ؟
يا أهل فينا ، لأحياء منكم والأموه ، هل من بدلى على قبر الرجل العظم ؟ »
وكنا سبب فى امكبات المرسى سار دائما فى اتجاه القبر رفيع العدد . . .
لباسهم من مديته فمنا . وبجك يا كبر المهندسين ! ألا نرفع من شأن
همديك ومديك اليوم ؟ ويح ميرلند بحالى يحجب ركن الهادى وانرجبه
القدسه حب يوفد بهوفن إلى جانب سوربوت ، إلى جانب برامز . هكذا
أرادت فينا أن نجتمع الرقاب من هنا وهناك لننسى ما أسمه ركن الموسيقيين ،
وهو ركن شير جسر بهم خلف ذلك الصريح الصنف الذى أقامه لنفسه
بسميهم من المديته . ويل عزب ارفاب حتى أهل فينا ، لا عنهم . فمثال
يقيم نصب وتمثلا لذلك القتل الامى ، مدلل أهل عبقز ، فنجانيج أمادوس
موزارت . دس بتدبر الصدقه ذاب يوم مقارن به سمح للمسعيرين بالسفر
إلا فى باب المرفه . وب عاد الأصده بعد أسبوع يزورون المرحوم ، كان
حشار السور دهم مقاء ربه فلم نسمتعوا أن يعرفوا قبر موزارت . من
التراب أنت يا موزارت ، وإلى التراب تعود !

أما بهوفن فقد صحت فينا ذاب يوم من شهر مارس سنة ١٨٢٧ ، لعم أن
رجل العبرى مات وذنب عسرون أما من أهلها بشعون جنازه لودفيج
فون بهوفن . ولو قدم كل منهم دائه أو درهم ليعترى فى أيامه الأخيره ،
لما احاج إلى صعب المعونه من اجمعيه بفيارمونييه فى لوندزه . ولا يصعب أهل
فيما إلى اليوم ، وربما كن إلى غده وبعد غده ، إلا أن مذكرهم بأن النهارمونييه
اللندنيه وحدها ، هى التى خفف إلى معونه بهوفن فى عوزه ومرضه الأخير .
ونحن لا ننسى لها ذك المكرمة ، وبهوفن فى أحاديثه وخفيايه الأخيرة يريدن
أن نكرم دائما أريجيه تبت الجماعه .

نعم أهل فينا على معنى استعريض بهم ، حين التجأ رجلهم العظم إلى
الجمعيه الانجليزيه ، فراحوا يلونون سمعة خاصته بمناسبة سبعة أسهم متواضعة
وجدت فى خزائنه المتوفى كان يحرص عليها بهوفن حرص البخيل ، لتكون

إرث ابن أخيه الضال . فكذب صديقه ستدler إلى موسيلس في لوندre برجو « الدفاع عن شرف أصدقاء بتهوفن والجمعية الفهارسونية بتعاقبه السفلة Kanailen Volk . يجب على الجمعية الفهارسونية أن يذبح معرفه لوندre بأن الحفلة الكبرى التي عزفت فيها السمفونية التاسعة والعداس الحافل لأول مرة ينسأ في مايو ١٨٢٥ لم تجلب لبتهوفن غير ثلاثمائة فلورين من الورق بعد أن دفع كل المصاريف ، ومن ضمنها ألف فلورين لأداره المسرح ؛ وأن المشتركين لم يدفعوا داتقا واحدا لمقاصيرهم ؛ وأن بتهوفن ، وقد دعا شخصا أعضاء الأسره الامبراطورية لم ير واحدا منهم يحضر الحفلة . وأنه لم يرسل واحد من البلاط فسا الخ الخ . . . كل هذا يجب أن يعرف ويذاع . إن فيه ظلت تعلم بمرض بتهوفن مدى شهرين ، فلم يفكر واحد من أهلها بحالته ولا بصعوبانه الدلية . ألم يكن من حقه في هذه الظروف أن يطلب المساعدة؟ فوالله لو لم تبادر الفهارسونية إلى معونته لما ت بتهوفن ودفن مثل هابدن يشيعه خمسة عشر نفسا ! »

وقفت على ضريح بتهوفن لحظات ألبو اسمه على صناع رسمه الرمري تعلوه مسلة قصيرة حفر عليها رسم فيثا ، وأستعرض حياته من سقط رأسه في بون على نهر الراين سنة ١٧٧٠ حتى وفاته سنة ١٨٢٧ بضواحي فينا . لحظات فيها من المناجاة ما يعرفه كل من حج إلى قبر عزير .

ولقد تعقبت آثار الموسيقى الجبار بمدينةته ، فزرت بعض المنازل التي سكنها في هايلجنشتات ونوسدورف ، ومنها ذلك المنزل المتواضع ، يصعد إلى مسكنه من فينا داخلى على سلم يغطيه البلاط ، حيث ألف سنة ١٨٠٣ سمفونية البضولة « الارويكا » . وقضيت الظهيره وما بعدها أتمشى في ذلك الركن من غابة فينا الذى يعرف اليوم باسم بتهوفنجانج ، والذي كان يرناده وهو يفكر في وضع ألحان سمفونيته الريفية « الباستورال » . ووقفت بتأيمه العديدة المقامه في سيادين فينا وستزهاها . وفي كل روحاق وغدواق تتجاوب ألحانه في رأسى ، فيختلط لحن «السونات إلى كرونزr» بنغمات السمفونيات التاسعة والسابعة والخامسة والسادسة ، ويتألف كونسرتو الكمنجه بكونشرتو الامبراطور أو بأبغام الأباسيونات والكوانيور الرابع عشر .

ذلك لأن ألحان بتهوفن اتصال بصميم حقائق الوجدانية والعافلة اتصالا

غرب . فحلب اسمفونية السابعة أول ما سمعت من سوبتاف بل من الموسيقي
السمفونية على الإطلاق ، وحاسنة والسادسة أول ما فهمت ، والتاسعة أفصى
ما ارتقت إليه روحى صعوداً إلى قمة المثالية ، فى جبال الفن ارفع .

كنت أستمع ذات يوم إلى إذاعة عربية عن يهوفن ، إذ حسبت
— وسنى ما حسب — أن يلقى وأهل بلدى بدءوا يدركون من هو
يهوفن ، وما هى الموسيقى التى رفع من شأنها يهوفن ، أو أن هناك على الأقل
من بينهم من يسر بموسيقى يهوفن . وإذا صاحب الاذاعة « يمثل » حياة
يهوفن بسبب النتيجة المموجة التى عودت إليها مثلوا الصبغة الثالثة . . .
. . . والأولى ! لهجة يخلط فيها نوح الساديات بغير الحساسين وروح الرادحاب .
لقد « مل » الأهمى بحجة يهوفن ، دون أن يسمعا أخانه . إذ يبدو أن
حياة الموسيقيين هى آخر ما وضنا انعزم على معرفته هنا . أو لعل اسعاه
ولسقاء ، واعويل والبكاء ، هى كل ما قدر لنا أن نسمع به فى حياة الموسيقيين .
أم موسيقاهم فبيننا وبينها ، والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، بالذى
أسكر ، واحمد لرب مصدر ، وما إلى هذا من مفالك المفلاوكين ونشيح النسولين .
ذات حياة يهوفن حياة سقاء وبعاهة حقاً ، وكانت كتبنا متواصلاً لجميع
عواطفه . لبيلة نسرئب نحو احب والصدافه والزواج والأبوة . فتخدع
فى حياها لمره نلو المره ويعيس الرجل وحيداً سفا . ثم بصاب فى سمعه
فبحوى اجتماع ، وهو محب للاجتماع فى المائدة الأرسطوقراطية . وأخيراً يبنى
ابن أخيه . فسيلور حول هذا العيسى كل عوصف الأبوة ، ثم لا يلقى من ذلك
المفاسر النجس إلا السفه والتكران .

يبد أن ما ينساه الذين لا يتكرون بغير حياة يهوفن ، أو ما يجهلونه
فى الألعاب . هو أن موسيقى يهوفن ترتفع بصاحبها وسماعها إلى مجال من
السهل والفرح لم يصل إليه موسيقى من قبل ومن بعد . ولم يجد النقاد ما
يصفون به السمفونية السابعة . . . « تمجيد الرقص » على حد تعبير رشارد
فجنر . غير نسبتها إلى ديونيزوس إله النسوة المتقسمة ، أصل المسرحيات
الأغريسة ، فقولون بأن الجدل الصادر عنها هو « فرح ديونيزيدى » .

ليس أبعد من يهوفن عن ألحان الأم التى بدوى مثل السمفونية المؤرّة
« البانيتيك » لتشايكوفسكى . حتى المارش الجبائزى فى سمفونية يهوفن الثالثة ،

أوفى سوناتة البيانو ، لحن يستوحى جلال الموت في رجوله ، ويحزن للمصير
البطل حزن الأبطال على الأبطال . ومهما صدرت ألحان بهوفن المطيئة
— والحزن من صفات اللحن البطيء غالبا — عن آلام نفسية تؤر في سامعها
تأثيرا بالغا ، فإن السامع لا تتقبض نفسه كما تتقبض لسمع بعض لحنات
شوبان المريض . أريد أن أنفي عن بهوفن أية صفة من صفات *morbidezza*
الرومانتيكية . وإنما ترتفع موسيقاه الحزينة ارتفاعا يشبه في كثير ما تخيله
عن الارتفاع إلى الأوج الصوفى . وألحان بهوفن دنيوى دائما برين السرور
والانصرار . ولصفتها الغالبة حلها هي صراع بين المساعر السافضة ، بسبى
دائما دنصار النمان بعنه على صفائر الدنيا وستاعب الحماة . وهذا النعير
تسجه اعتصار رجن الغن لنفسه ، وتتعبير روحه بغيرها يرفع بها عن الدنيا .
وبستخرج من علمه الحدة والتجارب . خلاصه السهد الغيب والخسر المعند .
أثر هذه الموسيقى في سامعها ، وفيمن يوقعها ، لا يمكن أن ندانيه أثر
موسيقى أخرى . ولقد نكلمت في موضوع آخر عن النشوة التي أسعربها وأنا
خارج من قاعة الموسيقى السمفونية ، وجديها كان من أثر موسيقى بهوفن .
وأذكرها ، فما أذكر ، أسسه بتاعاات السمفونون ، من تحت الأمساب الى كان
أوركستر الطلبة يجتمع فيها ليوقع ستي الققع السمفونون . والرئيس يوزع على
أدراجنا موسيقى السمفونية الخامسة (دو مينور) . وإذا بذلك الأوركستر
الغلبان الحائب ، السكون من ضعاف الهواء يهتز هره رجن واحد ، ويسير
في إيقاع حركات السمفونية كلها من أولها إلى آخرها في سبه نشوة غلوية ،
دون توقف أو تردد . وإذا بنا ورئيسنا يعد آخر مازورة قد عرتنا دهشه
بالغة ، فلا يد أن أسرا ما قد حدث حتى نوقع السمفونية بهذا المزاج وبمثل
ذلك التوفيق .

الحقيقة أن السمفونية الخامسة من أقرب السمفونيات إلى ننوس عشاق
الموسيقى . ولقد سمعناها عشرات المرات ، وأدركت تماما أثرها في نفسي وفي نفس
السامعين . ففي كل مرة أسعربحدث جلل يمتد على الأفئدة وعيها وإحساسها .
وليس هذا شأن السامعين في عصرنا وحده ، بل في العصور الماصة أيضا ،
وفي سنة ١٨٢٨ بانذات ، بعد مضي عام على وفاة بهوفن . سرب في جهمرة
السامعين قشعريرة إجماعية على أثر إيقاع السمفونية الثالثة — لحن البطولة

اسما وفعلا — بناعه دونسرفوار باريس « كانت هرة الاعجاب بهذا الانتان قد بلغ أقصى عيانه ، وعلى الغاية التي تتعدى حدود الثقافة البصرية . . . لم يكن سببنا وكنجنا نسمعها ، وإنما هو العالم بنحرك بكلمه . . . وإني لأسأل من ساطرونا هذه السعور من السامعين : أذنت بيت الموسيقى من نمل البسر ؟ » فقل هذا هو الناقد والمؤرخ الموسيقى الكبير فيس . أنا الموسيقيون قد نردوا في الغيظ والكمد ، أو صرعوا بين العجب والاعجاب . وأرنج على أستاذ برليوز فلم يحرقوا أول الأمر ، ثم عاد إلى منزله وود لو أنه لم يسمع . عاد كما يقول برليوز وهو لا يعرف مكان رأسه . ثم هو يثوب في رسده فلما يقول لسمذه بانهجه جافيه : ليكن ما يكون ، يجب أن نتجنب تأليف مثل هذه الموسيقى !

فيرد عليه الموسيقى الفرنسي العظيم برليوز بلحمته التي حفظها له التاريخ كما حفظ موسيقاه :

« اطمئن يا سبدي الأستاذ . لن يؤلف أحد كثير من مثل هذه الموسيقى ! » وصف برليوز حفلة سنة ١٨٣٤ لإيقاع السمفونية الخامسة : « ولناس حماري أمام تلك الموسيقى الغلابة التي تنهض لها الجمهور منذ مطلع حركتها الختامية ، فيغضون بحمسهم على صوت الأوركستر . هذا إلى أن شعور الآلاتية بهذه الموسيقى كان يمتك عليهم وعيهم امتلاكا . والناس ما بين ضحك وبكاء . . . ومدام مالبيران (المعنة الكبرى في ذلك الوقت) يغمى عليها في مقصورتها . . . وضبط من ضباط نابليون القدامى يرفع ذراعهم للسمه صاخا : هذا والله هو الامبراطور . . . إنه الامبراطور ! »

قال رومان رولان : « مثل هذه الموسيقى تسع سحرا خارج نطاق العقل . لأن ذلك الأرفيسى اللى ألفها كان ، من بين جميع فاني الغرب الحديث ، أكثر الفنانين نشوة إلهية . كان فريسة القوى البدائية ، كان رجل الالهام والتصور السوي في أقوى ما يصل به الوحي من عنف التركيز . وإن قوة التركيز هذي هي أولى الصفات في عبقرية بهوفن ، بل هي الصفة الأساسية . . . » وأيا كان اللحن ، أبنه كانت الحفظة من لحظات اللحن ، صفحة منه

أو جهة ، فذلك نشعر بكيان الرجل يغوص في بحار الفكر غوص . . . وهو في لحظات التحلي كان يبدو كمن أصيب بمرض ، لأنه لم يعد تلك

نفسه ، وإنما هي المكره استحوذت عليه . أبنت وجد ، في الطريق العام ،
أو في التنزه ، أو بين الناس . فالعالم يتلأشى حوله إذ ينضوي على صور شخصيته .
يطارد الفكرة حتى يأخذ بتلايها فيلويها بين يديه ويحضرها حتى ليبرج بها
امتزاجا ، ثم هو لا يخرج عنها إلا وقد حوّلها إلى صور متعددة . . . ذلك ما
يحس به السامع لموسيقى بهوفن وهو يتابع إبداع النغم وتواليه ، ويتأثر
بتحولاته وبصوره . ينزل إلى ظلام أعوازه ، ويرتفع إلى أنواء فنائه . . .
بهوفن هو اليوحي الغربي . ذلكم هو سر سيطرة موسيقاه على الناس في كل
زمان ومكان . »

O Freunde, nicht diese Töne ! sondern last uns angenehmere
Anstimmen und freudvollere !

Freude ! Freude ! Freude, schoener Goetterfunken,
Tochter aus Elysium !

يا جنوده الفرح . يا بنت وادي الهناء ! أيها الغبس الألهي الحامل !

عندما هو مطلع أود (قصيدته) شمس ، الفرح ، التي ختم بهوفن بملحيتها
آخر سمفونياته . وكان الفرح والتعبير عن الفرح أجنى أمل بهوفن منذ أيامه
الأولى في مسقط رأسه حتى ضفاف الراين . وما هو ذا بعد أن حطمت الحياة
وطحنه الآلام . وفضى المرض على سمعه ، وهدت الأوصاف من بيته لقويه ،
يضيف الصوب الآدمي إلى السمفونية لأول مرة في تاريخ الموسيقى . لأن لم
يكفه ما تحطه طول حياته من أوضاع في السمونات والكونشرتو والرباسه
واسمفونيه ! هذا هو مدح القصيده لرباعي الأصوات ، وهذا بين الرباعي
والخورس حتى آخر السمفونية التاسعة . وفي ذلك يقول رومان رولان :

« عندما يجين دخول لحن الفرح لأول مرة في السمفونية ، يوقف
الأورستر فجاء فعم السكون ، مما يطبع دخول اللحن بصبح السر الألهي .
أجل ! إن هذا اللحن إنه يهبط من سمائه مترملا في أردن علوية . . . يلفظ
الأحزان بأعماقه الرقيقة ، ويسبح البرء في الغلب المخوم . يبدأ اللحن هادئا
كظيما على صوت القرار ، ثم ينتقل على ضربات المارش إلى بقية أعضاء الخورس ،
مشية الجحافل . كأنه يصرع الآلام في خضاه الظافره . ثم يرتفع نشيد التنور

حارا منقطعا كأنه أنفاس بهوفن وهو ينجول في الأجسام تحب وحي الانعام ،
وصوته يرتفع بين الأعصان المشابهة وقد أصابه مس كأنه المثل لير وسط
العاصفة . ثم ينتقل نحن الفرع من ذلك الانقاع الحربي إلى السجلى الدينى
وانسوه المقدسة . هذه هى الانسانية تنتفض وترفع الأكتف إلى السماء تردد
صيححاتها ضراعة إلى الفرع حتى تضمه إلى صدرها . »

ذلكم هو بهوفن الذى يتمثله بعض بنى يومى ندبا محترفا ، ولعلمهم
يحسبون . . . موسمارا . إنه الفلسفة والسعر والفن اجتمعت في رجل .
قمة من قمم البشريه في وادى عبقر . هوميروس أو أفلاطون أو شكسبير ،
بل الثلاثة معا . الرجل الذى اجتمعت فيه ملكات الشعور الدافق إلى جانب
الاحساس الرفيع ، إلى قوه خارقة على التأليف في عالم النغم معبرا عن
إحساساته وأفكاره في انعطاف ووازن ووضوح كانت في تكوين قدرته على
الخلق عبقرية الأوائى من سابقه : يوحنا سباستيان باخ وهندل وهایدن
وسوزارت . كما أوسعت تأليفه للأجبال التى بنته ، والعبقرية التى استارت
بنيراس موسيقاه آفاقا جديدة للخلق والابداع .

لودفيج فون بهوفن ، الذى ولد على صفاء الراين سنة ١٧٧٠ ، ومات
بضواحي فيينا سنة ١٨٢٧ . وعاش شطرا من حياته فاقد القدره على سماع
موسيقاه بأذنه . وإن كتبها بقلبه ، وسمعها بروحه ، وتحيلها كاملة الأداء
في جناحه .

فلننصت إليه ونحن واقفون بمحدثه ، في ركن الموسيقى بمقبرة زمريج ،
خلف النصب العالى الذى أقامه لغروره باشمهندس بلدية فينا . ولتسمع
موسيقاه أجيال من أهل الحضارة ؛ لأن الحضارة بغير بهوفن وإخونه من
أهل الفن والفكر ليست إلا كلمة جوفاء . ولتصم آذان الراقضين والمسهوذين ،
نجوم الأتقة وملاعى القردة ، فهم يعيشون على هامش البشرية الخقة خشيا
مستدة ، مزوفة ملونة ، يحسبون أنهم آدميون متحضرون ، وهم أصغر قسرا من
الشعوب البدائية . فهؤلاء على الأقل ليسوا من أدعياء الحضارة .
خفف البوطه أيها الحاج إلى جثت بهوفن . ما أضن أديم هذه الأرض
إلا حبرا بالتهجد والركوع .

قبل أن يبدأ التاريخ في مصر

طلب إلى أحد العلماء من يقومون بدراسة عصر ما قبل التاريخ أن يكتب مؤلفاً يسعرض فيه أساء احصاءات لأولى في العدم ومراحل دورها في العصر الغابرة وقبل أن يبدأ التاريخ ، نأتم مؤلفه ، واعتد في دراسة على ما كشفت عنه الآثار القديمة من الآلات الحجرية التي كان يستخدمها الانسان ، ولأواني فخارية التي كان يستخدمها في معيشته ، كما استخدم على غير ذلك من مخلفات الانسان الأول ، في عصر لم يكن فيه الانسان قد اعتدى إلى الكسب وسجل التواريخ تسجيلاً لا يجعل من غرض (١) .

وبذلك قامت دراسات ذلك العالم على أساس استخلاص الحقائق من الآثار والمخلفات ، دون الاعتماد على نصوص وصف بها الأولون أعمالهم ، وسجلوا فيها الوقائع كما ساء فهم غاياتهم ، أو كما مالت بهم أهواؤهم . وفي ختام مؤلفه وردت عبارة غضب لها المؤرخون بعض غضب . أو هي غاظتهم بعض الغضب . فهو قد قال إنه انتهى من دراسة عصر ما قبل التاريخ ووجد إلى فجر التاريخ ، حيث لا يترك الناس أعمالهم ومخلفاتهم تتحدث عن نفسها ؛ وإنما يسجلون ثم عنها في خصوص تسجيلها بأشبههم ، ويتركونها للمؤرخين لبقراءتها فيها صورة مغرضة عن تلك الأعمال . وليفهموا عنها ما ليس هم وما ساء مفهوم النكريد أن ينهموا ، ثم ليرسبوا غيبها من النتائج ما قد يكون حاصلاً للحق ، ولكنه في غالب الأحيان بأى مشواً بالغيد غير مجرد من أهوى . فالعصر التاريخي ، في رأى هذا العالم ، يمر بأه عصر الميول والأحكام الشخصية . من جانب من يسجلون الوقائع ساعه تحدث . ومن يدرسونها في انتموس بعد ذلك من المؤرخين . أما عصر ما قبل التاريخ

(١) يشمل عصر ما قبل التاريخ مراحل طويلة تنتهي باكتشاف الانسان للكتابة وتسجيله للحوادث في النقوش والوثائق وغيرها . ويظهر الكتابة يبدأ العصر التاريخي .

من الآثار سجلت فيه عن نفسها وتبين عما كان هناك من حضارة بيّناً صلياً
ولكنه أصغر من استكلام ، أو هو على الأقل بعيد عن الهوى والغلبة . . .
أو يمكن أن يكون مجرداً منها إلى أبعد الحدود .

وسواء أصبح هذا الرسم من جانب صديقنا الأخرى الذى يدرس عصر
ما من التاريخ أم لا ، صحيح ، فإن الشئ الضريف أن عصر ما قبل التاريخ
والعصر التاريخى منه خلال بعض الشئ ، ولم يحدث الاستئصال من أحدهم
إلى آخر دفعه واحده ولا فى وقت واحد . فبما أنه التاريخ ليس واحده
فى كل مكان . ولجاء لم يصح على الناس فى مختلف الأنصار فى وقت واحد .
ولما سبب بعض الأنصار غيرهما ، فبدأ فيها التاريخ فى عهد متقدم . ومن
هذه الأنصار مصر . التى يقال إن التاريخ المكتوب قد بدأ فيها منذ وأحر
الألف الرابعة قبل الميلاد ؛ وإن كان بعض المؤرخين يرى أنه قد بدأ قبل
ذلك . ولأمره الأولى قامت فيما يبدو حوالى اثنتى الثالت والثلاثين
قبل ميلاد المسيح . وسكن سبى الذى ينبغي أن نسبته واضحاً لا لبس
فيه هو أنه عهد ما بدأ التاريخ فى مصر كان اجتماع المصرى بعد اكتمل
فى صورته . وسبب فى نفسه إلى حد بعيد . فالبراعة كانت قنناً رافياً يقود على
الترى ويضم حرمات مائة المتصان فى الخيضان ؛ والصناعة وغيرها من حرف
أحبته عمله والانتاجه كانت كلها قد بلغت شأواً بعيداً من التقدم بالنسبة
لذلك العهد . واستجاره واصلات المادية والنفاهيه كانت تربط بين مصر والعالم
الخارجى لا سيما فى الشرق الغربى وشرق البحر المتوسط ؛ ونظام اجتماع
الداخلى كان قد تطور وسفر ، فحلت الوحدة الإقليمية ووحده القرية
أو مجموعته انخرى استجاره محل الوحدة القبلية ؛ وحياء أهل ابواذى كانت
على جسمه . فارتبط بالبيئة ارتباطاً قوياً فى أقاليم أو أوطان إقليميه أول الأمر .
ثم فى إقليمين كبيرين هى مصر السفلى ومصر العليا مما مهد السبيل للوحدة
الشاملة ؛ ونظام الاداره المحلية كان قد اتخذ صورته تشبه من بعض الوجوه
ما احتفظت به مصر خلال الأعصر التاريخيه واعتزت به حتى وقتنا الحاضر ؛
والدولة كلها كانت قد انتظمت أمورها فصار لها فرعون واحد يرئس تاجه
للوحده الشامله ؛ والديانات والمعتقدات كانت قد بلغت غاية من الكمال
النسبى تمثلت فى أن المصريين منذ ذلك الوقت كانوا يعيشون ويعملون

من أجل الآخرة ، فسمت أرواحهم ، وأُسبغت نظرهم إلى الحياة بما ارتفع بها إلى أسمى يربط بين الدنيا والآخرة ويجمع بين حاجة الجسد ونزعة الروح . وهكذا كانت حياة المصريين عند مطلع التاريخ قد بلغت حدًّا من التطور والكمال يكاد لا يقل كثيراً عما صارت إليه حالهم وأسورهم في بقية العهد التاريخي . وإذن فإن اتحاد الوجهين ، وظهور مصر التاريخية بحضارتها المعروفة ، لم يكن « مطعماً » لعهد جديد . بقدر ما كان « حاتم » لعهد طويل من التطور والتقدم . ولعلنا إن نحن أردنا أن سنقدهم اجتماع انصرى وأسسده الأولى ونظمت التي استقرت على الزمن . . . لعلنا أن نجد سبيلنا إلى مثل هذا الفهم الصحيح إذا نحن رجعنا إلى الوراء هذه القرون العديدة . لمتبع تطور الحياة في مصر خلال عهد ما قبل التاريخ .

ويقسم العلماء الباحثون هذا العهد الطويل في مصر ثلاثة أقسام : هي العصر الحجري القديم . والعصر الحجري الحديث ، ثم عصر بداءة المعدن أو عصر ما قبل الأسرات . والعصر الحجري القديم أطولها ؛ لأنه يشمل أغلب العصر المعروف عند الجيولوجيين بالبلايستوسين . وكانت حضارات الإنسان فيه بدائية ، لم تختلف في مصر عن غيرها من جهات العالم القديم . كما كان النيل مختلفاً في جريانه واسداده عنه في الوقت الحاضر ؛ فكان ينبع في بلاد النوبة وشمال السودان ، ولا تمتد منابعه إلى هضبة الحبشة ولا إلى الهضبة الاستوائية ؛ وإنما كان نيل مصر والسودان كما يمكن أن نسميه — يعتمد على الأمطار المحلية في حوضه الشامي خلال ما يعرف بالعصر المطير . كذلك لم تكن مهارى مصر والسودان كما هي عليه اليوم من جفاف ؛ وإنما كانت تسقط بها أمطار متوسطة ، اكتست بسببها أرض الصحراء بالأعشاب والأشجار المتفرقة ؛ وعاش الحيوان وسعى الإنسان مستقلاً في تلك البيئة المكشوفة . وقد عثر على آلات حجرية من هذا العصر في جهات متفرقة من مهارى مصر ؛ كما وجدت بعض تلك الآلات مطمورة في مدرجات نهر النيل ورواسبه الجانبية . والشئ الطريف أن مصر بدأت أول الأمر مساهمة تمام الشبه مع غيرها من أقصر العالم القديم ؛ ولكن حضاراتها الحجرية أخذت بالتدريج تتخذ طابعاً محلياً خاصاً ، ميزها من غيرها من الأقاليم . والظاهر أن الجفاف أخذ يحل بالتدريج ، فقل النبات في الصحراء ،

ومجرها الحيوان والانسان إلى مجرى النيل أو إلى قيعان بعض الواحات ؛ وأدى ذلك إلى تطور الحضارة في مصر بصورة محبة ، أعطتها في النهاية صنعها المصري الخاص . ثم أخذ ذلك الصانع في الصور والوضوح ؛ حتى إذا ما جاء العصر الحجري الحديث كانت حضارته مصر والسودان قد اختلفت تمام الاختلاف عن حضارات غيرها من بلاد العالم القديم ، بما في ذلك فلسطين واسرى الأدنى ، رغم ما بينها وبين هذا الشرق من صلات القربى في المكان والسكان .

وبدأ العصر الحجري الحديث في مصر في أواخر الألف السادسة قبل الميلاد . وبظهوره كان الانسان قد تعلم استنبات النبات ولا سيما القمح والسمسم واستئناس الحيوان ولا سيما البقر والأغنام واخنازير ؛ كما تعلم صناعة الفخار وصقل الآلات الحجرية وإيمان صنعها . ويذكر كله نعمت الحياء والمدسة ، وخطب نحو الاستقرار والارتباط بالأرض والاقليم الخفى أول الأمر ، ثم بابوطن الكبير بعد ذلك . وقد سر على آثار الانسان من هذا العهد في جهات مخدنة من مصر قرب الوادى وفى منخفضات الصحراء . فعند الحافة الغربية لبدلنا . فى مكان يقال له مرمده بنى سلامة قرب الخطاطبة الحالية ، عثر على قرية قديمة . يقال إنها أقدم قرية عرفها التاريخ أو ما قبل التاريخ . وكان الناس يعيشون فيها فى أنواح صغيرة من القس المغضى بالطين ، يملحون الأرض الطيبة على حافة الوادى ، ويربون الحيوان ولا سيما الخنازير والأغنام ، ويقتنون صيد البحر ، ويصطادون فى الماء والمستنقعات . وكان النظم الاجتماعى على شئ ظاهر من التقدم والتعقيد ؛ فالقرية كان يتوسطها صديق أو « سارع » ، أى إنها كانت « مخططه » تخطيطاً بدائياً ، ولكنه يدل على أن الأفراد لم يكونوا أحراراً يقيمون أكواخهم حيث شاءوا ، وإنما كان هناك حكم يردهم إلى شئ من نظام ؛ وذلك مرتبة لم تبلغها كثير من الجماعات إلا فى عصر متأخرة ، بل لم تبلغها بعض الجماعات حتى الآن . وفضلاً عن ذلك فقد كانت قرية مرمده بنى سلامة قرية كبيرة تمتد إلى أكثر من نصف كيلومتر ؛ وكان أهلها على شئ من التقدم الروحى ، لهم معتقداتهم التى تقوم على الايمان بالبعث ؛ فهم كانوا يدفنون بعض الزاد مع موتاهم الذين وجدت مقابرهم بين المساكن ، ونوجه فيها وجوه الموتى نحو الشرق . كما

تستقبل الشمس المشرقة أو نواجه النيل والماء والأرض الضبية مصدر احده واختراعات .

وفي مصر العليا وجدت آثار هذا العهد في مكان يدعى دير بسا بتديره أسوط . ولكنها آثار أفقر كثيراً من آثار الدلتا . فالمساكن قبله مبشرة ، مما يدل على قلة السكان ؛ والقرى أو ما يشبهها ليست متخذة ، مما يدل على أن النعام الاجتماعي لم يكن قد بلغ من الشأوما بلغ في مصر السفلى إذ ذاك . كذلك كانت مقابرهم بعيدة عن أكواخ السكك ، مما يدل على أنهم كانوا مختلفين عن سكان الشمال حتى في معتقداتهم الدينية .

وبين الوجهين هناك منخفض الفيوم ؛ وكسب نبع منه بحره كبيره أعلى كثيراً من بركه قرون الحالية ، غاصت حمات البشر على حافاتهما ، واستغلت بزراعة الشعير والقمح ورعى الأغنام وصيد البر والبحر . ولكن حمات الفيوم اختلفت من بعض الوجوه عن جماعات وادي النيل . فالحيه هنا لم تكن مرتبطة بماء النيل وفيضانه ، وإنما كانت الزراعة تعتمد على بعض الأسطار المحلية ؛ إذ المعروف الآن أن بحيرة الفيوم في العصر الحجري الحديث هي فصلت عن النيل ، وأن الأسطار تجددت بعض النشي بعد أن كان الجفاف قد حل بانتضاء العصر المطير بالمعنى الصحيح ؛ فكانت الزراعة في أراضي الفيوم تعتمد على أسطار الشتوية القليلة بدلا من الاعتماد على الري كما هي الحال في وادي النيل . كذلك كانت حياة الزراع في فيوم تختلط بحياة الرعاة اللبدين ، وسأثر بطرائق الصيادين والمستغلين بصيد الأسماك في البحيرة . فهي إذن كانت حياة مختلفة ذات طابع يختلف من بعض الوجوه عن حياة سكان الوادي في العصر الحجري الحديث والبلاد اللاحقة به .

والحق أن الأصل المباشر للحضارات التاريخية في مصر ينبغي أن تبحث عنه في وادي النيل ذاته ، لا في الواحات المجاورة كما قال بعض الباحثين ، ولا في خارج مصر إلى الشرق في آسيا المجاورة أو إلى الجنوب في إفريقيا الشرقية كما كان يقال إلى وقت قريب . ولئن كانت مصر قد تأثرت من غير ذلك بجميع هذه البلدان المجاورة والمخالطة ، فإن هذه المؤثرات الخارجية إنما أضافت إلى تنوع مظاهر المدنية والحضارة في مصر ، ولكنها لم تظمس معالم الحضارة المصرية ولم تطفئ عليها . ولعل خير ما نستعين به أصول الحضارة

الدرجيّه وبطريقه الأوليه هو أن نستعرض مدنياه مصر خلال عصر ما قبل الأسرات ، وهو العصر الذي يبدأ حوالي منتصف الألف اّخامسه قبل الميلاد ، وينتهى بظهور لأسره الأولى ، وبوحيه الوجهين على يد نوسر ، اّذنى اّشتهر باسم ميناء قرعون مصر الأول .

وفى هذّ العصر اّسجد كل من مصر السفلى ومصر العليا لونها الخاص من الحضاره . وسكن مصر العليا كانت سبتاقه فى أول الأسر ؛ فظهرت فيها حضاره تعرف بحضاره البدارى ، نسبة إلى بندر اّبدارى فى شرق النيل بمديرية أسيوط . وهى اّسازت ببقوف فى الصناعه ولا سمى صناعه الفخار ، حتى إنه ليعمل فى غير مغالاه إن فخار هذا الدور كان أكبر إقنا فى منعه وجمالاً فى شكله ودفه فى ذوقه من أى فخار صنع فى مصر فى الأعصر الباريحه اللاحقه (١) . وقد يبدو هذا عريباً ، ولكننا نستطيع تفهيم اّضمحلال صاعده الفخار بعد ذلك إذا أدركنا أنه كلما تقدمت صناعه الأوانى المعدنيه حلب هذه الأحياره محل الأوانى التخاريه فأحلت واضمحت . وهذا هو السر فى أن الفخار بأخرب صناعته فى الأعصر التاريخيه عنها قبل أن يبدأ التاريخ ، بل قبل أن ينتشر استعمال المعادن .

على أن النسيّ الملحوظ فى حضاره البدارى أن سكّانها يرتبطون بمبدو ببعض سكان شرقى السودان . وأغلب الظن أنهم اّخذوا من سلالة حاميّه قديمه ، هى التى عمرت وادى النيل أو أغلبه ، فاستقرت فيه نحو الشمال ونحو الجنوب . وقد كان هؤلاء الأقدمين نظام اجتماعى معقد نستطيع أن نسهم شيئاً عنه من دراسه مشاهيرهم وجباناتهم حيث يدفن الشبان فى قسم خاص منعزل عن مقابر النساء ؛ وهذا فى حد ذاته ربما كان معناه أن نساء الجماعه كان يستأجرهن عدد محدود من الرجال البارزين فى اجتماع . ولا غرو ، فالنساء فى هذا الدور القديم من الحضاره كن يعبرن ثروه عظمه ، فعلى جهودهن تقوم الزراعه ، وعلى قدر عدد الزوجات نكون ثروه الرجل ومساحه الأرض التى يستطيع أن يفلح .

وبعد دور البدارى جاء دور آخر من الحضاره فى مصر العليا . ولكن

(١) المقصود هنا « الفخار » لا « الخزف » بالطبع .

حصاره الدلتا ومصر الوسطى كانت قد تسببت إلى حد ظاهر بعيد ، نشبه بذلك حضاره حرزة في مصر الوسطى الشمالية وحضاره المعادى قرب رأس الدلتا . ولظاهر أن أهل الشمال قد ازدهرت حضارتهم وعلا شأنهم ، فتوغلوا أثناء اسوار الجزرى في الصعيد حتى وصلوا قلبه ، وأروا في سكانه وفي حضارته تأثيراً بالغاً ؛ وأتى تزاوج الحضرتين ثماره ، فازدهرت الحياة في مصر ، وتوسعت صناعة المعدن ، كما تقدمت الفنون الرفيعة ؛ واحتلت مصر — ولا سيما أبنام حضاره المعادن بل قبل ذلك — بالعالم الخارجى والشرق الأدنى ، فأخذت عنه وأنفذت إليه بعض ألوان مدينتها وصانعاتها ؛ ثم ازداد الاحتكاك واتسع مداه ، حتى ليقال إن اتصالات مصر في الدور السابق للاسترات مباشرة قد امتدت من الفرات وما وراءه شرقاً إلى أرض ليبيا وما وراءها في جوف الصحراء وشمال إفريقيا غرباً ، ومن جزائر البحر المتوسط شمالاً إلى قلب السودان وجنوبه ، بل إلى هضبة شرق إفريقيا وبعض أطراف القارة في أقصى الجنوب . وبهذا كله اتسع أفق المصريين . وأخذت جماعاتهم في داخل أرض السكينة تستشعر وجودها كجموعة قائمة بذاتها ، لها طبيعتها الحضارية التى يجمع بينها من جهة ، ويميزها من العالم الخارجى وجماعته وحضاراته من جهة أخرى . وكان هذا إيداناً بنهوض الشعور الإقليمى في مصر ، وازدياده قوة على مر الزمن ، حتى تبلور آخر الأمر ، وانتهى إلى الوحدة الشاملة بين الدلتا والصعيد .

ولكن شعور الوحدة بين سكان النيل الأقدمين يستحق المزيد من البحث ومن استقصاء مظاهر عصبة المتطورة بين الإنسان وبيئته ، أو إن شئت قل بين النيل وأبنائه ممن يعيشون على ضفافه في أرض مصر الطيبة . ذلك أننا إذا رجعنا إلى دراسة الآثار وجدنا أن أمّا لن السكنى في العصر الحجري الحديث وفي دور البداوى وما تلاه مباشرة من أوائل عصر ما قبل الأسرات ، كانت كلها تقع عند حافة الصحارى المجاورة لموادى بعيداً عن اترية السوداء ؛ وكانت كلها بمنأى عن مجارى الفيضان وأخضاره . ولم تكن الصلة قوية إذ ذاك بين هؤلاء السكان الأقدمين وبين جريان المياه في النيل . بل لقد رأينا في الفيوم مثلاً أن الزراعة كانت تقوم على الممر بدلاً من الري . أما ابتداءً من دور الحضارة الحرزية فالتناجح الأثر في الأرض الزراعية نفسها

(أو عند حاقها) . ويظهر أن السكان هبطوا منذ ذلك العهد إلى « فاع الوادى » وإلى جوار بحرى الماء . وهنا ارتبطت حياتهم بالمياه الجارية . فتعرضوا لأخطارها المشتركة في الفيضان ، مما دعاهم إلى التعاون والوحدة لكي يدفعوا نبت الأخطار ؛ كما اضطروا في الوقت نفسه إلى تقسيم أرض الوادى إلى حياض لتنظيم ريها بمياه الفيضان ؛ وهذا في حد ذاته زاد من ارتباطهم بالأرض والبيئة المحلية ؛ فترك الناس « الوحدة القبلية » ، وصارت « الوحدة الإقليمية » هى طابع الجميع ؛ كما يستدل على ذلك من شارات الأقاليم وشعاراتها التى تراه مرسومة على أواني الفخار من ذلك العهد . وكانت هذه الوحدة الإقليمية بداء وطرفاً إلى وحدة أكبر منها ؛ لاسي أن إلى قرب الناس من بحرى الماء قد مهد لهم سبيل الاتصال والاحتكاك في تجارته والإدارة وغيرها عن طريق هذا الشريان الخالد ، الذى تكاملت فيه قوى طبيعته . وأتم بعضها بعضاً على نسق بديع ، فجرت مياه النهر من الجنوب إلى الشمال تدفع انفلك نازله مع التيار ، وجرب ارياح السائدة من الشمال إلى الجنوب بدفع انفلك مصعده ضد التيار . وبهذا كله اتسعب الوحدة . وتسايك حلقاتها في الصعيد ثم في الدلتا . حتى انتهى الأمر بظهور نارمر أمير طمئة وحكم مصر العليا ، ابدى أتم ما مهدت الطبيعة له ؛ فأقام قاعدته في منف ، ثم فتح الدلتا ، ووجد الوجهين في قطر واحد .

وعكذا جاءت هذه الوحدة السياسية تسجيلاً لما بين الوجهين من وحدة طبيعية . بل هكذا انتهى عهد طويل من التطور المادى والاجتماعى والإدارى إلى هذه الوحدة الشاملة في حياه المصريين ؛ وتمشى مع هذا التطور اعاء تطور في ثقافة أهل مصر كان من عمارته تلك لكتابه التى عرف بها الانسان كيف يسجل الوقع . والظاهر أن وقع الدور السابق للوحدة مباهر كانت من الضخامة والأهمية بالنسبة لأبناء الوادى إذ دأب بحيت سعوا إلى تسجيلها والمبهاه بها على نحو من الأنحاء ؛ فرأينا نارمر دانه تسجيلها على لوحته المشهورة ؛ ثم رأينا خلفاءه من حكام مصر ومبوتلها الأولين يسمسون بهذا التسجيل ويبايعونه كل في دوره ، حتى تكامل لدنا سجل الحوادث دوراً بعد دور ، واتخذت قصة التاريخ شكلاً جديداً غير قصه ما قبل التاريخ ؛ وجاء ذلك العهد الذى يحدث عنه عالم الذى أشرنا إليه أول

هذا الحديث ، فأسفى من أن يعالجه ، وهو لم يعد فرائه النصوص وفهمها على وجهها الصحيح أو المقارب من أن يكون صحيحاً ، بل هو لم يعد إلا أن يدرس الآثار التي خلفها الانسان ، وأن يدع تلك الآثار تحكي قصتها الصامتة ، التي يجد فيها أمثال هذا العالم صمتاً أبلغ من الكلام !

أرأيت معنى صاحبي القارىء أننا إذ نتحدث عن عصر ما قبل التاريخ إنما نتحدث عن عهد سحيق واسكنه لا يخلو من روعه ؟ وإنما إذ نتحدث عن مطلع تاريخ لا نقتصد بداءه القصة البشرية في حضارته بقدر ما نقصد نهاية عهد طويل جداً من التطور والتقدم في حياة الانسان ؟ وأما إذ نعتمد على الآثار الصامتة دون النصوص الناطقة إنما نستهدي في دراستنا إلى أسس من البيان الصامت الصادق ، بدلاً من أن نعتمد على نص قد يكون حادفاً وقد لا يكون كذلك ، وهو في أغلب الأحيان منحرف عن الحق بمقدار يسير أو خطير ؟ إن كتب قد رأيت معنى ذلك كله فلا شك أنك تدرك خطوره هذه الدراسات السحيقة ، التي تعالج قصة الانسان وحضارته خلال الاف عديده من السنين ، بل خلال عهود أرجو ألا أزعجك كثير إن قلت إنها قد تمتد إلى مئات قليلة من آلاف السنين ! أو هي تمتد في القليل إلى عشرات الآلاف في لعصر الحجري القديم ، وتبلغ آلافاً سبعة أو يزيد منذ بداءه العصر الحجري الحديث في سد كصر . ولئن نحن عرفنا أن مجسمنا المصري كان مكمن التطور عند ما بزغ فجر التاريخ وعرف الناس الكتابة والسجل ، برزت أمامنا حاجتنا المنحة إلى أن نغني بهذا العهد الطويل عنده خاصة ، ونكتشف عن نساء المدينة ونظورها في مصر قبل التاريخ ، ونحاول بذلك أن نسمع أسس احياء ومقوماتها في وادي النيل ؛ ونؤكد لأن مفهوم موص الحضارة المصرية على أساس جديد . ولكن نحن فعلنا ذلك فسجد أن حضارة مصر الفرعونية لم تنشأ من لبنة ويوم ، ولم تكن حضارة مستعارة دخلت إلينا من الخارج ؛ وإنما هي نشأت في أرض وادنا ، ونصورت في تربته الطيبة خلال أعصر طوبهه ، يرجع أولها في القليل إلى بداءه العصر الحجري الحديث ، وتوضح معالمها المصرية المحلية في أواسط عصر ما قبل الأسرات ، ثم اضطرب اضطراب النصوص والعنفوان قبيل وحدة الوجهين ، حتى تتخذ

صورتها الكاملة كاسع ما يكون حقيقة الأمم عند ظهور فرعون الأول وفيما
الأسرات .

أنهى يوم نعى فيه بهذا التراث الأقدم من قصة الحضارة في حياه
التجمع المصرى الأول ؟ لعل وعسى ! . . . بل استغفر الله . . . فلعل
هذا يوم أن يكون أدنى وأقرب مما يبدو لي وتفرق من الناس !

سليمانه مزين

VOYAGE EN GRÈCE 1947

BERNARD GUYON

رحلة في اليونان عام ١٩٤٧

الأربعاء ١٧ : الرحيل إلى ديلوس . ها نحن أولاء على ظهر السفينة الخلفى نتطلع لأول مرة إلى منظر أثينا ، ونضع أخيراً هذه الأسماء العظيمة على مكانها من الأرض : الأكروبول ، ليكابيت ، البراس ، البنيليت ، النعم الإيجلية Monts Egaléens ، سلامين . أشار لي شخص إلى ذلك المضيق الصغير الذى بدا فيه لأول مرة انتصار الحرية على الإستبداد فى مظهر متواضع ولكن فى معركة حاسمة . وعند مخرج الميناء بسع المنظر ، وحين نبرز عند الأفق دور أئينا المنبسطة على الجبال نغم النظر فى شبه جزيرة أثينا الطويل ، ثم نلمح على بعد أول جزر السيكلاد Cyclades . ذهبت أرنو بضع لحظات مع الأساذ ج . . . الذى لا يمل إلقاء الخطب من يده سماعها . إنه يسرد على سنوانه التى فضها فى أمريكا ، ويؤكد الأهمية التى تعلتها الأمريكيون على الدين ، ويوضح بهذا معارضتهم القوية لاشيوعية السوفيسية وبالتالى موقعهم ابواضح فى صف الحكومة اليونانية الحايه ضد قوات المقاومة . إنه يكمنى ، وبالطبع يكمنى فى هذه المسألة خاصة . هذا الرجل يحب اليونانيين حفا كما لو كان أحدهم . وقد جاء ، كما قال لي ، فى مهمته مراسده جريدة المساء ببروكسل . ولا يكتف بمحاوله الضرر فى الموقف نظراً جلي ، وإنما أراد ، وقد كَوّن لنفسه رأياً ، أن يجعل من يلقاه من اليونانيين ، يشاطره هذا الرأى

• هذا المقال كتب خاصة لمجلة « الكاتب المصرى » .

كتبت هذه الصفحت فى آخر الصيف الماضى بمناسبة رحلة قام بها الكاتب فى اليونان . وقد دبرت له الظروف الملائمة مقابلات ومخاطبات مثيرة . فدون انطباعاته وذكرياته فى الحال فى يوميات رحلته ، وتفضل فأرسل إلينا بعض أجزائها . وعلى القارئ ألا يظن أنه سيجد هنا دراسة عميقة لحال الشعب اليونانى الباش ، وإنما سيجد شهادة نزيهه ، شهادته تساعد على فهم حاله معقدة ، تصورها لنا شهبوات جامعة لاتبلى الحقيقة . (هيئة التحرير)

الذى نستمتع استنبؤ إذا عرفنا أن صاحبه بلجيكي من أصل كاثوليكي وأن ميوله
حرره . ومن ناحية أخرى ، لم نشق على هذا المؤرخ أن يكسب في هذا
الناس أخصاء من الجانبين ، كما يحدث في كل عمل إنساني . وقد أخذ على
نفسه ، لأن يبسط ذلك لأندرس ذوى شهوة ، أناس أضمر بعضهم لبعض
بعضاً فلا . واعترف لي بصراحة ، أنه قد أخفق في مجهوداته من أجل
التوفيق . واعتبر الموقف مؤسفاً . وكان هو أول من كلفني عن « حوادث
ديسمبر » . وكتب أجهل ذلك الشهر الذى يعتبر شهراً رئيساً في تاريخ
اليونان المعاصر . فهو بمثابة هوة : كان ذلك في سنة ١٩٤٤ بعد التحرير
بعض . وكانت في الحكم حكومة ائتلاف وطني . فإذا حدث بالضبط ؟ ذلك
أمر تصعب معرفته . فهل المظاهرات مدبره ؟ هل هي محاولة ثورية من جانب
اليسار ؟ أهو انقلاب من ناحية اليمين ؟ المؤكد هو أن الدم اليوناني قد
جرى غزيراً طيلة أيام الحرب الأهلية وأن القوة بقيت في الحكم . أى إن
القوة صارت إلى حكومة من اليمين لم يكن لها هم منذ ذلك الحين إلا أن تقتل
الثورة . فانهجج سياسة انتقام وفنى وتفتيش بوليسى . وبينما كان أكثر أولئك
المفدين أو اليساريين من الماكى^(١) ذوى الميول الشيوعية ، إذا الذين دُعوا إلى
الحكم رجال أسداء ألفيناهم . كما لو كان ذلك مصادفه - من بين مشاهير
المعاونين مع الألمان . ومن هنا نشأت الحرب الأهلية . وقد قررت عناصر
اليسار أن تنظم حكومه ثورية تعتمد على جماعات مسلحة تحمل بعض المناطق
الجبلية وخاصة في الشمال في منطقة البارناس وفي المنطقة الجبلية في الوسط أيضاً في
البلوبونيز . وأرادت الحكومة الأمريكية أن تقف هذه الحرب الأهلية بأرغمب
أخيراً حكومة ساندارس ، وهي حكومة من أقصى اليمين ، على الاستقالة ،
ودفعت إلى الحكم رجالاً من الأحرار هو سوفوليس . فأصدر في الحال عفواً سياسياً
ظهر أنه - مع الأسف - دواء مسكن لحسب ولم يؤد إلى النتائج المرجوة منه .

أثينا يوم السبت ٢ : علينا أن نستوفى أوراقنا لدى الشرطة . أخذنا
موعداً مع ب . . . في أمونيا . وقبل أن أصعد في الترام الذى يوصل إليها

(١) الماكى Maquis اسم يطلق على جماعات المقاومة للاحتلال النازى (الترجم) .

سمحت لنفسى بسى من الترف ، فاشتريت جريدته إذ أردت أن أخبر في اللغة اليونانية الحديثه معرفتى باللغة اليونانيه القديمه . ولما كنا قد قابلنا أمسى على الباخره صحفيا قال لنا إنه يعمل بجريدته حره مؤيده لسوفوليس اسمها «إليتاريا» ، فقد طلب ذلك الاسم من البائع فأجابنى أنها ليست معه ، واقترح على صحيفه أخرى قال إنها من اللون السياسى نفسه ، وما كاد ب . . . برأى حتى قال لى ، وعنى سفيه بسمه فيها شئ من مستخرجه وسى من القدى : إلى أهل بشكل واضح جدا جريدة شيوعيه (وللعجائز الشيوعيه الحق في الظهور) وإحداها تحمل أيضا اسم : إليتاريا في عنوانها (١) فأخفيت بعناية لصحيفه الخطرة . وذعبت إلى إدارة البوليس . وهى مكان قدر بعض السى ، سى النظام بعض السى . ولكنه لا يزيد في ذلك كثيرا عن مشله في فرنسا . وقد كلما القوم بالفرنسيه ، على أن ب . . . يكلم اليونانيه بسهوله . وأنجزوا لنا أوراقتنا بطرف فائق وسرعه مناسبة . ولكن الأمر شديد التعقيد ، فعلينا الحصول على ترخيص بالاقامه ، ثم ترخيص بالخروج . (وكان من الممكن إعفاؤه لنا في الحال) ، ثم (وهنا القطة المربيه) « تراخيص خاصه » لنذهب خارج أثينا . ولم نكر قد صممتا بعد على خضه معسده . وكنا مترددين بين تزده في البلوبونيز : أرجوس وأثينا الخ . . . وبين تزده في دلف Delphes وكانت هذه الرحله الأخيرة نغربنا كثيرا ولكن كان فيها بعض الأخطار ، لأن ربه دلف في أيدى « الأندرتس » أى المقاومين . وقد دهشنا جدا لأهم سرحوا لما بالذهاب إلى دلف . ولا شك أن ذلك كان بصفتنا أجنب وبصفتنا علماء آثار ، وربما كان مبعثه أيضا الرغبة في الاعتراف أمامنا بأن نبت المنطقه غير خاضعة لسلطان الحكومه . كل شئ إذن مستوف ، ويمكننا أن نصرف إلى غير ذلك من الأمور .

السبت ٢٢ : قررنا أخيرا السفر إلى دلف وسدنا عن رباره أرجوس وأثينا . لقد سافرت إلى هناك سيارتا أجره منذ يومين حاملين بعض الزملاء من المدرسه . وستنظرنا إحداهما لتعود بها برا إلى أثينا . وسافرنا عن طريق كورينثه وإينيا Itéa .

(١) ألفى هذا الحق حديثا ، في أكتوبر سنة ١٩٤٧ .

درسا القطار دون أن يبر جهد إلى كورينث . وتم يفتش أوراها . وهي مسودة بسرحة . هناك عدد كبير من الناس ولكن الجميع يجدون مكانا لهم في هذا القطار المواقيع دي اسرحة الواحد . وعند ما ذهبت للجدى في نوان حال ، أسارت لنا فتاة حبايه ، مناصعه في مظهرها ونكها في الوقت نفسه بفض حياه ، ودعتنا إلى الجلوس معها . وفيهم ب . . . سرعا لها سفير وحده . وأنها تريد أن تكون بح حمايت بدلا من أن تكون بح حماه حيود الذين يملأون هذا القطار ، وهي حمايه غير مطمئنه . وذن صحبها واندها . رجل ممتاز وسيم ، وقتلت الفتاه بده باحرام تم قبلت وجنبيه في حب عند ما حاست ساعه الرحمن . وهذه الرفيقه الرسيقت ستكلم طول يوم مع س . . . حتى كورينث . وهو نفسه سيلعب دور المحامي يجيد كثير مما مسرحة تبعت السخرية منا . وجاء إلى ديواننا بعض المسافرين وكان سكرتهم بنير اسساول ، ثم فهمت بعد لاي أنهم فرس من امثلين وبينهم يصعبه جنود سوسف أحدهم في ود صدر إحدى رسلاته . وربما كانوا ذاهبين للترفيه عن اجنود الدس بقاردون اسوار في حال ابرنس . وكان بينهم حتى حديث اسن نفوم بدور سبهوان . وأرانا وهو فخور بعض موز أخذ له أثناء اقيام بحركاته . وكانت في الممر اخرجي مثلثة لأوبرا معنى أدوار عظمه وصاحبها معن حويل ستمس يرد عليها وهو ينلوى في بدلته الزرقاء الصارحه . لقد كنا في غره سسببس^(١) Théspis . ولم تمنع بهجده وفند من أن نصلع إلى تعرجات اسكورببس به هب من أنوزاس إلى سجار d'Eleusis à Mégare ومن سجار إلى كورينث ، ولا من أن تمتع انفس في كل محطة بساول السوار وسبقه لعناب المندة التي بعصها علفه من باعه ابلين . وقد نصلعنا إلى مصيف كورينث وإلى القناه الدقيقه التي تخريده بهمهم عقم . ولم يجد الألمان مسده في مداه عند رحيلهم . وهي لا نستخدمه منذ ذلك يوم . ولما كان لايس من جريه السفر بجرأ إلى سواس و ثوروس من أن يرب ثلا القطار من أنس إلى كورينث .

وساوي في مساء بعض احلوى فبن أن يرب امر لب ، وأنت وانفق

(١) سسببس شاعر يوناني قديم ، حالي المساه لدى اليونانيين (المترجم) .

يخامرون طوائف من الخلد يسير في غياه رصف السفرة ، وكنوا سرودين بالأسحبه ،
ويسبرون في نظام حسن . لبس هناك سب في أنهم سير كون نفس المر لب
التي سنستقلها ، إذ ليس هناك مركب أخرى ، وهي ليست كبيرة . فلتسرع
إلى اتخاذ أمكنتنا بها . وقد أبعدا أول الأمر ، ولكننا رأيت عن بعد بعض
الصدادين ينقون المدينين في قورب صغيره نسير باحجاديث حتى موصلهم إلى
الباخرة وهي ليست بعيدة ونبدو بيت لا يتحرك . ولكن الريح قوية والسور رب
ذاعبة آتية ترفض فوق الأمواج الصاخبة ، وما كنا نجزز الخاجز الذي كان
يحبنا حتى ألفينا أنسنا نندافع في فمزت محمه . إن لا نحس أى صق جسمنى ،
ولكننا في خوف شديد . أمامنا بنت صغيره لا تكف عن رسم علامة الصليب .
وأسها تحتفظ أول الأمر بهديتها ثم لا تلبث أن ترسل صيحات الفزع . وهاتئ
أولاء بجوار الباخرة . وأصبحنا أنثر هدوء لأنها تخميننا ، ولكننا نلأسف
لا نسمع الصعود لأن قارباً كبيراً محملاً باختود سد طريقنا . نارب نفوق
قارب كبيراً في الارضاع ورغم ذلك لا يستصع رأبوه أن يصعدوا إلى الباخرة
إلا بمشقة عظيمة فعليهم أن ينتظروا حتى ترفعهم الأمواج إلى الارضاع المناسب .
فيذا نحن صانعون ؟ وأخيراً يصلح الأمور . فيمد لنا سلم من الباخرة ،
ونستصيع الكل أن يصعد بمعجزة ، وحتى حقائقنا لحقت بنا . وأسرعنا تصعد
إلى عل لنجد على سلم القيادة . المكان المنص لدمنا . وسكنب الريح فعدلا
فعدلا . ثم ختم الليل البهيم . ها هي ذى أنوار المدينة سمع بعيداً . ما زالت
القوارب الصغيره تعمل حول الباخرة . وأخيراً رحلت . ستكون في إيسا بعد
ثلاث ساعات ، حوالى منتصف الليل .

ورحلة الليل هذه ممتعه . البحر الهادى يرحبت ووسع بجوارنا أحساب
سعييه . سماء مسرود بالنجوم . وعلى جانبي المضيق نلبست أنوار القرى .
نزات وب . . . إلى قاع السفينة ، على ما في ذلك من خطر ، لسحب عن شئ
من الغداء . ياله من رائحة كريهه ، ويا ه من فوصى في الناس وفي
المشاع ! وأخيراً كان صيدنا طيباً فتعسيت حراً وحناً ونبدأ ونحن جلوس
على سلمنا .

ولما فاربتنا نهاية الرحلة بدأ لغته صاخط ساب الحديث معنا وكان قد أنصب
لنا مند طويين ونحن نتكلم الفرنسيه . وبدأ أول الأمر سديد اهجوم « فيم

يفكر مراسلو لم الصحفيون حين يدعون عن بلدنا مثل هذه الشائعات ؟ لماذا يسمونها بالناسه ؟ إنهم لا يدرون عمّ يسمون . إنهم يسمون بنا . وسيكون مضمون رسالتنا أن يعرض اليونانيون أسد البغض . « وأجبتنا في هدوء ، فسمنا نظره إلى ألب الصحفيين من عجبته واحدة . وأند يندر أن يكون بينهم من يعطى عن الأشياء نظره مضطربة لا مبالغة فيها ولا تسويه . وفلنا له أيضاً إن نحن فرنسا لا نكم جميعاً عن اليونان هذه النهج ، وأند لو قرأ « الميجارو » أو « لبيوك » لوحده فيهما آراء عن الحكومة احاييه اليونانية أقل إلماره من التي سبق له قراءتها . وعند ذلك هدأ وبدأ معه حديثاً طويلاً . دهس ودهق حين علم أننا ذاهبون إلى دلف وقال لنا : « ستعرضون لأختار شديدة ، أولها الأعلام التي بها لثوار في كل مكان فقد عثرون بأحدها . وثانياً أن الثوار لا يثبتون . فيسرون سياره تمر وأن يعرفوا أنكم فرنسيون فيصوبون إليكم الرصاص فهم قطاع طرق . » ثم نجيب عليه ؟ قد له في وحل إننا نقصد أن نرى آثار دلف انفسه . ولكننا نضل الكلام في ذلك فقد أحسب . . . أن في ذلك ما بصدده وما يغضبه ؟ إذ يرى بعض المخطوطين مثلنا يتزهدون ويسبحون في ووب يعرض فيه الناس حياتهم لموت في الحرب الأهلية . ثم تكلمنا عن الموتف العام . ولم يخف علينا دون أن تقول لنا وجهته بالضبط أنه يقود فريقاً من الجنود لتقوية جيش الحكومة الذي يقوم الثوار في الجبال . وبين أسبان الذي يرافقوننا فردي سدهب لقضاء فترة تعليمية بمدرسة للضباط قريبة من كورفو .

وقد بدالنا هذا الشاب شجاعاً ذكياً مثقفاً (وهو يتكلم الفرنسية بطلاقة إذ تعلمها في مدارس الفريز) . وقد عبر لنا عن أسفه واسمئزازه من المهنة التي لا بد له من أن يمتنها ، ولكنه بين لنا ضرورتها لأن الثوار في نظره لا يدينون بنبي من الوطنية ، ولكنهم سيوعيون باعوا أنفسهم لموسكو والاستعمار الروسي ، أو لأنهم بكل بساطة قطاع طريق . ولما سألتناه عما يراه أو عما يرجوه في سياسة الحكومة الجديدة ، وعن رأيه في قرار العدو الذي أصدره ، قال لنا بلهجه نتم عن السخريه : إنه لم يلزم لسوفوليس أكثر من أربع وعشرين ساعة لدهب آماله . فمن المؤكد أنه لن يستسلم أحد من الثوار . إما نعصبا أو خوفاً من الانعدام . فهو لذلك يائس . وقال لنا

بمرارة إن الشعب اليوناني يحقد على الانجليز لأنه يعدّهم مسئولين عن تلك الحال (بسبب موقفهم المتواضع) ، وأنه يعلو بالأمريكيين لعلو الغريق بالشمام . وبلغ به الأمر أن يقول هذه العبارة الشائعة : « ننتد رجوا أن تأتي وسنكا الحرب العالمية الثالثة . » هذا نستضع أن نقول لهذا الساب الذي نسبر لبقاء الموت والذي يذهب إليه يائساً ؟ لقد رجوا له ، رغم كل شيء ، حظاً سعيداً ، وتردده بعد أن عبّرنا به عن حبنا لليونان وعن رعبنا في أن يعود إليها السلام .

نحن الآن في مستشفى الليل . هاهي ذي أنوار مبناء إيب الصغرى . أنزل إلى الأرض ؟ لقد برد كلام ذلك لساب حماسنا لرؤية الآثار . وسبقول لنا ب... فيما بعد إنه فكر أن نواصل الطريق إلى ملان أدر أسا . ولكن قررنا رغم كل شيء محاولة القيام بتلك المخاطرة . ولكن أسمح لنا بالمرور ؟ عني رصيف الميناء ترسم أسبح الجنود ورجال الجندرية . وما أدنا نضع أقدامنا على الأرض حتى أثار لنا ضابط من « الجندرية » بأن نقى بعيدين . إنه سيفحص حالتنا عما قلل . وبيننا نحن في انتظار كرمه علينا بذلك ، أرسل الله لنا العون في صورته قتي جداب وجدنا بسرعه وفل لنا إنه يرسل من قبل زملائنا في دنف بيوصتنا في اليوم التالي بالسيارة إلى المعبد ، وأخبرنا أيضاً أنه حجز لنا ثلاثة أسره بأحد فنادق تلك المدينة الصغيرة . فقد عجونا . ثم رأيت ب... مخاطب شدا أسرد باحترام عظيم ، وكان ذلك الشاب يبدو لي فليس الخضر فسألت ب... : « من هذا الشخص ؟ » فأجابني بحصار : « إنه شخص يحمل بديده . وفهمت . . . أنه سب من « الملبسا » ساعه للجيش النظامي . وأثناء ذلك كان ضابط « الجندرية » قد انتهى من فحص حابه المسافرين الآخرين ، وفرت من ، وسمح لنا أن نذهب لسان . وسذهب ب... غدا لرؤسه قبل سفرنا . نا للعجب ! نضهر أنه عني صلاب صبه مع ديلنا الآتي من منطقة الثوار . ولكنه عجب لن ينقضي .

لم يكف منه أفص من إبداء عجيب لـ ب... من وجود فنادق ومطاعم ملائمة في كل مكان باليونان ، ولأن أسر ب... في أعماق نفسه لأنه سيريد في هذه رحله أسره . لا نستمتع انشوم بها وأطباقا لاؤكر . وهي أسره وأصحابي القنادي اليونانية حصصه . ولكن خاب فآله : « يجب أن نقول : إننا ناس

عرفنا بسعده بساطه غرف لرهبال . فانا نرهب أيده حصره تضاميت أثناء
لمتنا القصيره . وهكذا نمنا في فراش نظيف . لقد استفادت اليونان منها من
تصغيرها بمادة د.د.ت. وفي هذا على الأقل نعمه جنوها من وجود الامريكيين .
حقا قد كان الماء غير كاف . ووسائل الراحة لا وجود لها . كما أن قضان هذا
المزل . يكموا صول الليل تقريبا عن اسكلام وإثارة الصوصاء . على أن هذه
مصائب هينه . وفي اليوم التالي كنا على استعداد « لاختراق الخط »
بعد أن استرحنا .

الثلاثاء ٢٣ : تم ذلك الاختراق بكل سهولة . ذهب ب . . . لرؤية
ضابط الجندرمه . فقال له : لا ! « لا أستطيع منعك من الذهاب إلى دلف بعد أن
سمحت لك السلطات في أينا . ولكنني لست مستولاً عما يحدث لك . فليست
هناك سلطة حكومية ولا أية سلطة أخرى . أرجو لك حظاً سعيداً . » ورحلنا
وفي صحبته مسافر زائد ، هو أحد الأطباء ، ربما كان يريد أن يعود مريضاً
في دريسو أو في دلف . (علمنا فيما بعد أن الثوار قد اختطفوا زوج هذا
اليانس ولم يعيدوها إليه إلا بعد أن دفع فدية كبيرة .) وصعدنا فاذا نحن
في أجمل غابة زيتون رأيتها في حياتي . إنها أشجار الزيتون العتيقة التي سموا
في صعبه « الله » والتي ترفع عنها إسبن Eschine طويلاً في سالف الزمن .
وهي تملأ كل جنبات السهل المقدس ، وإذا رأيتها من دلف أنصرت مبصراً
من الخضرة المدا لئه ، يسيل من سفح الجبل حتى ساحل البحر . وتوقفنا
فليلاً في دريسو . فغادروا الطبيب دون أن يقول لنا كلمة واحدة بل بكده
شكرنا . أما زلنا لدى الحكوميين ؟ أم هل بعنا شوار ؟ لا أدري !
فما سأل أحد ولا أوقف أحد . وسرنا بضعة كيموسترات ثم خرقنا فريده
دلف . وأخيراً وصلنا المكان القديم . فالفقيه أنظم وأروع مما كنت أتصور .
وقد أنارت الأقامه بدلف في شمس عواصف لا علامه لها بالعلم أو بالجمال
فقد أتاحت لنا أن نكمل معيومتنا عن الموقف السياسي الراهن في اليونان
ففي مساء وصولنا حضر لنا حين كنا نتمدد لسرير من غناء اليوم . رسول من
قريبه دلف ، وسألنا أنوافق على استقبال وفد من الاندرايس يرغب في محادثتنا بعد
لعشاء ؟ فوافقنا طبعاً . وكان زوارنا ستة : خمسة من الجيود وواحد من المدرسين .

وكان هذا المبنى القومسيير السياسي للفريه ، وهو في خمسين من عمره ،
 ثم رأسه عن الذكاء والصلابة ، وفي وجهه ثلاثم انصراحه ، ولكن في كلامه
 حذر واحتياط . وكان من البين أنه الرئيس الحقيقى . وبقي اثنان من الحود
 وقوفاً يخرجون ويدخلون ، ثم أمرهما الرئيس بالخروج . ولم أدر ما اسبب . وحسب
 أنه أرسلهما ليخفيا بزيلاهم . ولكنه قد كان في الواقع أمرهم بحرسه ما حول البيت
 حتى لا تفاجئهم زيارة غير منتصرة من قبل خصومهم ، وهذا أمر بعيد الاحـ
 ولكن محتمل على كل حال . وجلس الثلاثة الآخرون في دائرة معي .
 وبدأ الحديث ونحن ندين السجائر ونسرب نبيذ « الرسيا ، résiné في صحة
 الجمهورية والديمقراطية وكان احديهم هادئاً . ولم يتكلم إلا اثنان :
 الرئيس السياسى وهو رجل متعصب في كلامه لا يتدخل إلا ليصحح غيره
 أو يزيدها دقة في التعبير . أما الرئيس الحربى فهو ساذج في ثلاثين من عمره
 تقريبا ، وجهه نقى الملامح يدل على العزم ، كلامه مؤند . سبب أحبا
 ولكنه مسيطر على نفسه على كل حال . وصمم لآخرا . ولكهما زنا
 يصغيان بلذه إلى كلام رئيسهما . وكان أحدهما ساذج حذب معضن الوجهه
 كنسيخ . يلبس صقبة فوق ساعده العجب الذهب . لم يكن ملاحظا مقلده
 ولكنه كان يعمل على فيضده « مترلورا » ألبس وهو نموء بالخصاص بلا سب
 وكتب أنظر في نص إلى ماسورته الموجبة ناحية المائدة التي تجلس بها . . .
 وأب الآخر فكان له رأس فلاح بدع . لم يكن يرتدى ملابس جنود
 ولكنه كان يلبس سترة من جلد اخروف ، ويصطفه وحزما ملئ بالخصاص .
 وكانت بدميته بين رجليه . وكان ب وهو ساذج من أعضاء المدرسة
 الفرنسيه ، يتكلم لونيابه الحديدية بطلاقة (يتبع احديهم في سر ، ويتدخل
 نديراً ، ولكنه كان عاجز أحيانا عن فهم بعض ما يقال . أما أنا فكنيت
 أصمى أدنى . ولكنى لم أكن أفهم شيئا تقريبا . ومن وقت لآخر كان يترجم لى
 أحد رملاني الحديث بوجهه سريعه بما أتاح لى أن أتبع حديث بعض اسى .
 كان أولئك الرجال قد طلبوا لقاءنا لئلا يسألونا ولكن سعندوا لبعض الأجانب
 المسافرين مؤتمرا مخفيا بكل ما ندر عليه هذه الحكمة . كانوا يطموننا في ثقة وود .
 ذلك لأنه كان من المفهوم لديهم (وكلام صديق السفيه يؤيد ذلك) أن كل فرنسى
 هو « رجل من اليسار » . كان الرئيس عسكري يتلو مسد درسا محمود

ولكنه غفله بالتصاع وتأثر . وكانوا يريدون قبل أن نقنعونا أن يؤكدوا لنا أنهم يونانيون لا بلغار أو سوغسلاف . وأن يدلوها على الصورة التي يصفونها أن ذلك الصراع المحزون ينتهي إليها . وبعد أن أكدوا لنا أنهم غير راغبين في هذا القتل ، كما سبق أن قال لنا اصحاب الحكومة الساب على ظهر المركب ، قالوا إن عفواً ساماً قد يهيئ ذلك الحرب الأهلية . ولكن ذلك لعفو لا بد أن يكون عفواً حقيقياً ، أى عفواً منظم . لا يصدره أحزاب اليمين المترفة ، ولا يصدره سوفوليس الذي ليس به أية ثقة ، ولكن يصدره الأحزاب « التي تمثل الشعب اليوناني » أى أحزاب اليسار باستثناء من يموى احكم منهم اليوم . وقالوا لنا أيضاً إجابة على أسئلتنا : إنهم جمهوريون ، وأن الكثير منهم سيوعيون ولكنهم لا يمنعون أحداً من الحكم حتى الموت ، ذلك إذا ثبت حقاً في انتخابات حرة أن الشعب يريد أن يبقيه على رأسه . وأضافوا لي ذلك أنه ليس لهم أية ثقة بالحكومة الراهنة ولا بالعفو الذي فترحته عليهم لأنهم ما زالوا يذكرون في هلع « حوادث ديسمبر ، (١٩٤٤) واحبائه التي كانوا ضحاياها حينذاك . وأن الحكومة بين أيدي الدول الأجنبية ، وأنها تأتمر بأمر الاستعمار الأمريكي .

وأضمتنا لذلك الكلام دون أن نميل إلى أي جانب بل دون أن نحاول إقناعهم ووجهه نظر خصمهم (وذلك هو الموقف الذي وقفناه مع الضابط) . ولكن كيف لا يستعير المرء رحمه عظيمة وهو في مواجهة هؤلاء الشبان المتحمسين ، المتسعين ، المخلصين ، الشجعان ؟ هم أيضاً يقاتلون عن افتتاع ، هم أيضاً يحاربون وعلى رؤوسهم الموت : هم أيضاً يشعرون ما في هذه الحرب العائنة من شناعة : هم أيضاً يفهمون فهماً عامضاً أنهم ليسوا إلا بيدف في رفعة هذا الشطرنج العظيم . ولكنهم يرون أن فدرأ لا يدفع يزوج بهم في هذا الصراع ، وهم يخوضونه بدفعهم تلك الشجاعة الهائلة التي تبعها اليأس . ثم تركونا في ساعة متأخرة من الليل بعد أن سربنا معهم نخب الخبرة وبعد أن رجونا لهم أن يهب الله لهم الشجاعة والحظ السعيد . ولكن الغم يعتصر قلوبنا . فهؤلاء الذين يغادروننا قوم قصي عديمهم باقتل . فإني أين نقودهم هذه العبة القاسية ؟ وهم يؤملون إذا استثنينا ، تلك الحرب العالمية الثالثة ، التي يتمنونها في صميم قلوبهم كما يتمناها خصوصهم ؟ إن الشتاء يفرح

وسبظطهم لمغادرة معاقلهم في الجبال . فماذا هم صانعون ؟ إنهم سنعون القلق وانفرج أحياناً في القرى التي يهيطنونها سلا . وهم يضطرون الملاحين للاستمرار إليهم ، ولتقديم الطعام لهم من زراعاتهم الضعيفة . ثم يأتي رجال الجندرية في اليوم التالي فيحتمون وسجنون ولتث الذئب الصلوا بالوار . . . وهذا ما فانه لنا كروسو حارس الآثار الذي عين انشوار أخيه مسد فندل عمده لاحدى القرى فلم يستصع أن يرفض . ولكن سيأتى يوم يرسل فيه الحكوميون حمده انتقامه إلى هذه الأماكن . وعندئذ سضطري إلى ترك أرضه وأسرانه وأطفاله . . .

الأربعاء ٢٤ : استقصب مكربين لنتمكن من رؤية المكان بالتفصيل ، ثم ركبنا السارة حوائى لساعه الحاديه عشره لنصل أتنا قبل الليل . م يبق أمامنا إلا مائتا كيلومتر . ولكنه يده من طريق ! . . . ورغم ذلك فإن السارة بصمتنى : « لنكولن » قوية جديده من « صرر المكشوف وقد نكومتا فيها : عسره مسافرين من بينهم أحد أهالى دلف ، أحد مكند على سلمى رافعاً عن أبيض ، ومن بينهم أيضاً امرأة من دلف بوسلب ! لنا أن نوصفها إلى العاصمة لسعاج ولدها المرض وه يكن به من إجلاله رجائاً . وبدأت أرحله بدء حسناً . والتعريف جميل حتى فريده أرا ذوقاً حيث وصلت وشبكاً بعد أن جئنا كاستالى ومارماريا . وبعد أن سرنا حذاء سموح سراس المنعرجه . ويسكن الديس الأزرق من هذه القرية كما سلكم عن موقع جميل جد . وهى حق معلقه فوق هوه وفى وسطها قبة مبنيه على صخره معزله . فإذا نظر إليها من بعد يدت طاغره الجمال . ثم إن احترقنا حتى نعرب بوحشة عظيمة : منازل محترقة ، محطمة ، منهوية مكسرة . . .

صمت الوحده يوم السبت . ليس هناك إلا عدد قليل من سلال على أعقاب أبوابهم يرفقونا ، وفى صراهم مريح شربس من الشتلج والهنديه والعلق . ووقف سائق فى الميدان الرئيسى ، ونفوض صولاً مع بعض الناس . ولم يسر نكلهم وورلد به اسكلام . وأخيراً مررنا . واختربنا الميدان الرئيسى لانشوار . ثم سرنا إلى لندون أغم . مسد فى بوسلى Beothie حب مسد إلى الحكوميين . ودخلناها بعد ساعات دون أية صعوبة . هناك عدد كبير من الجنود مسحين أمام مدخل المدينة . ولكن سرور سلمهم عدم الاهتمام بسؤالهم رسم

محمدا من منطقة الثور . وعكنا نعمل ببساطة إلى وسط المدينة المزدهر ، حيث
يترك فلاح دلف الذي وضع علمه داخل العربة ، إذ لم تعد له قيمة ، ثم
دخل حظيره سيارات . . . لم نسأل إلا عما يخرج ليفدنا . أوفنا مستوفاة .
ومر هذا التنبس كما مر كل تنبس آخر تعرضنا له قبل وصولنا إلى العاصمة ،
بلا صغوه حقيقه . فكلت « المدرسة الفرنسية » تلوح كأنها كلمة سحرية
تفتح أمامها مغاليق الأبواب . ولبست جنسية الفرنسية هي التي تمنحنا كل
هذه المزايا في هذه المرة ، بل كان يمنحنا إياها كوننا عمه آثار . فأولئك الحمى
الذين يقصون وقتهم — في مثل هذا الزمن — في رؤيه أحجار قديمة ، لا بد أن
يكونوا مسالين . . . ونحن حقاً مسالون ! ستمر رحلتنا بلا عائق ولا حادث
حتى أئينا حيث تصلها عند هبوط الليل .

برنام جوبجوه

نقلها عن الفرنسية مصطفى كامل فوده

حلم . . .

سارت السيارة الصغيره سريعة خفيفة رفيقه برا لبيها ، كأنها سير على وجه الماء . وإذا اعترض سيرها وسرعتها عارض ، اغترت في رغبته ملؤها الخشب على الرايين ، تم تجلدت واسمرت في سيرها ، تقوم بما فرض صاحبها عليها القيام به ، مخلصه حاضره . وم يكن تلك الرغبتة سواها إلا مدرا . فهي تسير في طريق ريسه ، وسكنها مهيده كحير ما يكون التمهيد . فبت طرق سفت ومهدت في أرض حقول الاستطالة حتى تجبت مدينة روم ، مهدتها حكومه تهدف إلى العمران قبل كل شيء .

كانت حراره الجو سائغة لدى الرايين . وإن كان السهر من سهور اصيف . حتى يندى فيهم ساكنو روم في الرحيل عن مدينتهم الجميلة فاصدين المصاف ، ولكن الرايين كنا من بلد فرقتي ، وقد اعتادا حو أسد مسوه في اصيف ، فكان الجو عندئذ لسيما بمثابة الأيام الجميله في بلدهما في أواخر فبراير وشهر مارس .

وكان المنظر الذي ينجلى ويعبر أمام ناظريهما ، عجباً في محوله وبغيره حتى لبدو حتماً من الأحلام . فهما منذ عادرا سوارع المدينه الضيقه ذات الأرضيه المكشطه بالناس ، ومنذ تركا وراءهما تلك الخرائب الرومانيه العظيمه وقصعا أرض سرح الامبراطوريه بسرف عظيم من التين بناء الكويزه ، وسارا في طريق ألبا ، انقصعا عن عالم الضحيج زويداً رويداً ، وانفسلا إلى أرض مبسط أكثرها . بدو في جوابها عند الأفق لال بعمده قليله الاربعاء ، زرقاء اللون ، كادت تختلط بالسماء لولا أنها دافئته . على حين كانت السماء زرقاء صافيه يضيئ عليها الضوء غلاله ذات بريق . ويزيد في رقتها قطع من السحاب ناصعه ابيض ، لم تقف ساكنة بيده . كما يفعل السحاب في بعض أيام الصيف حين يكون الرياح ساكنه ؛ بل كانت

على سكرت الرياح يسبق في اسمه صفاته الزرقاء ، ويخذ أسكلا نريده
مما نر . في هذا المنظر ، ويحدث فيه تأثيراً هو أقرب إلى الأحلام .

كان ز لبا السيارة رجلين : أحدهما في آخر مرحلته السبب ولم يقدم بعد
على سكتهوله ، والآخر قطع مرحلتى السبب والكنهيه ، وولج برأسه إلى
مرحلته مسجوحه ، فرأسه أصبل عذر من الشعر قوي حبيبه ، ومجلل
في حواشيه شعر أبيض قصير . وكان الأول يقود السيارة وهو صاحبها ،
وهو انملي في هذه الرحله ، وكان الثاني لا يعرف إلى أين يذهب
قال الشيخ :

— إلى أين نسير ؟

قال زميله مداعبا متكتها :

— إلى نزهة قصيرة .

وانقسم الاثنان ، وسارت السيارة بهما في الطريق التي رسمها السائق نشق
سبلها من المنظر المعيره في غير علف ولا مفاداه . فالأرض التي حولها
ليست جرداء ، بل هي ذات زرع ، تنبت فيها هنا وهناك أشجار
بامه . ولكنها لا تغطي على الأرض حتى تؤلف غايه أو حرس ، وهناك
مزارع . ولكنها ليست وسعد يجب نكول على وتيرة وحده ، وهناك سهل
لا تخذ من المرتعاب . وانه سرسعت ولكنها لا تبلغ من الارتفاع حدا
يضيى مرمى النظر . سير أب الأرض لعب سدها حرد تضرعها في لون زلوع
استهو ، وتحو على الأرض السماء في حلتها الزرقاء اللاسعه . وعلى حين فجأه
لاحب من بعد في وسط الأرض اخمراء فطعه من الزرقه اللاسعه ، تأمها
اقتطعت من السماء وبسطت على الأرض ، فقال صاحب السيارة :

— هذه بحيرة نيمي .

يمنى ! أبه سكرات غربه احتمت بهما هذه البحيره ، ونشف غنها
الباحثون في الأرباب الحريه ! هذه هي سفينه كاسه . ثم سحذها أحد براصره
الرومان مسك ، وسبغها أخرجها الناحيه من أعماق المياه ، وهي الآن مائه
للعبان على حافة تلك البحيره الأسفه ، ترجع بعين التمييز إلى ألفى سنه
مضت إلى ذلك الامبراطور اسكندر حاليجولا أو الخدماء الخمعير . كما كان
يقتله حينئذ نيه تحبب ، ذلك مدى حلف صبريوس الامبراطور الغامض ! وهو

الامبراطور الشاب الذي رجب به الشعب ، وعقد عليه الآمال الكبيرة ، وأخذ يحقق ذلك لآس ، وإذا هو يصاب بمرض يقوم من بعده وحسب بأسراً فيقتل كل من يقع تحت طائلة ظلمه ، بل يقتل كل من كان جديراً برفقه إذا براع غيرهم من ساس . فقد قتل جميع من أخلصوا له أو أمرهم فسلوا أنفسهم ، وقتل أهل بيته ورجلته ، بل قتل أمه ، وض يفتت بمن مرده إلى أن انعم به جنده وثاروا عليه وملكوه لئلا يخلص من معيانه .

هذه هي السفينة التي كان يقضي فيها الامبراطور اسباب بعض وفاته بخلاف إلى الراحة . وهل يجد راحة من مرضه الملح ! لقد يشعر المرء في هذا السكون بالراحة في أن يخدع نفسه ، ويعتقد أن الامبراطور الشاب يجد حقيقة سناً من الراحة في هذه السفينة تتحربه في هذه البحيرة ابودعه وبين هذا السكون الشامل . وفي هذه الراحة يجد ألباعه وخدامه سبباً من مدته ، وفيها يدخل إلى نفسه شيء من الرحمة . ويريد المرء أن يعتقد أنه كان ينسى فسونه ، وأنه كان يرى أن القسوة جزء من أعباء سعادته فحلها حين يخفى إلى حاضنه وصحابه وغنايته في هذه السفينة . ولكن من ندري ؟ ربما ذاق أجداد أسماك هذه البحيرة صمم اللحم الآدمي في يوم من الأيام ، وعرف أسماك ذلك الأيام كيف نفروا من لحم السمك ، ومن طراوة لحم الفتاة .

تأسل الزائران ملباً هذه السفينة . ثم سارا إلى سحبت الذي أقيم على حافة البحيرة لأجزء السفينة ومحتوياتها ، فإذا أشبعوا فضولاً من رؤية هذه الآثار عادوا إلى لسبحه ولوى صاحبها غنائها ، فعادتا يسير بهما سيرهما لأوى تنهب الطريق بهما تهما .

ولم يكونا يحذران إلا قليلاً . فكلاهما قد مر لهذه الصمصم والسكون ، وكلاهما يعرف أن ما يجيش في خاطره و أسرار الأحسان يكاد يكون قريباً مما يجيش في خاطر صديقه .

كان صاحب السحبه قد رأى هذه الأسماك من قبل ، فهي لبست جديدة عليه ، وهو فصفي وكاتب . سأله . سأله . سأله صديقه ، ولكنه لاحظ صدمته بنظر إلى جبهة بعيدة عند الأفق . أسبحر مسكينة . تحلل رأس مرتفع عن الأرض ، ورأى على وجهه نظره حادة كمن يتكرر في شيء . فسأله :

ثم سكر : ألى بك سعد بسكرى صحاب جسدود . أو إلى
الإمبراطور المجرم نفسه .

فأجاب : كلا ! لقد لاحظت لى هذه الأدغال الضلّعة . قد أرى شخص
آخر قد يكون مجرمًا ولكنه يستحق الشفقة كل الشفقة .

الواقع أن منظر هذه الأدغال المظلمة ذهب به بعداً إلى بيت ضوره
العرييد التي وصفها جيمس فريزر في كتابه اخاند عن شعب كان متبنا
في غابة على شرفة من بحيرة بيمى . وكان كاهنه الأكبر لا يتوب في الغالب
إلا قسلاً . ذلك أنه مقدر دائماً أن من يتنزل الكاهن الأكبر يصل محله
فإذا استلم الأكبر بعد أن يرتكب جريمة ويجل محل سلفه لا يستطيع
اسموم مهاراً ، وبالأولى لاستطيعه ليلاً ، فهو لا يزال محبباً بين الأدغال . في
يده اخنجر حاد أن يعنى فيقتل من حماه نفسه . فأشبهه من بعضى عليه
ليحل محله . فما أشقى هذا الكاهن بمركزه !

سارت بهم . مساره فإذا انصريف يؤدى إلى قرية صغيرة كان أهلها
في مروج وشرور وقد ارتدوا خير نسيم . فالقبا والرجال في ملابس بسيطة
ونصه . والنسب استمراب في ثياب بيضاء مزركشة . وإذا هم في عدد يحفون
موسم في سيد القراونه . وكانوا يسيرون في سواكب نحو الميدان الذى متوسط
القرية . ويزن الصديقان من السبارة . وسارا في الموكب مع السائرين يتحدثان
إلى حد وذاك . فلم بلغ الموكب الميدان الذى متوسط القرية كان العمدة
في استداره . وهو رجل دين بعض السنى وخجول . فقدم يحيى السائرين في
الموكب ووقع عيانه على العربيين . فقدم إليهما ، وتقدما إلى محله . وكان
الميدان محمداً سرادقات متصوفة فيها قباب من جهيلات القرية سبع سلاط
مليحة بنت لهده الخليل . فالتفتى الصديقان سله منها وعددا إلى سارتها
بعد ساعة قضياها في لذة وجبور .

حادث السبارة يسير بهم في طريق ثمهده لسرف على سهول نفوم بنهب
لأنه ربح وبعثك ونصبه أحياناً صوف من أبحار الصمصاف السعد .
وخلص أحداً لا غير مرتفعه سمو على جوانبها الأسجد . وكان النهار
قد انقضى والشمس في كبد السماء ترسل حيوطها الذهبية . ولم تكن

في السماء حير قطع من السحاب الأبيض تكسلت في بعض الأركان وكأنها تسرع من حر الظهيرة أو هي تنتظر ساعة الطعام .

وذن الصديقان قد شعرا بتل هذه الحاجة ، أو عى الأبل إلى أنسى
م في السنة . وعلى حين مجاه بدا أمام أعينهم قصر عظيم من قصور الشروق
الوطني يحيط به الأبراج وحوله خندق كبير يروح كأنه بحره حافة صنع
على لغيب ليكون القصر يتأمن من بغزاه والناجين . وكان لون القصر
ربدا من القدم ، ولكنه أكمسى بحمة ورديه من أسعه الشمس . وأخذ
منظر القصر لبعضهم بانتباه الشيخ حتى إنه لم يكد يفتن إلى أن السيارة وقفت
على باب صغير يكاد يضائه إلى جانب القصر العظيم لا يظهر لعين .

ونزل الرا كبن ودخلا المكان ، فاذاهما في مطعم أنسى لسرف من موضعه
اختار على لتصر وسرا نوا إلى الشرفة حيث جسا إلى مائده وأمامهما
القصر المبت وهم يصلان على الخندق لعميق . وعلم الشيخ من صديقه أنه
قصر سان جوندلفو مسكن البابا في مصيفه .

وكا جائعين حفا بعد نبت الزهره الصويله ، ووضعت أمامهما مائدة اسرب
الأمر الثاني من نوع جيد من أنواع أسده القصور الرومانية . وجاءت صحفه
الأسباجي المنهيه على طريقة ديولي والمخان يتصاعد بها ، وقد أعدت
في احاء : وملا صاحب السيارة كويتين بالسراب ، وقال صديقه :

لسرب غيبك وغيب رحلتك .

فأجاب الشيخ :

— بل لسرب غيب ساكن هذا قصر ذى المنارخ فخير وريب بحرس

والقياصرة !

من محمود

الظلال في الأدب

«وأخضر الشعر ما غمض قلم يعطك غرضه إلا بعد عاطلة منه»
لأبي إسحاق الصابي

إلى الصديق الأكرم الأستاذ الدكتور طه حسين بك
سلمتَ وعسى . وزاد الله فضلك وثباً إلى وثب . ووصل قلمك برقة
الايأس وقوة الامتاع .

عرض لك شأن الأدب الذي عليه يبسط ظلٌ لطيف يوم أقيمتُ إليك
بقصيدة أرى إحلاصك للفن الصرف إلا أن تخرج في هذه الحجة ، فخرجت لشهرين
مضياً ، وأنت إلى سرٍّ غير متجذب إلا سيئاً ولأسلوب غير مهتر . على
أنك رأيت أن الأدب العربي هيب أن تنحصر مداخله في الستة الغالب الآن .
وأن الإنكار لا يفارق مجرى اعاده ليس سوى تعنت يغلب التصيق على
التفريق والافتداء على الابتداء . وأبصاً رأيت أن من إليه أمر النشر يحس
به أن يصرح إلى الأتباع أن القرائح على صنوفها وعرضها على الأذواق ،
فتقع تحت التبصر فالتدبر فالتخير ، وأنه مسئول عما يتولد وما يتجدد .
فإن هو نظر بصره فقد يكون لسواه نظر . وأنت في صنعك ذاك دلت على
السعة التي في صدرك ، واليقظة التي في حذرك ، والصدق الذي في همك .

وستُ أول مرة أنتصر للأدب المظلل ، فقد انفق لي أن أعرض له
من سبين قد حرحت في مسرحية تضاربت فيها الآراء ، تبعها قصص وأسعار
أثارت ما أثارت^(١) . واليوم أخوض في شأن ذلك الأدب من باب طريف طريقته
طرفاً يسيراً في حديثين مطولين أذاعهما راديو بيروت لخمسة سنوات خلون .

(١) لم يرد التبع والتوسع أن تراجع بوطته «مفرد الطريق» (القاهرة سنة ١٩٣٨)
وما تلاها بقمي في «الرسالة» (خاصة العدد ٢٥١) ، وبصدير «سوء تفاهم» (١٩٤٢)
و«كله الشاعر» في «المقتطف» (أبريل ١٩٤٥) ورسالة في مجله «المكر الحديث» (بعداد ،
العدد ١٠ ، ١٩٤٧) .

ويتم معرض الذي إليه أنزع هدهب عوا الاوصاف في موضوع كسج لك و
في ذلك اليوم ، ودار في ذهن كل منا دوراته ، ولم تنفسح لنا سحتة في الخال .
ففاتنا التذاكر والشاف .

الماس عندنا ليوم على هذا ارأى : « السيف بيان ووضوح » . فرى
لمستين منسافين إليه والقراء له فاعين ، ولا بشد عن هؤلاء وأوتك إلا فته
صعوره لا تنفر من كد السائل ومشفقه الاستسفاف . فهذا ارأى انتقب فاعده
ختيره يترى المستمسكون بها منزله المعبار الصحيح للنساء ، قدم أو حذب .
لا بد من مراجعة هذه القاعدة السائرة .

إما بادي بدء محليه ، فكان أحنابها وأصارها استقوع من دول الجاحظ
في « البيان والتبيين » : « اعياه التي إليها يحرى الغائل والسماع إنما هو النهم
والإفهام ، فبأي شئ بلغت الإفهام وأوضح عن المعنى فذلك هو البيان » . وقد
وقبوا عند هذا الحد على حين الخبط يتم الكلام فيقول : « وحكم المعاني
خلاف حكم الألفاظ . . . » وعلى هذا قام التعريف بين الفصاحة والبلاغة .
فالأولى هي الظهور والبيان ، وهي مفسورة على الألفاظ ، وأما الثانية فمور
على المعاني وقد عبرت الألفاظ منها . فإن وجب لوضوح على اللفظ فلس
يلزم مجرى الكلام ، لأن لمجى طرفين أحدهما عند اللفظ والآخر عند المعنى .
والمعنى على تفاوت بين القرب والبعد ، والعلو والسفل ، والحق والباطل .
ولا غرابة أن تتضح صفة من صفات المعاني على التعبير .

وكيف لا تراجع هذه القاعدة — أجملة كانت أم غير مجتمعة ؟ فالأدب
كأن من دوار ، لأنه من الحبه وإليها . وإن نظرنا إلى الحما وفهنا ما
يرمى من سرج مضاع المكر ، وينبذلان مع تحول زهافات الحس ، ويصرفان إلى
ما تمضي إليه وجهات لأرادته . فإن ضغط أهل صناعه السعد أسلمب الكسه
في نطق الأصول وشدوها بسلاسل القواعد فانما يصح عند لعهد معين .
إذ أنه من المستحيل في أفق الفن أن يرسخ أصل ونهض قاعده من البدنة
إلى النهاية . ذلك أن الأمم جميعها حبا ، والحياه اندفاع . فالأدب المربوط دلاله
ركود مصيره إلى الفناء .

والحق أن العهد الذي نكاد نخرج منه في بلاد العربيه لا يندرز بالشفافه

احالته الرفعة . على ما ذهب في بحث سابق أ ، سدد إليه في كتاب قريب
 ظهوره . ومن هنا كان صدق الأهم عن الأدب الذي يتصلب القري في تلفظ
 واعمله في محاذه . غير أنه يسر لأحد أن يئأس من بصعوبة ثقافتنا في
 مدارج صنف ، وجمال . ولعبرن "لأدب الحي" لأئمة حية ساعه كنق
 ندى الأصول ويكتب من سلاسل اقوعه . لذلك يحسن بأهل الصناعة أن
 ينصفوا عبده ويهتروا بك ، حيناً بعد حين ، مستغنيين بما وصلت إليه
 شؤون الحياة في جانب الفكر وجانب الشعور وجانب الارادة .

وعد ، سترى أسسهم بأداب الفرجة وأستظهر بمد هبهم على سبيل التنبيه
 لا على جبه المفسد ، ولتصميل ، في الجزء الأول من هذا المبحث . على ذلك
 أنهم فسوا بين أن الموصوح واحباء لا نادان يتيمان إلا في الوهم . ولا
 بطن "صان" أن عدا الأمر موقوف على الافرنج ، وما الحبه هي هي عندنا
 وعندهم . في هذا أدبا قابل للظل الذي يغني النور المستطر ، ففي القول
 من نصوص ما يؤيد ذلك . على ما يسين لك في الجزء الثاني من المبحث .
 وأب نفس الذي أعنه فلون من ألوان الابهام الساعم فيخرج القول مخرج
 الوحي ويدخل موضوعه في سر اللطافة .

ودونك الآن جوانب الحياة الثلاثة :

أما جانب الفكر فقد بظلت أسطوره ، العقل القادر على كل شيء " حتى إنه
 يمبر الأشياء اأارجيته فتتميز وبين خصائصها فتيين . ومع دهاب هذه
 الأسطوره ذهبت طرفه الكتاب الطبيعيين - وعلى رأسهم (زولا) Zola -
 ادبن حاولوا أن يعينوا جميع الظواهر اجمعية كانت أو نفسانية أو جسمانية ،
 وهماء منهم أن العلم قد بلغ العاية ، فما من محبوب يستعصى على الكشف .
 ومن حضم نيت لأصوره الفسوف الفرنسي (برجنس) Bergson . فانه عاد
 من ساء . بأسس مؤمناً بأن العقل وسيله بنجح مره وتخطى مره ، وأن آله
 المخطو ، وأن المنطق اصطلاح لا صلة له بجواهر الحقائق . وقد دلت مباحثه فيما
 دلت على أن العقل يحاول نصم الحياة في حين أنها تفارق بنسب في تعاريج ،
 وأن العقل يريد أن يلم جنات الحياة في حين أنها وثبات : فكيف
 لعس إذن أن يوضح فيصيب ؟ قائماً توضيحه افعمال واتفاق . ولكن
 ابصيره هي التي نستطيع أن نستشف السامو . غير أنها لا ينظم الوضوح بها ،

بل هي تتحسس فتقبض على حقيقته عما وتهتدي إلى حقيقته حسب . فمدون
ما وراء المحسوس والمعقول تدويناً منقطعاً بفضل لواعج هتس وبواده حظرب .
وقد سائر هذه الفلسفة أربع ضروب الشعر الحديث في فرنسة وأجلها .
فليس أحد يجهل (مالارميه) Mallarmé و (كلودين) Claudel ومن لف
لفهم ممن أبعادوا المصق عن آفاق المعاني وعمدوا إلى المشاهدة البساطه ،
فانظروا على أنفسهم بحجب اتجهت الصور إلى الخيائير والصلت بالسرائر
فاتشعب بالرمز الذي يعقد دنيا الحس بعالم المعنى وشق شعاب الرؤى ذوات
الغرائب ، لأن الخيال موصول بما لا حد له ولا ضابط . هذا ويبدو الشاعر
(فاييرى) Valéry في طوره الثاني مفكراً يعتمد الدكاء في مراقبه أحداث الوجدان .
غير أن العقل عنده ليس ذلك الذي يستعمل المطلق ونفع بالضر في
الأعراض . ولكنه الإدراك الصرف المنزه عن المواضيع والملاسل ، استلب
في ملكوت المعنى الأفلاطونه . وهؤلاء شعراء الثلاثة ولأبعينهم نص أجنى
عن الوصوح وعن التمسك . وكفى عجب مسيراً وتصويراً مستهيباً وموتناً
مختلماً نوحى إليك بما لا يوحى به الشعر الملاحم السنين . وفي شعر (ريلكه)
Rilke التسيكوسلوفياكي لعبير من طريق حداث والمضات وحدها . ويسرى
شعراء « ماوراء الواقع » Surréalistes ومصوروه في فرنسه وإنجلترا في هد
الطريق فيبتدون ويرتجلون ما شاءوا في أفلاك غائمة .

وقد امتد مبدأ ذلك الأسلوب استخف بالواقع إلى السرح الذي نعند
الايحاء والايهام . وأما في القصص انترنسي مع (فورييه) Fournier الذي
سكب في قصه *le Grand Meaulnes* غصارات الموهوم في أبهى العلوم . وهو
يذكرنا إذا بوله سكسبر على سفاة مكثيب (الفصل الأول المشهد الثالث) :
And nothing is, But what is not أى : « الموجود الحق هو في الخياليان » .
وعنى هذا يجري التصوير الحديث في حمسه . إذ هو بعد الآن أمراً خارجاً
عن الواقع بل واقعاً آخر قائماً برأسه .

وأب جانب الشعور فقد انصرف علم النفس الحديث بعد مجارب النموسى
(فرويد) Freud وأضرابه ويعد سباحث (برجنس) إلى عوالم النفس غير
الواعيه ، وتبين للناس أن حركات النفس إنما مجراها في مجاهل الضمير . ومن

هذا امتدادات من الحركات وسدودها . فمن العسف إذ أن يؤلف القصص قصة فيأخذ في السرح المتصل والحسن مترد ، كأنما أشخاص القصة عناصر ليمانيه تُفحص في أسيب فيظفر فعبث وتساؤلها . إن عدم التسلسل بها على لضاعف الشخصيه الوحده فتبدو في غير الصورة المعروفة بها ، وعلى وحب احسن من مكمنه فسداف التيارات الباطنه .

والقصص ابوتى خياه الوجدان هو من دعاب فلمه وجاء مع التلافات الصممر ورجعاه ، ثم من بخر في تحذير نفثه بمشكلة من مشكلات الحس انديس فستبها وجوها حفى إلى القراء . وعلى هذا سجت مدرسة القصصين انجيس مثل (بورجيه Bourget الفرنسي ومن بعده من الانجيز في عهد لمكة فكموريه . ومنه مشابهه مدرسه المعبرين الانعانيين ، خاصة في إنجلترا . وفي هذه المدرسه كبين رفيقن (مانسفند K Mansfield و (ولف V. Woolf وكامب عجيب مرهق يرسل الحديد المتصمر على هواه هو (جويس J. Joyce . ومن أنسى D. H. Lawrence لذى غدعل إلى زوايا الزواب والزغات ؟

وداء سبق هؤلاء القصصون الروس إذ تنهبوا إلى مذهب النفس البشريه وعرايها وتقتنضها من أن تثبت علم نفس الحديد طبيعتها . فوسينيتسكى وطرأوه بعمون بالحنيا واستوييت والمعقبات . هذا وفي المسرح برز هذا اللون من معاجيه حركات النفس على من الابطالي (بيرندلو Pirandello خاصة ، فمسرحه سياتى على بوجدان وممم ضرباه . وهذا اللون من الأسف سيوء في المسرحيه أم في انصه لا يجرى الجرى الواضح ، بل هو دائم على جيتاب سلاحه وحسرت وامضه بلفها جمع إيهام متسر على السياق . ونجس هذا اللون جسد في التصوير وفي الرقص أيضا ، وحسى هذا الأساره إلى المذهب التعبيرى l'expressionnisme .

وأما حاسب الإراده فما أتمن أحداً بشك أن حاصه هذا العصر هو التقى دائم . فقد وصفه بيشه Nietzsche حيث قال : « إن العبران البسرى محاوله وبحث لا ينقطع ، هذا هو تعليمي » .

فاسب التوره الفرنسيه وععتها الفلايات فكره وسادة ومساعد . فجهت العفول فخارب في احل وطمح الأنفس فتورعت بين المصاعد . هنا مذهب

وهناك مذهب ، هفت رسيه و هفت رسيه . وفي أواخر القرن التاسع عشر نقل (إبسن) Ibsen الروماني سارغاب شيعه السيهه على حسب المسرح ، فأنشأ ذلك المسرح الرمزي الغامض بعض الغموض . رحرر بالاضطرابات الدالة على حقيقة الطبيعة . وسكر حير من غير من ذلك بقى هو (مان) Mann الألماني و (جيد) Gide الفرنسي . ألسن (جيد) يدى بصرح ويقول : « الافلاى . دلت دأى . Inquiéter, tel est mon rôle . فترى أسحاص قصصه بصرعهم مأسى اصغر فتردب بين أسديهم فى حقوق الاراده وحققه لسهود . وفي فرنسه أسال (كوتو) Cocteau و (أرحون) Aragon برى أصاصم فحصل مواريسهم و تربيت حركتهم و يتردد نيتهم نأهم أسفاب (كاملين) Hamlet اسدى ابكره سكسير من قل وجعله مندسداً أدأ . و عدا D. H. Lawrence فى انجلترا ظل كنشد بعث الروح احتره من فربق بعث الجسد الجائش .

وطبعى أن ينسى هذا الفلق فى تجاه النزعه واستمرار استقصه فلف فى مجرى الفصه نفسها . إذ يعقد غيم على جولاب الأبطال وحنفب موضوع . هذا . واندى زاد فى الهزام الاطراد اجلى أن أسرار الكون أصبح معجز النظر المضى ، إذ كل مايجول فى جنباب العالم يقع تحب مبدأ . الاضافه . أو « السيهه » على حد اصطلاحنا . وعلى الى أهرها (أنشيس) Einstein . فلا إضلاق فى احير ولا فى اسر . على صدمه نصيبه فى قصص (ديكنز) Dickens الانجيزى . ونايل (ديكنز) أحسن مقابله الفرنسي (بروست) Proust الذى وجّه كثيراً من الكتاب الفرنسيين والانجيز . والخلق بين أيدى (بروست) وأبباعه لا غاس صفاتهم بمعارف ولا يرد أشواؤهم إلى مرجع صريح : إهم فى نفس ديم بالاضافه إلى الحوادث . واحوادث سموح ولا سهى .

ونس حروج العالم من الحرب الأخيره إلا دحولا فى مسكلات جديده سنسأ منها عتسب لأدياء والناس على السياسة . ويأسهم من رحما . وإقباهم على القيم البشريه ينقدونها من جدسه ويحكون معادها فيراجعوها فى حيره ورحقه . فهذا (سارتر) Sartre اسدى رجب فلسفه من سنين يمر من الوجود لدايه en soi و لدايه فيرى أن الوجود لدايه لا يقابى نفسه على المذهب لأن العدم يصرق إلى كده . ونتيجه هذا أن

الإنسان كما هو موجود ندائه لا يقع تحت تعريف ابواضح العقول .
 فكذلك يرى أن الأدب ارفع هذا العهد في بلاد الافرنج مسرف عن الوضوح
 في سبب الخلل ، بحجته نجواب الحداثة : لفكر واستشعور والارادة .
 وفي آيات من كل سيد شعراء عصر (ر. سرانبات ناجورا) ما يجعل الشرق يشارك
 حتى ضيقه في ذلك الأدب الموقور الظلال ، وبحسب الظلال رموز وحطافات .

لا حَرَمَ إن في استطاعه الأدب العربي أن يبين هو الآخر عن الوضوح
 يحدو ويرغب . بل إنه لا ينبغي به في وقت اجاز معه صور الشئ فاستوى
 ويمكن . أن يبدو أدباً بعيداً بعيداً فحسب . يستبد به المصريح وثقته التثويل .
 فسحق عن سمار آداب الأمم رايه . مستهياً بمار القرائح في العلم والفن .
 وفي ترائد ما يرد على الدين يحضرون أسلوب الأدب العربي في الوضوح .
 لأن في هذا التراث ما يدل على قبول الانشاء للإيهام .

ويحسب أن أحد المراد من الإيهام الذي هو في الأداء في موضوع
 الكلام . فيدعي أن لا أريد البتة ذلك النوع المقصود لوجه التورية
 أو التعمية أو الانغلاق . ومن ضروبه ما اربه : الملاحن والألغاز والأحاجي
 والمغالطات المعنوية . فهذا النوع دون مرتبة الفن الخفي . ولكنني أعني .
 باختصار ، ما بعد مداه ودق مرماه ، في عبارته مستعملة لماه على غير تعقيد
 وانصراف وعلى غير خشونة واستراخ ، في تركيب اللفظ وفي مفردة :

إن دواوين الفصاحة وابلغاته حافله بالكلام على ، الحذف واقتصر
 والتعريف والاضمار والكف . ومن الامثال أن أعدو الله دير ها هنا .

وإذا دخل اجاز — وبأوسع ! — في حاسب التعبير فإلى أحب أن
 أقول إليك رأي صاحب كتاب « الطراز » وهو من الفحول . قال :
 « إذا سُبِّرَ من المعنى بالنفس الدال على الحقيقة حصل كمال العلم به من
 جميع وجوهه ، وإذا عُبر عنه بمجازه لم يعرف على جهة الكمال . ويحصل
 مع اجاز تسوي إلى تحصيل الكمال ، فلا جَرَمَ كانت العبارة باجياز
 أقرب إلى تحسين الكلام وبلوغه . واجاز عنده « كلام سير عام » . فغير
 كما جاء في كتاب « العمدة » لابن رسيق ، « أبلغ من الحقيقة لاحد
 وجوه التأويل » .

وهذا باب خير يدخل في التعبير ، وهو مشهور ، وهذا الباب هو
الاعتزاز . ولايجز حذف فصول الكلام ، كما قالوا : ويرى ابن التتبع أنه
قائم على الوحي والاشارة ، وأن ذلك هو البلاغة . وفي هذا الباب يدخل
كثير من « جوسع الكم » . ومما جاء في « العمدة » أن الاساره من
غرائب الشعر وبلاده ، وبلاسته عجيبة يدل على بعد المرمى وحرط القدرة ،
وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والخاذق الماهر . . . وهذا النوع من الشعر
هو الوحي عندهم . وقد فصل علماء البلاغة الاساره ، فمن فروعها المستحسنه :
الايماء والتلويح واللمحه والتمثيل والرمز . وقالوا ، على ما جاء في « العمدة » : « أصل
الرمز الكلام خفي الذي لا يكاد يفهم ، تم استعمال حتى صار الاساره . . .
كقول أبي نواس يصف يوماً مطيراً :

وشمس حرّة مخلّدة ليس لها في سمانها نور

فقله : حرّة ، يدل على ما أراد في باقي البيت ، إذ كان من شأن
الحرّة اختف وإخفاء . « ومن هنا يبين أن لرمز الذي عليه مدار الكثير من
التعبير احديث في لشعر الافرى دار . على نحو آخر ، خواصر لعرب وطاب
لأدوافهم . وهو غير ارمز المعنى المدرسي اسائه عندنا ، فالغالب على
الافياء أن الرمز إقامه سى يدل سى آخر من باب استخيل . نقول : اعلم ،
عنواناً لبوطن واللباض ، عنواناً لشهره . فالرمز بهذا المعنى المدرسي هين ،
وأما الرمز الذي عرفوه قديماً فأوسع في حصف استجاب وأوفر سنده مدققين .
وليس أسلوب الاشاره بالمستعرب أو الشاذ في لغة العرب ، فقد يمد
النقاد عند القاهر الحرجاني بقول في « دلائل الاعتزاز » : « وإذا تأملت
كلام الأولين الذين سلكوا السبيل وجدت عبارته فيه أكثر من الاشاره
وانتصرح أسلوب من التلويح . ولأمر في علم لصاحبه بالخذ من عدا ، فانك
إذا قرأت ، فإله العلماء فيه وجدت جلد أو كنه برأ ووحاً و سنده ويعرضاً
وإيحاء إلى العرض من وجد لا جس له إلا من غفل افكر وأدق النظر ومن
يرجع من ضبعه إلى المعيد بقوى معينا على البعض وحصل لها إلى الخلق . . .
حتى أن الافصاح بالمعنى حرام . وذكرها إلا على سبيل التكنيه والتعريض
غير مائع . »

ولو لم يكن الوحي فضيله ما مدحت العرب شعراءها به . كما جاء في « البيان والتبيين » . ومن الغريب أن ترى البحترى وهو من شعراء الاقصاد يقول :

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

يل هذا القرآن عمدة التعبير وقوده المنشئين . فأكثر القُدائى ، كما ذكر صاحب « سر الفصاحة » ، يستحسنون منه ما كانت صفته الایجاز والاختصار . وزاد صاحب كتاب الصناعتين : « وقد رأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مُخرج الاساره والوحي ، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطاً . »

والبسط في العبارة له موافقه عندهم . فانه يحسن في المواعظ والخطب ، ويجب إذا قصد المتكلم إلى إفهام العامة أو أعجاب العقول البليده أو الأعاجم . وهبته أن يعوم التصويل مقدم سنه . ألا ترى إلى صاحب « المثل السائر » إد بندد بالذين « يطولون حتى نفهم العامة » لأن « نور الشمس إذا لم يره (السجين) لا يكون ذلك نقصاً في استناره وإنما النقص في عجز (السجين) . » وقرر صاحب كتاب « الطراز » : « وب زعموه من ترك الایجاز البليغ لأجل إفهام العامة ليس شرطاً معتبراً ولا يعول عليه . »

وأختم هذا الباب برأى صاحب « ديوان المعاني » في أسلوب الشعر ، قال : والایجاز بجميع شعر الیق . . . ولا أعرفه إلا بلاغه في جميع الشعر لأن سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحي .

والآن نبليغ « التعريض » والعريض كما في « الطراز » : « المفهوم من القرينة دون دلالة اللفظ ، وهو كثير الدور في الكلام ، وله مدخل في البلاغة وموقع عظيم . »

وبلى التعريض الإبهام نفسه . ففي « الطراز » أيضاً : « اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فانه يقيد بلاغه ويكسبه إعجاباً وفخامة . وذلك أنه إذا فرغ السمع على جهة الإبهام فان السامع يذهب في إبهامه كل مذهب . والابهام بوقع السامع في حيرة ويفكر واستعظام . » وإن أمهل عند قوله : « إن السامع يذهب في إبهام المعنى كل مذهب »

وأردفه بما أورده الجرجاني في « دلائل الإعجاز » إذ جعل امره والمصل في
احتمل الكلام أكثر من معنى . مما يثير أروحه السامع على سرت أن يكون
من أهل ادبوا والمعرفة . ومثل هذا مر بك في معرض تجر . نيت لتبفه من
لصائف العبقرية العربية صادف في الثقافة الأفريقية الحديثة ما سخر إليها :
فالشعر والمسرح والتقصص متى ارتفع هالك لا يكون غداء لضمير
وللألب ذخراً إلا إذا افتضت التفكير ونبأس واستدعت التأويل والتمس .
فمن الصم أن يقول قائل ساء أو مغرض أن أدب العبقر مثل الغالب
من الأدب الخاضر في قرب المعنى وسهولة التعبير . أو يقول بأن قريء الأوس
كأكثر قراء الموم في بقاء الدهن وجهود الخاطر . أو في الترخ من نشاط لروية
والكف بالسلي والتلهي . أما سمعت أن البصراء من القاء ألبوا المعنى
الذي يجهده سامعه فشيء به بالجوع في الصدق لا يبرر إلا لخاطر الذي يسعى
فينلج في شق الصدقة ؟ قال الجرجاني في « أسرار ابلاسه » : « ما كان من
المعنى ألطف كان امتناعه عليك أكثر وإدؤه أظهر واحتجابه أسد . ومن
المركوز في التببع (وأنا أخيف : المرهف) أن السبي إذا نيل بعد الطلب
له أو الاشتاق له كان نيله أحلى وبليزه أولى ، فكان موقعه من النفس
أجل . »

لعمري ما فضل الشعر لدى يحلو لنظفه وبين « فإذا أبت فتشته لم نجد
هناك طائلا » على ما يقول ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » ؟
ولو كان اليسر أشرف من العسر واجلي أرهف من الخفي في رأى
المستبصرين من العرب والمستعربين ما ذهب الراسخون في علوم القرآن مذهب
المهرة في فنون النقد . ألا ترى إلى أولئك وعم بين يدي الآية الكريمة :
« هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . . . » (سيرة آل عمران) ؟ قال الفخر الرازي
في تفسيره الكبير : « وأعلم أن العلم ذكروا من فوائد المساهبات وجوهاً ،
الوجه الأول : أنه متى كانت المساهبات موجودة كان الوصول إلى الحق
أصعب وأسقى . وزباده المنقذ موجب مزيد الثواب . قال الله تعالى :
« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَفَ يَعْلَمَ اللَّهُ سَدِّينَ حَاسِدُوا
مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ » . ولنن كذلك جنه ، ومتعتها نورانية .

ولحسن الأمثلة على ذلك المعنى المهمة في القرآن والأثر وكلام النصحاء .
 قال صاحب « الضرار » : « ووروده (أي : الإيهام من غير تفسير) في القرآن
 كثير . وقال ابن فارس في « الصحاح » : « العرب تشير إلى المعنى إشارة
 وتسمى إيماء دون التصريح وهو في أشعارهم كثير . »

ولو مسح المكان لاستشهد على كل ذلك بآيات من القرآن يرد الكلام
 فيها من مسكت تعريض وبأحدث نبوة تدور فيها الرموز ، على ما قد بين
 صاحب « الخراز » . ثم بأشعار كالتى ابتكرها أبو تمام الذى عرف كيف يعمل
 لفكر ويذكر الحس يستخرج العوض ويستنبط الطريف حتى كلف الناس
 العوض ، وحى قيل له : لم نقول ما لا يُنهم ، فقال لهم لا تفهمون ما يقال ؟
 ثم بأشعار قاطها ابن الرومي يصح فيها قوله :

نار الروية نارٌ جِدُّ منضجة وللبديهة نار ذات تلويح
 وقد يفضلها قوم لسرعتها لكنها سرعة تمضى مع الريح

ثم بأشعار لأبي الطيب المتنبي مثل التى قال فيها الخفاجى في « سر
 انصاحه » : « إنها لما سأل عن معناه وبكر في فهمه ، ثم بفصول من
 « النصول والغايات ، لأبي العلاء السرى تصوبت فظنته إلى الغاية القصوى
 وتلطفته إشارته في رهافة مثلى . »

وبعد الاستسهاد كتب عرجب على آثار الصوفية شعرها ونثرها ، ووفقت
 عند دقائقها ورفائنها من مكشفات ومنازلات هى خمس من مُصطلح نور
 الختمه الشافى . وما كنت وفقت عند مستغلتها ومد وراتها ، ذلك لأن الإيهام
 أبدى أثره لى ليس مأناه طلب الألفار بوساطة اللبس باده وبارده بالعمد
 إلى المصطلحات الخاصة .

والخلاصة أن الإيهام واسع الخلق في الأدب العربى الموروث ، شأنه في
 الأدب الاقربجى الحديث . وإذا اختلف هذا عن ذلك لباعد العهدين ،
 وبين التقاضين . ومعاير نتائج العلوم ، وسدود تجارب النفوس فانه يواطئه
 في أيوان من العبثى لانماق الأساليب في اللطافة : وليس غرضى من هذا
 المثال أن أقول إيهام أدب اسابق بإيهام أدب القربجى هذا العهد في جوانب

الحياة الثلاثة : المكر والشعور والارادة . وقد توسعت هذه الجوانب ودقت وشارت . ولكن وجهي الاحتجاج بأن سر لغتنا لا ينكر الاهتمام من جهة الأداء أو من جهة موضوع الكلام ، فليست به حاجة وجبة إلى الضوء الذي يغمر الانشاء أى غمره حتى إنه لا بدع لمطر فرجة للاجتلاء ولنفوذ سيباً للاتقاد واللوم مدى للانسراح .

وعنى هذا إن نطلب الوضوح في الأدب الرفع الذي ينشئه المنشئ على غير رغبة في التعليم والتبرير ولجلد والسرمد وأنسدها إنما هو عدون على شق جليل من عبقرية العربية ذات الافتتان الخالد .

واليوم بمهد لنا الطريق النديم انسى في منعرجات له جديدة . نجم لم لا يتها لنا الجرى في مسالك مسانئه بفضل التوليد والاختراع ، مع ما يعدوهما من ثقافة العهد ، ولطريهما من رفاسته ، ومع ما يلونهما من أسرار الروح الشرقية ، العربية أصلاً أو فرعاً .

وسلام الله عليك من أخ يحيل فضلك ويقدر ودك .

بشرف فامسى

تاسيتوس المؤرخ الروماني

ورأى نابليون فيه

كان نابليون نابرب في بعض المواقف يرى من موجبات السياسة ودواعي
احسن واسكياسه أن يبقى رجال الأدب والشعراء والفلاسفة والعلماء
ومحادثهم الحديث ويحرض معهم عمار المشكلات الفكرية والبحوث النظرية .
ويروى نابيران في مذكراته أن نابليون كان بعد العدة لأشغال هذه
احداثات وسابسات ، ويعنى عساه حاصه بأن ينتصر في حومه المدسة ،
ولما كان مسلح بالمعلومات الكبية في الموضوع انذى سيناوله الحديث
ويعنى الخجج وابراهيم ويعمد إلى طريقة الهجوم المنجى التي أسنها في
مبادئ الوغى ، وهذه اطريقة كان كثيراً مايقى في التغلب على محاديه ،
وسجهم حصون المعاربه . ويظهر أمام الحاضرين مظهر العالم المتفوق والمنكر
النافذ النظر ! وكان لا يربك ولا يتخادل مسعته إذا لبس به محدثه ورماه
بحجه ينقض رأيه من أساسه ؛ لأنه كان يستطيع في بسروسةولة أن يجد
لأسباب لقطع طريق احداثه أو تحويلها إلى الناحية التي يريد لها ، وكانت
ثقتة بنفسه في هذا افعال عظيمة لا حدود لها ، ويؤكد لنا نابيران أنه
« ما كان ليهز هذه الثقة حضور موتسكويه أو فولتير » .

واتمى في سنة ١٨٠٦ أن هزم نابليون نروسيير في معركة بنا السهيرة
ودخل برلين دخول الظافر المستصر ، ولقى المؤرخ الألماني الأستاذ جوان فون ميلر ،
ونان ميلر من سلاه المتعصبين للمؤرخ الروماني تاسيتوس . وكان يحتذى
أسلوبه ويسير على طريقته في تصوير الحوادث والرجال وبكيتهم والنعمى
عليهم . ودار الحديث على تاسيتوس ، ولم يترقى نابليون بالأستاذ المؤرخ ،
ومهاجم تاسيتوس هجوماً عنيفاً ، وتخادل المؤرخ أمام قوه نابليون الخصايبه ،
وزكانته التاريخية ، ومحاته انكسفة وهجمانه المباشرة ، فأقصاه المقادة ، وسلم
له على طول الخط ، وأخذ الرجل بنابليون ، وسحر بجلاله وعصمته ، وترك

في وفده حماسه خدسه احكومته البروسيه ودخل في خدمة خكومته لفرسيه
وغالى بعد ذلك في الاعجاب سانلون ، فقال مره في إحدى خطبه والامير صير
في أوج قويه : « إن نابليون هو الرجل الذي يلتزم الدنيا الصمت إراءه لأن لله
قد وضع رمام الدنيا في يديه . وقد عقب على ذلك أحد الأمراء الأوربيين بقوله :
« لو أن نابليون أنصب ولو أنه أجب لكان أعظم رجل عاش في الدنيا . »
ولعل هذا الانتصار في محاربه تاسيتوس ثان أول انتصار أغر أحرره
الامبراطور في ميدان التاريخ ونقد المؤرخين .

وفي سبتمبر سنة ١٨٠٨ اجتمع الامبراطور نابليون بالقيصر الاسكندر عاهل
اروس في مدينه إرفوب الصغيره القريبه من ويمار في الأراضي الألمانية .
وفي هذه المناسبة اسقبل الامبراطور دوق ويمار وجيتي وويلاند النقاده الألمان
الذئع الصيب ورحب بهم . وخاض مع جيتي وويلاند في أحاديث الأدب
جريا على عادته في محاولة اكتساب إعجاب المفكرين وتقديرهم .
وفي أثناء إحدى حفلات الرقص في ويمار دارت منافسه أو وقعت مناوئه
بينه وبين النقاده وويلاند ، وكان موضوعها المؤرخ تاسيتوس . ولم يلق نابليون
في هذه المره انتصاراً هيناً ليناً بانتصاره على المؤرخ ميلر ؛ فقد ثبت له
ويلاند . وأخذ عليه المسالك ، وصيف الخفاف . وكاد يهرسه لولا ما أوى
الامبراطور من بديهه حاضرة وحيلة واسعة .

وكان سبب احتدام المناقشة وسبب الحدل بين الامبراطور وويلاند قول
نابليون إن النساء مدرسه للرجال المستعيرين ، وإنها من بعض الوجوه تنمو
التاريخ . وتجمع في الحفنة التي ألقى فيها نابليون بهذا التصريح جمعة من المفكرين
في أحد أركان الحجرة . واسترسل الامبراطور يقول بحماسة وويلاند : « أؤكد
لك أن المؤرخ تاسيتوس مدي كبرون من الاستسهال به . بعدنى قط سناً .
وهل تعرف أعظم منه شعياً للرجال وسكماً عليهم وهو مع ذلك ظالم ؟
وهو يعزو أبسط الأعمال إلى الدوافع الإجراميه ، هو تصور أنصره ابرو مان
جميعهم أشراً منه لكي تكسب الإعجاب للعبقرية التي همك سترهم .
وسنويده أولى بأن تسمى منحصاً لسجلات الأباطرة من أن تسمى تاريخاً
لالامبراطوريه . فنتي لا تحبر بسى سوى الاتهامات بالتمس وأخبار لندن
فتحوا شرايتهم في احم . وهذا الذي لا نتي يمحط عن اجواسس هو بسه

أعظم انحوسيس . وأى أسلوب ؟ وأى غموض لا يسمع في طمعه سوء ؟ وليس من كبر اسمك من اللاتينية . سكر غموض تاسيتوس واضح في عشر تراجم أو اثني عشر ترجمه فأما في الفرنسية أو الإيطالية . ومن ثم استبطلت أن الغموض أصيل فيه . وأنه ليس مقصوداً على أسلوبه ، وإنما يشمل ذلك تفكيره . ولقد سمعت من عدة من أجل الخوف الذي يوقعه في نفوس الأطفال ، فهو يجعلهم يهابون الشعب . وهذا نكبه على الشعب نفسه ، أليس على حق فيسبوا ويلاند ؟ »
وعنا توقف نابليون عن الحديث معتذراً بعض الاعتذار ، واسترعى نظر الجماعه إلى براعة القيصر الاسكندر في الرقص ورشاقة حركاته . ولكن جماعة الحاضرين كانت أكثر اهتماماً بمشاهدته المبارزة الفكرية منها برؤيته الرقص البديع والحركات الرشيقه .

وسجعت صراخه نابليون ويلاند على قبول التحدي . فبدأ يقول : إن تاسيتوس لم يعتمد إلى فضيحة الأباطره والتشديد بهم لرغبتهم السافلة الوضيعة بحسب ، وإنما كسب كذلك مساوئهم للانسانه جميعها في مختلف الأجيال . وحتم حديثه بقوله : إنه يأمل أن يسيطر العقل على الناس بدلاً من العاطفه والهوى . فأجاب الامبراطور : « هذا ما يقوله فلاسفتنا جميعهم ، وبالرغم من أني أبحث عن قوة العقل هذه فاني لم أجدها في أى مكان . »

فتجاسرويلاند على أن يقول : « إن من علامات نموها الاهتمام المتزايد تاسيتوس أوفر مؤرخي العصور القديمه على التلويح كما سمع راسين . ولقد كانت لامبراطورية في عصره يحكمها هولاء فباح وقد سبقهم تاسيتوس ببيانهم وقال منهم ، وقد كان مضطراً إلى أن يحصر نفسه في سجلات روما على حين أن لتيتوس على رأس الجيوش ، وفي كتابة تاسيتوس انعكس صورته ذلك العصر البائس السقي الذي وقف فيه الأمراء والشعب وجهاً لوجه . ولكنه حين صفت اليهود التي تخالف فيها لامبراطوريه مع حربه فانه عبر ذلك أنظم الكشوف التي اهتدى إليها الانسان . »

وعند طن دوى الاسحسان . واعترف نابليون بأنه يملك حزم عند . وبأن موقفه محمود بالاحتمار . ولكن براعته ليعوده . فخلده في هذا الموقف ، والتفت حول جناح حشمه قائلاً : « هل راسلت مصادفه امر مسير الذي لتنته في بونزدام ؟ إلى لا أسسم تأتي حرمي . »

فاريك وبلانده ، واعترف بأن الأمر كما قدر نيمون . وأدهس ذلك الحاضرين وأستعهم ، وسجع ذلك نابليون على استئناف انتادسه مؤسداً « أن تاسيتوس لم يكشف عن الأسباب الداخلية المسسره للحوادث ، وأنه يترك علاقات الخفيه الغامضه غير واضحة . وأوجز غرضه بقوله : إنه يجب الحكم على حكومات حسب ابيئته ، وأهمل المناقشة في هذا الموضوع وقد أبى فيه بلاجه حسناً لحصمه الجري . وحول مجرى الحديث إلى نوح أخرى . وكان نيمون يحترم الرجل الذي يعرف ما يقول ويحسن التكبير . فأعمدى وسام السرف لفرنسي لجنتي وويلانده في ١٤ أكتوبر قبل أن يرح إلفرت هو ولنبصر الاسكندر . وقد ظل نابليون إلى آخر أيامه وهو يكره تاسيتوس ولم يغير فيه رأيه . ففي جزيره سنت هيلانة عاد فأند رأيه في أن تاسيتوس لم يفسر الدوافع التي تؤثر في أعمال الرجل . وأن القصص التي رواها عن تيريوس سحيقه ، وبأذا يحرق يرون روما وهو الذي كان يحبها ؟ لم يقدم تاسيتوس سبباً يدعو إلى ذلك . وسخر نابليون من فكره عزو كراهه تاسيتوس إلى معارضة تاسيتوس للطغيان .

وما من شك في أن لسديده تاسيتوس الكبير على الطغاه والمنسبدين أراً في تعامل نابليون عليه . ففي الفصل خامس بعد اسلانين من الكتاب الرابع من سنويانه بعد أن روى دفاع كرتيتوس كورديوس عن نفسه حينما وجهت إليه تهمة مدح كاسيوس وبروناس في سنويانه قال : « إن العبقرية تقوى وسمو بالاضمحهاد والضغط ، واضطهد الكاتب تزد قيمه عمله . والطغاه الأحناب وجميع من اتخذ سياستهم الوحشه مد جربوا هذه الخنثه ، وقد سجلوا على أنفسهم العار بمقاومتهم الموهوبين ودوى العقول وأعطوا كتب جواز المرور إلى الخنود . » ويقول كذلك في عرض كلامه عن هذا الموضوع : « السبب الذي يهمل أمره سرعان ما يموت ويخمد . ولكن إذا أظهرت أن السبب قد جرحك أعطيته مظهر الصدق . »

على أن الحق يقتضي أن تقرر أن تعامل نابليون على تاسيتوس مهما كانت أسبابه كان له تأثير حسن في الدراسات التاريخيه ؛ فقد أثار الشكوك في صدق الصوره التي رسمها تاسيتوس لتيريوس وغيره من ساسة عصره وأعيان زمانه . ويرى كثير من الباحثين الآن أن صوره الخزيمة الشديده الكر مبالغ فيها .

ويسر أدنى حتى زكاته نابليون من أنه كان في طبيعته الدين حفظوا ذلك وأشاروا إليه ونهبوا عليه .

وأخذ عليه بعض نقده احمدين حتى أفقه وسده بعضه ونخبه ، وأنه لكي يزيد سائس ويبالغ في وصف سوء لأحوال واكفهار الحيو وليكر من كبل اسنائم الساسة والمثالب الجارحة ، كان يصحى حوى ؛ وكان يزيد جوراً في ذلك أنه كان لا يعرف بعض من كتب عنهم إلا معرفه ناقصه حتى حين كان يكرههم لراعه شديدة . ومتى اجتمعت المعرفة الناقصة بالكراهة اسديدة صل ارأى ومنتطرب ميزان الحكم واحمل القدر . وربما كان تاسيتوس لا يعتمد ذلك بعداً ، ولا يقصد إليه قصداً ، وإنما كان عمله المليء بالاستكرا والحزب لا يمكنه من أن ينظر إلى الحوادث والرجال نظرة بريئة زهية حاسية من سوء أبهى ولاوين العاطفة . يضاف إلى ذلك حرصه على بصميين أحلامه إلى الناس حملاً موحزه جامعهم يسهل انطباعها في الدائرة وبقاؤها على الأيام . ومثل هذه الجموع القصيرة المسمومة قد يسرى منها أنوار البلاغة ، وسكنها ثبراً ما تجور على الخنائى التاريخيه ؛ لأن ذلك احتائى في بعض الأحيان أو في كثير من الأحيان تنأى على البلاغة وتسعسى على الدباجة المشرقة والكلمات الوثابة النابضة الجامعة .

على أن الكثير من تاريخ الرومان وغيرهم من الأمم يقوم على وثائق ليست قوى منال الشبهت . وقد اشترك الامل والاعقل والتحيز والحوى والكذب الصريح والتلفيق والتزوير والوهم والخيال في جمع هذه المادة الضخمة ، والكثير مما يظن أنه تاريخى هو فى الواقع من الأساطير الموضوعه والأكاذيب الملفقة والأباطيل المنقحة .

وقد صور تاسيتوس بيريوس مسنبداً فظاً وطاقمه جباراً ، واستنطاع أسلوبه النقد ونصويره الرائع أن يفرض هذه الصورة التى رسمها خياله اقوى المشوب على الأجيال المتعاقبة . وقد أنارت بحوت العلامة سيفرز وفريتاج وجيروم الشك في تلك الصورة وأدب ما أدركه نابليون بالبداهة الصادقة وإهام العبقرية . ويعلى (١) توماس سبنسر حروم ذلك بأن ثقافته تاسيتوس كانت قائمه على البلاغة

(١) وقد وفى الأستاذ جيروم هذه الحاجة من البحث في كتابه القيم *Aspects of the*

وموقوفة عليها ، وأنه ظل صوال حسبه ولو عاً بالجمع الرناب . وبأن الكذب كان من صفات الرومان التي لا يرون فيها غضاضه ولا كبير عيب ، ويصاف إلى ذلك عدم نعتولهم على مبادئ علمية في تسجيل التاريخ ، وأنهم كانوا لا يفتنون إلى ما في سردهم للأخبار من تفاصيل الصارخه ، وكانوا لا يبورعون عن المعاطات والسفسطة والتلاعب بالألفاظ ، وكانوا يعيرون الكذب فتناً جهيلاً ، وقد ألحقوا التاريخ بفنون البلاغة والحدوده وسدوا لها سد الحقائق لأخلافه . وكان التاريخ عندهم يماظر الشعر إلا أنه صنف من فنود الأورن والفواقي . وكما يجوز في الشعر الكذب فكذلك يجوز في التاريخ الكذب . وقد لا يكون من حقنا أن نسرف في لوم تاسيتوس على أخذه هذا المنهج . فالكثيرون من المؤرخين المحدثين ليست لهم براعه تاسيتوس اتسموا بربه ولا بلاعته المتأنقة الرائعة . ولكنهم مع ذلك يتخصصوا من العيوب التي أخذت عليه . وقد أثبتت المطبعة الانسانيه في أوقات ثيبره أنها أقوى من حفظ المؤرخين وحياتهم وتحريمهم الموضوعيه وجريهم وراء الحق التاريخي . وقد يبدعون وفي نهم التحدد التام والبرام الغراعه . ولكن بعد قليل يستميلهم سحر الموضوع ويغلب لهم صوت برسه البطل من وراء لقبور أو إشجاب بوجه مقدم وسيم قد أصبح بالثأ متهدماً ولكنه مع ذلك يثبت القوه على إثاره الاعتجاب والإعجال الحماسه . وقد تحملهم حماسه على اجتحتها فمعون في اسلاخه . وقد نسي البلاسه وعلو البين إلى الحق الصراح . ويظاهر أن أكثر المؤرخين يسعون بأن المؤرخ الذي يكفى بالحق واحى وحده يسع في كتابه الخفاف والغمور والاملال .

والمؤرخ الشديد السطس والسفوف قد لا يضر بقراءه . ولا يجه سناً خيو به سوى الحق الكرخ والوقائع ليسعه ! وقد جرح ذلك بعض المؤرخين الذين لا يسك في أماسهم على ألا يوجلوا من القول بأن السبل إلى حد ما لازم في كتابه التاريخ . وقد كان الأستاذ بنوري المؤرخ الانحدري المعروف بعنه أن المنهج التاريخي في حدود حاصه يجب أن يكون علمي . ومع ذلك قد تما بغير عنه فويلد : لا أضن أن اسحرر من نرزه وإلهوى من الأسسه المتكده . ولا أضن أنها من الأساء المرسوب منها . وادى يبر في كتابه من برهه من الحق والحزن قدم لنا عملاً ممللاً لا يول له . وأعظم كذب التاريخ في

القرن التاسع عشر لم يبرءوا من لوى والميل والنأثر بالنزعات السياسية أو ابدئية أو القومية وما شابه ذلك من النزعات والاتجاهات والشول والأهواء . ولا يسير للمؤرخ كتابة التاريخ إذا سقى شخصيه سحقاً تاماً مهما تحرى الحق وأعطال الدقيق والتحيص . ولكن الميل نافع إلى حد ما ، ولا يلزم الاسراف فيه واسطوح في ساعته : لأن الاسراف في احدى يجعل المؤرخ بشوه احقائى وينقص بعضها وينزيد في البعض الآخر ويظهرها جميعها في ضوء خادع مضلل . ومن كلمات كولردج الجامعة في نقد المؤرخ الكبير جيبون قوله : « أسلوبه من الأساليب التي لا يتيسر فيها ذكر الحق . »

والمسكل الذي يواجهنا هما هو أن الاكتفاء بتسجيل الحوادث وسرد الأخبار لا يعنى لنا سوى نظرة جزئية للأشياء وصورة شاحبه للماضى لا نستطيع الاعتماد عليها ولا الاكتفاء بها . والمؤرخ الذي يجعل الماضى حياً لا بد أن نكون له قدرة أخرى فوق قدرته على تمحيص الوثائق ومراجعه الأسانيد وغ بده الأخبار والروايات ؛ وهذه القدرة هي الخيال الملون الوثاب والاحساس المرفف الحاد . ولكن إذا كان المؤلف فناناً فهل يلزم أن يكون متحزباً وله ميل وهوى ؟

يرى بعض النقاد أن هذا ضروره لا فكاك منها . والتاريخ بدون تحزب في رأيهم - وهم من الاوهام . ولكن لحسن الحظ - أو لسوء الحظ - أن كل اناس والمؤرخين بضروره الحال جزء من هؤلاء الناس - هم تعصباتهم وأفكارهم السابقة ومعتقداتهم ومذاهبهم . وهذا لا يدل بحال على فقدان الأمانة وضياع النزاهة ، ومن الطبيعي أن نستدل بالماضى على وجهه نظرنا الخاصة بالحاضر ، والمؤرخ الذي لا يكون متحزباً إلى حد ما يكون إنساناً لا آراء له ولا معتقدات ولا وجهة نظر ولا مقاييس خاصة بقيس بها الأمور ويفقدها . وكبار المؤرخين لم يسموا من نزعاتهم الخاصة ووجهات نظرهم الفلسفيه . جيبون نبدو في كتابه العظيم عن سقوط الدولة الرومانيه نزعه القرن الثامن عشر الفلسفيه ونسكرها للديانة المسيحيه . وقد نادى به ذلك - كما يرى بعض نقاده إلى تشويه بعض الحقائق : من أمثله ذلك روايته الساخره عن القديس جورج حامى انجلترا ؛ فقد أثبت البحث أنها لا أساس لها من الصحة . وما كولى كان لذلك متحزباً مثل جيبون ؛ فقد كان ينظر إلى التاريخ من

وجهة نظر الأحرار الانجليز ، ويحاول أن يستنبط من التاريخ الأدبية والشواهد على أصالة آرائهم وصدق نظراتهم . وهو لا يخفى الحقائق واتما بثبر حولها فحبه مدوية ويبقى عليها ضوءاً خاصاً ، وبضيف إليها من غنمه نعيمات غرسه لأمعة ويضفي عليها ألواناً براقاً أخاذة .

وكان كارلايل مؤرخاً فناناً من الطراز الأول . وكان له فلسفة خاصة في تمجيد الأبصار وإكبار سائهم ، فبالغ في تصوير فضائل كرومويل ، وجعل من فردريك الأكبر بطلاً من أبصار الأمم ، وكتابه عن الثورة الفرنسية مزيج من الشعر الرائع والتاريخ .

فلا يحل بنا إذن أن نقسو على تاسيتوس لعبه قد حق أثير المؤرخين وسكاد يكون شديد الانصال بقرن كتابه التاريخ . وقد وجه المفكر الفيلسوف كوليجوود نقداً شديداً إلى تاسيتوس ، ولكنه على ندرته لا يخلو من الاصانة والسداد ، وذلك في كتابه القيم « فكرة التاريخ » الذي طبع بعد وفاته . وقد ورد هذا النقد في أثناء كتابته عن فن كتابة التاريخ عن الرومان ، وهو يقول عن تاسيتوس ما يأتي : « تاسيتوس باعتباره أحد من ساركونا في نزود الأدب الساريحي علم من الأعلام الشائخة ، ولكن من المسموح به أن نتساءل هل هو مؤرخ على الإطلاق ؟ وهو يحاكي مؤرخي القرن الخامس اليونانيين في نظرتهم الضيقة الحبية ولا يحاكيهم في مزاياهم وفضائلهم . وهو مأخوذ بتاريخ الأحوال في روما ، ويهمل أحوال الامبراطورية ، أو لا يراها إلا كأنه انعكس في مناضير الروماني الملازم بيده . ونظرتيه في تلك الأحوال الرومانية البحتة نظره ضيقة للغاية . وهو شديد التعصب لمعارضة مجلس الشيوخ . وهو يجمع بين احتقار الادارة السلسة والاعجاب بالغزو والفتح وانجد الحربى ، وهو اعجاب قد أعماه جهله الفاضح بحقائق الحرب . وكل هذه العيوب تجعله غير صالح لأن يكون مؤرخاً لعهد الأباطرة الأوائل . ولكن هذه العيوب في أعماقها ليس سوى علامات لعب عام أسد خطورة وأكثر سمولا ؛ فالنقص الحقيقى في تاسيتوس هو أنه لم يفكر قط في المشكلات الأصلية لمحاولتها ، وموقفه حيال أساس التردخ الفلسفى موقف طينس ورعونة . وهو يتعلق بالرأى البراجماتيكى الشائع عن غرض التاريخ نعتق الكاتب المولى باصطناع البلاغة لا تعلق المفكر الجاد . وقد تأدى به هذا الموقف إلى تشويه التاريخ نشويها منظما ،

إذ عرّضه على أنه في جوهره نصادم الأخلاق والطبائع الخبيثة المبالغ فيها بالأخلاق والطبائع السريّة المبالغ كذلك في تصوير شرها . ولا يمكن كتابة التاريخ كتابة علمية إلا إذا استطاع المؤرخ أن يستعيد في عقله ويمثل بنفسه مجرّبه القوم الذين يسرد أفعالهم . وتاسيتوس لم يحاول قط أن يعمل هذا ، فأشخاصه لا تُنفذ من الداخل بالعصف والفهم ، وإنما ننظر من الخارج كمجرد مساهد للفضيحة أو الرذيلة . وقلماً تقرأ وصفه لأجريكولا أو دومينان دون أن تذكر ضحك سقراط من صور جلوكون الخيالية للرجل الكامل الخير ولرجل السام الشر . وقد أغدق المدح على تاسيتوس لعدونه على رسم الأخلاق ، ولكن المبادئ التي يبعثها في التصوير مبادئ فاسدة في جوهرها وهي تجعل تصويره للأشخاص وصمة للحق التاريخي . ولا شك في أنه وجد في فلسفتي عصره الروافية والأبيقورية ما يسوّع موقفه ، وهما فلسفتا تردد وهزيمة ، بيد أن من فرض أن الرجل الصالح لا يستطيع أن يغزو العالم الشرير أو أن يسيطر عليه . ولذا كانتا لعلانه كيف يحتفظ بظهرة نفسه من أرجاس الدنيا وشرها . وهذا التعارض الزائف بين أخلاق الفرد والبيئة الاجتماعية يسوغ في معنى من المعاني طريقة تاسيتوس في إظهار عمل بعض الشخصيات التاريخية كأنه صادر من أخلاقه الشخصية وحدها ، وعدم قبوله الطريقة التي قد يكون أعمال الإنسان فيها مما تفرضه عليه ظروف البيئة إلى حد ما وتحميه أخلاقه جزئياً ، ولا الطريقة التي قد تشكل فيها الأخلاق السُّوى التي قد ترغب البيئة الإنسان على الخضوع لها . ولأخلاق الفردية إذا نظر إليها منفصلة عن البيئة فهي محض تجريد لا شيء له وجود حقيقي . وما يعمل الإنسان متوقف إلى حد محدود على نوع شخصيته ، ولا يستطيع أحد أن يقاوم قوى البيئة والإنسان إما أن يغزو الدنيا وإما أن تغزوه الدنيا .

وواضح أن رأى نابليون في تاسيتوس ورأى كولنجوود يتلاقيان في نقاط عدة . وقد بشككتنا هذان الرأيان في نزاهة تاسيتوس وصدقه ، ولكنهما لا يوحزان من مكانته باعتباره مؤرخاً فناناً لحوادث والشخصيات التاريخية فذاً قليل النظير في توارخ الآداب .

على أروهم

الشعر الذي أريد

[جاء الكلام على صيغ من الفخرفي كثير من
الآيات ، لم أقصده لذاته ، بل إن ما أرى إليه ؛ هو
أن يحىء الشعر فيما يحىء به من مقاصد على غرار
ما توحيته من أغراض عدت منها ما عن لي على
سبيل المثال لا التحديد . ولي من حسن القصد وأرجحة
القارى ما ينفي عني تهمة الغرور ويكفيني التماس
المعذرة .]

مطامح نفس تفتدى وتروح	أعاج فيها الشعر وهو جموح
أجاذبه جبل القوافي - أروضه	فينصاع منه بارع وفصيح
يفيض على غضب اللسان بلاغة	يرفء عليها من كياني روح
إذا كان آمالا تفتح باسمًا	كما افتقر زهر بالعبر يفوح
يمس شغاف البائسين بلطفه	فيجلو همومًا ما لمن مزيج
وإن يك آلامًا سكبت عواطفى	أكاد بها أبكى أسي وأنوح
وإن يك عشقًا فالفؤاد خلاله	صريع هوى قد أغتته جروح
يشير ويوى لا بين وقارة	يهم بمكتوم الغرام يروح
ويعرب عن شكواه أخرى ، فانه :	حليف ضنى مما اعتراه طريح
وإن يك إيقاظًا هببت أصوغه	وفى كل بيت وازع ونصيح
إذا استهض الوانين قمنا بهيعنا	خفافًا وما بالناهضين طليح (١)
يشدد من عزم الأناسي عزمه	فيشجع فيهم هائب وجليح (٢)

(١) المعنى .

(٢) الخائف والشفق .

ويبعث فى نفس القنوع تسامياً
وفى معرض الشورى حكماً أريده
وينقد أغراض الزمان وأهله
يروعك كالبحر الخضم مهابة
وتنزل منه المكرمات بعامر
وإن يك تنديداً نفضت كنانتي
ويمحق كيد الماكرين بنفثة
فما هى إلا أن ينالوا جزاءهم
ويكبت من يأس الخصوم عرامه
وتلقاه عند الغوث كالسيل جارفاً
فأنى تبتدى الحق فهو نصيره
ويدعو المسمى باسمه ونعوته « الـ
فكان جواداً ذو المكارم والندى
ولوع بتبيان الحقائق نصعاً
أثحت له صدق الشعور وفاتنى
وما همى فوت النوى وقريحتى
فلله شعر لم يسعه زمانه
عزوف عن الإقذاع « غن » مهذب
له من بديع القول وشى وحلية

فيحمد منه همه وطموح
يسود له رأى أغر رجيح
متون له ما تنقضى وشروح
فليس به إلا الضليع سبوح
على أنه للمفسدين ضريح
وفى هدى مما أريش قروح
لها فيهمو كالألعوان فحج
وينأى بهم أنى تحل نزوح
وعنهم إذا زال الخصام صفوح
يعج ، بوجه المعتدين يصيح
ولو غمرته فى الخطوب سيوح
جميل جميل والفيح قبيح
وكان خسيساً سافل وشحيح
لتندك فيها للضلال ذريح (١)
يدنى من صدق الخطوط متيح
بكل مجال للقريض تشيح (٢)
ويعض دناء للزمان فسيح
وفيه لخير العالمين جنوح
كذاك له ينض الخلال مسوح

(١) جمع الذريعة وهى الأكمة والمضبة .

(٢) تبتد .

موافيه كالعقد النظيم بأنتم فما هن إلا رائع وصحيح
 وبعض المرامي كامن وى عضونه غموض يماشى كنهه ووضوح
 رفق الخواشى نسجه . وسياوه قوى وأما سمته فسميح
 وتمك الأسماع برة جرسه تخر لها طير الربى . وتطوح
 مطالعه والخاتمت جلبة ومغزاه فى كل الشؤون سجيح
 دقيق المعانى والمباني رصينها له فى ميادين الكلام فتوح
 ومنه يطل الأصفران كلاهما على الدهر : عون ثابت وصرح
 فأرسله والخفض والرفع طيه تدك حصون أو تشاد صروح
 وأطلقه كالبارز ينقض قائصاً وفى تخليه ما داه صحيح
 يخلق حتى يستجيب له العلا وإن حظ هانت ذروة وسفوح
 وما عافه عاو إذا أم وجهه ولا آخرته فى سراه نبوح
 محيط بأسرار اللغى وفونها ويمنع من أسبابها ويبيح
 عجبت له فى السعد والنحس عاملا على جانبيه مانح وريح
 وإن شئت لم أعجب وغيرت وضعه فقلت لديه بارح وسميح
 قدير على ضر الرجال ونفعهم وبين يديه سزعج وريح
 بعيد عن النقصان فى كل ما يرى تزوع إلى الجحد الأثل طموح
 رفيع ، عزيز ، ما أسف وما وهى عبه كمال النابغين بلوح
 فما أخذته فى المدامة سورة يطيب غبوق أم يروق صبح
 أنزهه عن أن يكون بضاعة مداه هجاء أو مداه مدح

نحن خمسة في هذا العالم

نحن خمسة ليس لنا سادس . قد اتفقنا منذ أكثر من مليون أو مليوني سنة . ولكننا ما زلنا نذكر قرابتنا وتدلّ عليها بالوجوه وسائر الأعضاء ، وكذلك بالأخلاق والاتجاهات الذهنية أو العاطفية .

نحن البشر . ثم الشمبنزي ، ثم الغوريلا ، ثم الأورانج . ثم الحبيون . وليس لنا سادس . نحن خمسة ننسجم بوجوه بشرية وأذنان متقلصة قد اندمجت في ظهورنا حتى صارت لا تبرز كأننا لم تكن قط بأذنان . وقد عشنا آلاف القرون على الأشجار . ونحن البشر مع الغوريلا قد تركنا الأشجار ونزلنا على اليابسة . ولكن صغار الغوريلا لا تزال إلى الآن . إذا أطمع الليل ، نصعد إلى غصون الشجر وتنأم عليها . أما آباء هؤلاء الصغار فتبتى على الأرض تحت جذوع الشجر ولا نصعد . أما الشمبنزي فلا يزال يساوى بين الشجر والأرض . ساعه هنا وساعه هناك . أما الحبيون فلا يزال يتعصب للشجر ولا يكاد يتركه . ولكن الأورانج ينزل من وقت لآخر ويسير على الأرض . ونحن والحبيون طرفان . نحن نتعصب للأرض ولا نكاد أحدنا يفكر في الصعود إلى أعصان الشجر سوى صبياننا للعب والعبث . وفي الصوف الآخر الحبيون الذي يتعصب للشجر . وهو يهلوان يذرع الغصون بذراعيه بنفس السهولة التي نسير نحن بها على الأرض . حركته سبلور في ذراعيه كما تنبلور حركتنا في ساقينا .

والحبيون هو صرخة نائية في قرابتنا التطورية . ولكن هناك ما هو أبهى . ذلك أننا قبل أن نكون خمسة كنا عشرات بل ربما كنا مئات نتشر في القارات القديمة ونعيش على الأشجار . وكانت أجسامنا صغيرة ؛ لأن الحيوان الضخم يجهد أن الغصون لا تتحملة ولذلك سرعان ما ينزل إلى الأرض . ألا ترى أن اثنين من هؤلاء الخمسة ، وهما الإنسان والغوريلا ، قد تركا الشجر

واسفر أحدهما على لأرض وكاد الثاني أن يستقر؟ والأوراج يكاد يساوى
الاسان في الثقل ، ولكنه لا يزال يلزم الشجر لأن دسبه لا تدقان للمسي ،
كما سنرى .

قبل نحو عشرين أو ثلاثين مليون سنة كنا قد بدأنا حياة جديدة على هذا
الكوكب . وكنا قد اخترعنا إلى اختراع جديد تمار به على تلك الزواحف
الضخمة التي كانت وباء على العالم . ذلك أننا كنا نله ولا نبيض . فكأن
الحراسه ثم العناية بالأطفال كبيرين . وفي الوقت الذي كنا نترض فيه
الزواحف لأن ييضها لا يجد احراسه كنا نحن نعس ونسرعها البقاء لأننا كنا
نعنى بالأطفال ونحرسها .

وكنا صغاراً في احجم نرجح من وزن النأر إلى وزن النعلب . وقد لجأنا
إلى الأشجار كي نفر من هذه الزواحف الضخمة . وكانت حمة أجسامنا تساعدنا
على الترار . حتى إذا بدأت هذه الزواحف في الشاقص في الانقراض ، شرع
بعضنا يجد أن لأرض مأمونه وأنه يستطيع التزول حسب يسعى في حربه
والصلاق ، فكانت أسلاف الحيوانات الجديدة المنحصمة كالنينة والخلل
والكلاب والبقر .

أما نحن بقينا صغراً في حجم النار أو القط . ولا يزال السمور في أسما
نم الطرسر ، يصرخان بنا عبر الملايين من السنين إلى الأصل اوسع الذي
نسأله . وكلاهما من حيوانات الدل التي تنجح أسنم في تحلاه وبحول المطر
في انقبسه والنعمة . ولذلك تجمععت العينان عندهما في الوجه دون الصدعين
كما هو الشأن في سائر احيوان . وإلى الآن يرى أن البومة والوطواط قد
اجتمعت العينان لكل منهما في الوجه . فكل منهما ينتظر بعينين في وقت معاً ،
في حين أن سائر الحيوانات النهارية ، أي التي تسعى في النهار طراً كنا أو
لبونات ، تقتنع بالرؤية بعين واحدة في الصدغ .

وهذا السبب نجد بسا وبين البومة وذلك الوطواط سبباً مزعجاً نكرهه
وسفر منه . وأصه هو هذا الجمع بين العينين في الوجه . فنحن الخمسة
وكذلك الطرسر واليمور ثم كذلك البومة والوطواط ، من حيوانات الليل ،
قد احنجنا إلى الدهه وإحكام الرؤية ، فجمعنا العينين في الوجه حتى ننظر الأشياء
بهما معاً لا بعين واحدة .

والاقامة على السجر نستدعى اليقظة في الليل كثيراً . وسندو أننا أسرفنا في هذه الاقامة حتى صار السعي في الليل دون النهار عادتنا . فكان هذا التخصص في النظر ، في حين أن سائر الحيوانات ، أسلاف الكلاب والقطط والفيلة والبقرة ، تركت السجر قبل أن يتخصص . فبقيت عمونها جائبة أي بقي كل منها ، أعور » ينظر بعين واحدة كما كانت تفعل الزواحف الكبرى . أما نحن فلم نترك السجر إلا بعد أن تخصصت . ومع ذلك لم نترك السجر تماماً غيرنا نحن ابسر . أما سائر الأربعة فلم تتركها تماماً إلى الآن . حتى الغوريلا لا تزال تسمح لأولادها بالسلي واستوم على الغصون في الليل . وهناك ما يرجح أن جميع اللبونات (التي ترضع أطفالها) نساب أولاً على السجر ، وكاتب صغيره الأحجام تتحملها الغصون في نقلها ووثيها . ولم يكن مفراً من هذا ، لأن الزواحف الكبرى ، التي كان العالم موبوءاً بها في كل مكان ، كانت تحول دون ظهور اللبونات على الأرض . ولا تزال الأحافير القديمة اسي ينتمي إليها الفيل والفرس صغيره الحجم . فالفيل القديم . وقد وجد في ليمون . لا يزيد على حجم حمار . والفرس القديم . وقد وجد في أمريكا . لا يزيد على حجم الفأر . أي إن اللبونات الضخمة كانت في الأصل صغيرة لأنها كانت تعيش على السجر . ولكنها لم تنب ، مشتا ، المده الكافية لأن تجمع عينيها في وجوعها ولأن تخصصت أيديها للشاول . ونرنا صغاراً من السجر . وقد اكتسبت من الاقامة عليه عيني الوجه واكتسبت اليد . فلما استقر بين المقام على الأرض كبرت جثتنا كما كبرت جثة الغوريلا الذي لا يصعد على السجر سوى صفاره . وأيضاً . لأسنا صرنا تتناول باليد ، استغنيانا عن الذنب . بل ربما كنا استغنيانا عنه قبل النزول إلى الأرض ؛ لأن هذا هو الشأن حتى في الجيبون الذي يسلط سلوكه البهلوان على الغصون ، والذي نرى أن لذلك كان يجب أنه يحتاج إلى الذنب . ولكن المرجح أن الأيدي قد قامت مقام الأذنان حتى ونحن على السجر . والفرو بيننا وبين الأربعة الأخرى أنت لم نتخصص سلهما على الاقامة في السجر . حتى الغوريلا التي تركت السجر الآن قد تركته مؤخراً ؛ لأن قدمها لا تصلحان لسيير كما تصلح أقدامنا . ولأن إبهام القدم يواجه الأصابع ولا يستوي معها في صف كما هي الحال عندنا .

وأبعد الخمسة منا ، وهو الصرخة النائمة خياه قديمة اشركنا فيها .
هو الجيئون . وهو آسيوى يعيش في الأقاليم الشرقية الجنوبية من آسيا وكذلك
في سوسطره وبورنيو . وهو يختلف عن الأربعة الأخرى من حيث إن له صوفا
بدلاً من الشعر الذى نسم به . وكذلك يسم هو بتضخم استى كما هو الشأن
في بعض القرود . ولكن من المأخوذ من يدول إن هذا التضخم الاستى عام
بين خمسة حتى الانسان . وإن افرو فيها درجى فقط . ويشتره سوداء مثل
الزئبق . ومن هنا يجب أن نشك في قيمة الضوء من حيث إنه الأصل في
البسره السوداء . لأن هذا الجيئون يكسو بصره صوف يحجبها من الضوء .
ومع ذلك هي سوداء . ولا بد أن هناك أسباباً أخرى لسواد البسره عند
زئج البشر وعند الجيئون .

والجيئون هو أصغر من جمعا من حيث الوزن والقامة . فان قامه لا يزيد
على تسعين سنتيمراً . وهو ضامر البطن . ونحو الأربعة ، بالمقارنه به .
نعد مسكرسين . وهو أبرعاً في الانتقال بذراعيه كما نحن أبرع الخمسة
في الانتقال بالساقين . وهو حين يتعلق بالغصون لا يستعمل إبهامه ، بل
أحياناً يقنع باستعمال إصبعين لتعلق كأن إصبعه خصب . ولذلك هو لا ينفض
على الغصن ولكنه يتعلق باغثناء خطاف في الأصابع . وأنمايه طويلة مؤله
بغلاف الحبال عند الأربعة الأخرى ؛ لأن الأناب عندها قصيره مسحه لانتهى
ببره حاده . وهو أنوف . وسكبه عند ما يعاشرنا لا يهلك من الاخلاص
لأن ذكاه يتجاوز أمانته .

ووطه الأعم هو الشجر ادى لا يتركه سوى ساعه أو ساعتين في النهار .
وهو حين يمشى ينتصب على قدميه .

أما ثاى الخمسة فهو الأورانج الذى يعيش في سومطره وبورنيو في الأقاليم
التي يعيش فيها الجيئون . هو الحيوان الانفرادى بيننا نحن الخمسة ؛ لأنها
اجتماعيون يعيش كنف جماعات إلا الأورانج فانه يتفرد على الشجرة . وأنفه
وفمه بهرزان ، وشعره أهر . ولكن لحيته بطريكية سابه برنقالية اللون .
وهو يسير على الأرض في نطه وحذر . وهذا لان إبهام قدمه الذى يخلو
من الضفر أحما يواجه أصابعها أى إن قدمه مثل يده . وذراعه طويلتان
وساهه قصيرتان بعكس الحال عندما نحن البسر . وبين قواعد أصابعه أغشية .

وأصابعه لا تفيض على الغصن ولكنها تتعلق به كالخطاف كما يفعل الجيبون .
وصغار الأورانج كصغار البسر تتعلق وتندل وتصح وراء الأم . بل هنا
يجب ألا يفوتنا أن صغارنا نحن الخمسة تتشابه كثيراً في تفاصيل الجسم
والوجه والأخلاق .

وكل من الأورانج والجيبون يتناول الماء بدمه ثم يشرب من يده أى
إنهما لا لسان . ودماغ الأورانج لا يختلف عن دماغ الإنسان إلا من
حسب الحجم .

أما دلثنا فهو الغوريلا . ووطنه هو أفريقيا . في الأقاليم الغيباء من الكونغو .
وهو أبيض . إذ يبلغ وزنه . . . ٥٠ أو ٦٠ رطل . وهو سحري ما دام في طفولته
وصباه ، فإذا كبر لم يكده يعرف الشجر . وهو في الوجه من حيث حركة
الأعضاء ولخط العين بشرى السجته . وقدمه مستوية . وهو حين يعدو يتساوى
مع الإنسان في السرعة أو يكاد يسبقه . وهو حين تقعد يأكل كل ما حوله من
أوراق الشجر . ولذلك كان بطنه ضخماً كأنه بهيم . وهو سير جماعات كل ٢
أو ٣ معاً . وعند ما يقعد ليستريح على ألبنيه يضم ذراعيه مكتوفتين على
صدره . وهو ينام على ظهره أو جنبه ويتوسد ذراعه . وهو مثل الأورانج يثبت
للخصم ولا يفر .

أما الشمبنزي ، وهو أقرب الخمسة إلينا نحن البشر ، فيستوى عنده الشجر
والأرض . إذ هو يتسلق كما يمتننى . وهو أفريقى مثل الغوريلا . وهو ينتصب
في القمه أو يكاد . ولذلك يتعلم الانزلاج ويمارسه في طرب وخفة . ويعيش
مثل الغوريلا في غابات أفريقيا الغربية . وهو يسير جماعات كل منها نحو ثمانية
أو عشرة . وبأكل الفواكه ، ولا يبالي أن يعيش بجوار القرى ، ولكنه إذا أحس
أن أحداً يتجسس عليه ترك مكانه إلى آخر . ولا يزيد وزنه على مائه رطل .
وهو بالمقارنة إلى الأورانج يعد أنيساطيا يفرح بالاجتماع ويلعب وينشط إلى
المرح بخلاف الأورانج الذي يعد انطوائيا يعيش منفرداً ولا يكاد يعرف معنى
للمؤانسة . والشمبنزي سريع إلى التعلم : فهم يتناول طعامه بالمعقة ، وعند ما
نعشينا بكسب منا أخلاقاً بشرية : فإن الندم يبدو عليه عند ما يخطئ
عمداً أو عنواً . ولكنه عند ما سن يؤمر الانفراد ويتجنب المراح . وكثيراً ما
يصلع ، فيتخذ سحنة بشرية بهذا الصلح .

أما نحن البسر فحسب الاختلاف الأكبر عن هذه الأربعة المتقدمة من حيث إن حجم الدماغ عندنا أكبر مما هو عندها . وأيضاً من حيث إن إبهام اليد يواجه الأصابع ولذلك تحسن القبض والناول وأدومها . وقد تركنا الشجر تركاً تاماً . ولا يفاربتنا في هذا سوى الغوريلا . والقدم عندنا مقتطّرة تمشي على أرساغنا ثم نمدح فؤاد أصابعنا . في حين أن أقدام الأربعة الأخرى مستقيمة . ولذلك لا يسهل عليها المشي كما يسهل علينا . لكن أذرعنا لا تزال طويلة . مما يمس على أننا عساك كثيراً على الشجر . ودماغنا بكمبر دماغ الغوريلا ثلاثة أضعاف . ويجب ألا ننسى أن الغاندة النخسية العمودية عندنا هي التي هيأ لنا حمل هذا الدماغ الثقيل ؛ لأننا نحمله حملاً عمودياً فلا يرهقنا . ولم نكن نستطيع أن نحمله لو كنا نمشي على أربع . وأنف والألف يبراحمان عندنا ؛ لأن أحدنا يقوم بالسؤال بدلاً من الفم . والأنف أصبح صغير القمم لأن العين جعلنا نسفني بالنظر - أو نكد - عن الشم . وزيدده احجم في نظر الصبيغة ليست ذاب قيمة كبيره ، كما ترى هذا إذا اعتبرت الكلاب ؛ فإن بنها كعب سان زرار الذي يزيد وزنه على ثلاثين رطلاً ، وكعب لولو الذي قد لا يبلغ رطلاً أو رطين . ودماغنا ، وهو أعظم ما تمرن من هذه الأربعة الأخرى ، يزيد ثلاثة أضعاف ما هو عند الغوريلا أو الأورانج أو السمينري . وليس هذا شيئاً عظيمًا ، لأننا والأورانج سواء من حيث التسرع الخفي بلا أدنى اختلاف .

ولنا جميعاً وجوه مساهبه . فنحن الخمسة تبدو للعام بوجوه تشابه لأن العينين متقاربان ، ولنا أدد لناول . وجمعنا قد استغنى عن الأذنان . ولكن ما تبقى من الذئب عندنا أكبر مما تبقى منه عند الأربعة الأخرى ، وجمعنا تمشي على أقدامنا بفروق . بعضنا قد ترك الشجر بعض الوقت ، وأحدنا (نحن) قد ترك الشجر كل الوقت .

قال هو كسلي : « إن الإنسان يشبه هذه الأربعة الأخرى ، كما يشبه كل واحد منها الآخر . وهو يختلف عنها كما يختلف كل واحد منها عن الآخر » ثم يقول : « إن الفروق الجسميه التي تفصل الإنسان من الغوريلا والسمينري ليست عظيمة إلى الحد الذي يباينه الفروق بين القردة العليا وأقرده أدنيا » . والفروق بين البسر كبيره ؛ فإن أنف الزنجي الأفطس وأنف السويدي

الأسم نحنان اختلافاً عظيماً . وكذلك سره الزنجي السوداء وبشرة الأوربي
الضياء قد أحدثت لاختلاف بينهما استعجاب الباقى للأول آناً من السنين .
والصننى أسلف أو يكاد ، والأوربي سمرانى . وأحياناً نجد على بعض الأجسام
البشرية رعباً صوفياً ، يكبر فى فرنسا ويتألف من الفنس له أسه حروريه
جاده وحده الانسان يعود فيكسى بهذا الصوف الناعم ويستغنى به عن
الملابس . وبعض هذه القردى يمكن بعينه بأشباح . مثال ذلك أن السودى
أو القروحي الذى يعس فى مساخ بارد بالعرب من القطب يجب أن يكبر أنه
وبضئ المسالك اداخله فيه حتى لا يفجأ انهواء البارد رتبته . أما الزنجي الذى
يعيس فى أفريقيا الحاره فيفتطس أنه ويسع مسالكه الداخلة حتى يجازها
انهواء بسره وبلا عائق . وانهواء الحار بنمسه فمحتاج الزنجي كي يحص على
حاجه من الأكسجين إلى مقدار من الهواء يزيد على المقدار الذى يحصل عليه
الأوربي .

ولكن مع جميع هذه الاختلافات بيننا نحن البشر ما زلت نوعاً واحداً
ينفرد إلى سلاله عده يتم بينها التوافق ولا يؤدى إلى نسل من « البغال »
العقيمة .

والقروى بيننا وبين القردة الأربعة الأخرى كبيره . وأهمها بالطبع هو
المخ . ولكن هذا المخ ما كان لصل إلى صغره احتضره بل ما كان لينمو
فى الدكاء لولا الغه التى جعلت التفكير الدقيق ممكناً وبولا اليد التى جعلت
الحضاره ممكناً بما لها من إبهام يجهد الساول . فميزتنا الكبرى على القردة
الأربعة الأخرى هى اللغة ، واليد .

الحبيبة في الغزل العربي

كان الانسان ، ولا يزال ، يخفى قلبه بضروب من الحب تبتدى أولاً بنفسه ، ثم تتدرج إلى ذويه ومعارفه ، ثم ترقى حتى تشمل أكبر عدد من الناس وتتناول أوسع رقعة من الطبيعة .

فاذا كان الحب بين رجل وامرأة ، فانه الحب العائلي الذي يؤدي إلى تخليد الجنس بالنسل ، أو الحب المادي الذي يقصد منه العيش في نفاق اللذة الحسية ، أو الحب العذري الذي يسمو عن الحس إلى العاطفة فمدرك فيه لون من ألوان الفضائل يتصوره المحب في حبيبه ، ويرخص نفسه من أجله . وعاطفة الحب ، مهما بسطت ، وإلى أي أنواعه ردت ، مرتبة من عواطف متعددة متساوقة متلازمة ، قد يبلغ التماهي (١) . ودرجات الحب تتفاوت بتفاوت أنواعه ، وتختلف باختلاف الناس وأعمارهم وبيئاتهم . فاذا انقلب عواطف الحب إلى أضدادها ، لم يكن البغض والحقد والحسد أول نفاونا وأضعف اختلافاً . عني أن الحب يكاد يكون العاطفة الوحيدة التي شعر بها الناس مشعر قوية ومرنوا عليها مرونة كثيرة فصاحتهم مصاحبه متلازمة سديدة ، لا تضاهيها عاطفة من العواطف الأخرى إلا عند بعض الأفراد . ويكاد الحب يستغرق الكثير من فنون الأدب العالمي قديمه وحديثه ، مما حمل نافعاً إنجليزيا فكها عني القول : « إن الحب تسعه أعشار الأدب في حين أن حظه من الحياة اليومية لا يتجاوز واحداً من عشرة . » ولعل استغراقه يعود إلى استماله على معظم خصائص الأدب ؛ ففيه منه الحس والعاطفة ، وله فيه الجمال والمثال على أروع صورة ، وبه يبلغ الخيال والالهام شأواً بعيداً .

أما العرب فقد عالج شعراؤهم الحب ، ووضعوه في مكان الصدارة من

قصائدهم : فكان الاستهلال به في المعقبات وفي غيرها مما جاء بعدها من شعر
الاسلاميين حتى شعراء النهضة الأولى ، على ما بين هؤلاء وأولئك من زمان
ويمكن وأجندس وأديين . بل إننا نراه حيناً الباب الوحيد الذي قصر بعض
الشعراء ففهم عبده من دون سائر أبواب الشعر : كجمل بئنه ، وعمر بن
أبي ربيعة . وراه أحياناً يدخل في جملة شعر من لم يسيطر الحب على أهوائهم ،
كالمتنبي والمعري وغيرهما .

ولا ينبغي لبحث الحب عند العرب أن ينهمه على سبيل من حقيقته . فقد
صاغ بعضه وعيب العاصون بعضه — ثم يحله محله من الآداب الأخرى إلا
إذا جمعه من الاستهلال : ومن ثلثي الشعر ، وضمه إلى القصائد التي استقل
بها ، فألف وحده سنته غنية ، صاحبه للبحث ، خاضعه للموازنة ، ثابتة للحكم .

١ - الاستهلال

أول ما شالنا من الاستهلال المسمر من الجاهلية إلى اليوم نوعان :
أحدهم في وصف الأطلال ، والثاني في استعزل بالنساء . أما الأول فكتاتية عن
الوقوف للبكاء على :

(أ) مسكن مهجور أو منهزم أو غاف : كسقط اللوى بين السحول
خومل لمرى القبس ، وكحومة الدراج فامتنم لزفير ، وبرقة شيء لعارب ،
ورمه الاطلال لجير ، والجرج لبشر ، واللوى للمعري . وقد يكون المبكى
عليه مسكناً أو وادياً أو بلاداً .

(ب) وبوسع آخرون في هذا المسكن ففهمون يكون على مسكن ما في
مكان ما ، وقد يكون لصاحبه ما :
كقول عمر بن أبي ربيعة :

عوجا نغي الطللا المحولا والربع من أسماء والتمزلا

وقول كثير عزة :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكا ثم ابكيا حيث حلت

وقول أبي تمام :

على مثلها من أربع وملاعب . . .

وقول المتنبي :

بليت بلى الاطلاع ان لم أقف بها . . .

وعلى هذين الخطين من تعيين المسكن أو إطلاقه ، وذکر اسم المراد أو إهماله ، لا بد وأن يكون فيه خبط يشد الشاعر إلى ماضٍ حبيب إليه عزيز عليه ممد فيه ، فتقف لبيكه ويتقضى حقه عنده . ويترأى له المودج الذى نسيها في الأوقى ويسعى إليه فينتطح الخبط فيمحي المسكن ، ثم يحسى المودج فبعضو الأثر . ويرشح على ساعرتنا ، فلا هو يغزل الخبط من جديد فتمسك به ونجوس خلال ماضيه ، ولا هو شط لحاق بالمودج فيكشف لنا سنائره عن ملك التي وفرت له الحب فوقه وبكى ودعانا إلى لووف والبقاء ، بل بترقب أن يثوب إليه رسده ليصف الأطلال الحبيبة أو أطلال الحبيبة بيت أو بثلاثة ، ثم يتبع سببه إلى النحر والضح والوصف ، ويعنى بهذه الموضوعات ويغيرها عنايته بالأطلال إن لم تكن أشد وأوفى .

ومن أجل هذا لا نستطيع أن نكون فكره صحيحه عن نظر شعرائنا إلى الحب كعاطفة مدركة مشعورة بينة (١) ولكننا نستطيع أن ندور ما في هذا الاستهلال من شعر ؛ ففي العاطفة ذكرى أو ما يشبه الذكرى ، وأسف عليها أو ما يضارع الأسف ، وكلامهم صدى لحفقات من قلوب وتوجات من نفوس مسها الشاعر مساً رقيقاً كس الضائر الماء بقادسه من قوادسه ، فخلف على صفحته صدى وتموجاً . وفي الطبيعة التي تتجمع حولها الذكرى ، وبيعت عليها الأسف مسكن مهجور وتوسع ومجهول لا يتمثله المتمثل إلا وبضعف إليه ما يعرفه عنه وما لا يعرفه عنه ، ونضيق عليه ما يوحيه به إليه كل سحيق بعيد مكاناً كان أو زماناً ، وفي لغة شعر الكلمات الراحمة ، وموسيقى الوزن

(١) جمع ابن خلدون الاستهلال في الصفحة ٤٧ من مقدمته وجعله صورة واحدة لأشئله مخففة .

والنافذة ، جمع هذا مسح الاستهلال مسحة من الكآبة المادئة السناقفة الموحية ،
 تحبسه إلى النفوس المحنة ويسوى بين أرها على تباين مصدرها فبكتئيب الناس
 لقول امرئ القيس : قفا نيك . . . - ولقول عمر : عوجا نحى . . . -
 ونقول لبيد : خبيبي هذا ربع . . . - ولقول المتنبي : يلبس بلى الأطلال . . .
 بكتئيب الناس هؤلاء جمعاً بحسين ماديين كانوا أو عدردين أو مقلدين ،
 ومعجون صناعه الشعر التي أخرجت المعنى الواحد مخارج متعددة . وقد
 نسيه عجبهم غف ما يشتهون من فراءتها ولا تخفى قلوبهم وتجب حلوهم
 وتندى مآقيهم .

هذا ما يراعى لى . وقد أذهب فى بأسده إلى حد أبعد ، فأضبه يقوم
 فيما رأى القثيب : ان هذا الاستهلال قد نسب الغزل العربي نعمه حزن
 واربع به إلى مستوى عال من الشن والصفاء فأثر فى الآداب الأورسة .
 وذلك بأن نلانى ما أعمله الشعراء أنفسهم فتغرل الحيط ونصله بالنسكن
 المنجور قبل الذلرى والأسف ، فى نجد ؟ بجا أن الحب م سعن عند بعضهم
 جرباً كبيراً محترماً من شعرهم ، فأفضله بعضهم على دابته وصيده وحربه ، وما
 ارتفع به غيره إلى منزلة النخر والمدح والمجاء ، ووطأ به غيرهم فعالجه جرياً
 على سنة متبعة . ومن أجل هذا لم يرجع إليه معظم الشعراء الذين استهلوا به
 قصائدهم وأدبر ادين قلدوهم فيه . أما الذين عاودوه فكبره من العزولين
 المديين ليصفوا عبيهم ومجونهم ويتفننوا فيهما ، وقلة من الغزلين العذرين لبيكوا
 حرمانهم ؛ وسرى تفصيل ذلك . وإذا نحن برآب الحيط إلى الهودج ورفعنا
 ستاره عن بيت سى أوحب نبل واصفاء فقد نلقاها كما بصورتها ، وقد نلقاها
 على غير ما أحب ها المحبون . وفى كلا الحدين من وصل الحيط وكسف الهودج
 مواطن للسك واليقين يترجح بينهما الباحث ، وقد شق عليه الجزم بأحدهما
 جزماً قاطعاً .

أما الاستهلال الثانى (فى وصف النساء) فهو أنصح وأطول ، وقد يتجاوز
 أغراض القصيدة كاستهلال الأحوص ، وقبس الرقيات ، ومسلم وشعرهم ، وهو
 يتصل بالغزل المبثوث فى ثيابا انقصاء ، والمستثنى بها اتصالاً وثيقاً ، يؤلف منها
 وحدة متينة غنية متساوقة فى ضربها : المادى والعذرى .

٢ - الغزل المادى

نوام المادى اللذة الحسية وما يبعث عليها ويلازمها . وعناد العذرى اللذة العاطفة وما يسببها وينشأ عنه - وسيأتى الكلام عن كل منهما فنتصله تفصيلاً مسوفى . والغزلان عرفا في أيام العرب المختلفة ، ولكنهما لم يستقلا إلا في العصر الأموى ، فانتشر المادى في الحاضر ووشى العذرى في البادية . ومن سذ العباس بن الأحنف فانه كان يمثل العفة البسوية في حاحره الدود العباسية ، كما سذ ابن الفترية فانه كان يصور العنت الحضرى في البادية العنينة . ولزم المادى الشعراء في جميع عصورهم وأصنافهم ، فلم يستطع أحدهم أن يبرأ منه . وغالب الغزل العذرى تغلبه بعد حين ، كما به إلى ذلك عهد الأدب العربى (١) .

ولم ندر لباحت أن يقرأ الغزل المادى أو القسم الوافر منه ، مما يذ لره بعض كتب الأدب ومما يتقاضى عنه بعضها ، لاستخراج أموراً أشهرها :

(١) أن هذا الحب لذة حسية : لمسية في جس الندامى ، ذوقية في ريقها البارد ، شميه في مسكها النايح ، سمعيه في صرير سريرها ، بصريه في بان قمتها وكثائب ردهيها . وإن وصف هذه اللذة على هذا النحو فمن بأن يخلق جواً من العيب وأخون وإلاباحه نضل بينها العاطفة البسولة الصافية الساسية . ويرجع ذلك إلى اغزالين الماديين الذين ردوا الحب إلى أسس عاصره ، إلى الأنى وما تقدمه بين أيديهم من لده حسية . وكيف فلبب عزهم وجبت اللذة الحسية عاثمة على صفحته ، وكيف وقفها أو حرّتها استقرت في أعرق قراراته .

وإن هذه اللذة متفاوتة عند الشعراء بين كثافة ونفوذ وشذوذ . وقما اشتدت كثافتها في شعر الجاهليين لأنهم لا يؤثرون لده الحب على لده الصيد . ولا يتأخرون باستحواذهم على المرأة فخرهم بشجاعتهم ، ولا يضلونها كثيراً على نافتهم . أما من سذ منهم كزهير وعنترة فيمرون باللذة مروراً كرمماً

(١) الدكتور طه حسين بك : «حديث الأربعاء» .

تسمع لأول إلى المدح ، وينتهي الثاني - بعد حب عفيف إلى الفخر .
وأنت عند ما نقرأ وصف الجاهلين للمرأة لا تشعر بأكثر مما تشعر به عند
رؤيتك تمثلاً من الرخام يصور امرأة بعض أعضائها عريان .

ولكنك حين تتجاوز العصر الجاهلي إلى العصور التالية ، نلتى ما بعث
على الله الحسنة ويلزمها قد استند وتفرع وتنظم ، بفضل عمر وجماعه ،
وعلى يد واليه وعصائمه ؛ إذ كانوا طلاب لده حسنة وعيث ونكاية ، فأغرقوا
في الشيبب المرأة وبالغوا في وصف الأسرد ، وتزيدوا في وصف المحصنات نبلا
من خصوصتهم في العصبية ، حتى ليسأل باحث الأدب نفسه : هل نقاضى
هؤلاء الشعراء مالا على ذلك ؟ . . .

وهكذا لا يتبها لنا أن نضيف الغزل المادى الذى عرف بعد الجاهلية إلى
عزل الجاهلية المادى ، إلا إذا درسناه على أنه مستقل عما لازمه من فسق
و فجور لم تذكر أسعارها الكتب التى توضع في سناول الطلاب ، فأضعفناه ،
أو إذا درسناه على مذهب التطور نأدغمنا به ما تفرع عنه كالغزل بالمذكر
فأقلده . ولكنه يتبها لنا أن نقسم الغزل المادى إلى كتف وشفاف وشاذ .
(ب) ويستنتج الباحث أن صورة المرأة التى تقسم هذه الله بين أيدي
هؤلاء الشعراء واحدة :

يقول طرفه : وفي الحى أحوى . . . - فيردد جميل : سبتنى بعينى
جؤذر . . . - ويكرر جميل : لها من الريم عيناه . . . ويقول أبو تمام :
وهى كالظبية . . . - ويعيد المتنبي : ورئت غزالا . . . وإذا انتقلنا من
العين إلى النهم وقعنا على مثل هذه الوحدة التى لم يفصمها الزمان أو يعدلها
المكان . فالنهم عند عترة : عذب مقبله . . . - وعند مسلم : وريقى ماء
غادية بشبه . . . - وعند البحتري : تنبى عوارضه عن بارد شيم . . .
كذلك الحال في الطيب المنبعث منها ، فهو قارة تاجر في الصحراء ،
ومسكة عجنت بيان في المدينة ، وتحمل المسك عن عداثرها في حلب ، وعطرب
الآفاق في الأندلس ، ثم يعكس فتعطر الآفاق في الصحراء وبغداد ، ويبيعها
التاجر قارة في الأندلس . هذا عما ما استرك فيه الشعراء من قد البان ،
وردف الكتبان ، وما يدخل في هذا الباب وبعد ذكره إطله ، وخلا
ما لا يجوز ذكره .

ولكن هذه الخطوط العربية المستأجرة لا تؤلف صورة واضحة سواء سواب .
ولا لامرأة واحدة كسده . لأن السعراء الذين تعزلوا بها لم يصنعوا منها إلا
ما له يحواسهم صدى ، وما يبعث على اللذة الحسية . ولئن هم سعروا أمامها
بعاطفه لربما ، ورأوا عندها جملاً رائعاً ، وتمشوا فيها مثلاً سامياً ، غلبت
عليهم اللذة الحسية . فـ انقلب هذه اللذة المناسبة لعراطف والجماليات وتثل .
وضوح أحبال المسيح ، وقصر الأهدام المبدع ، وحل محل هؤلاء جميعاً فنور
وفسوط حياً ، وتقيد وصيعة أحياً . ولو أريد تصوير أن يرسم صورته لامرأة
الشعراء ، حناج إلى كبير غناء : فسعورها في حواسها ، وجمالها في أعضائها
كالعين والربى والقوام . وجمال سعراتها يسع إلى ما سبب جمالها لعين
الغزال وطعم السهم . وقضيب البان ، مما كان يراه الدس في كل خصوه يخشونها ،
ومثالها في مناعتها أو تمتعها وإطامها نادر لا يعتد به .

(ج) وإذا لم يكن ثمة فرق في الصورة نسب ألا يكون هناك فرق في
الاسم . فالمرأة في مطلع القصيدة هذه ، وهي بعد أمام عبده . سكن في الاستسلام
الحاضر . ونقلت بضع أبيات إلى البادية ، ووضع بين الرمان والمكحل عمرها
فلا هي عسراء ولا نيب . ولا هي غائس ولا أرسه . كما صبح مرآتها : فربه
النصر تشبه فيه الحانة وراعدة الليل إلا فيما سر . وعى الشعراء في الكلام
الذي يحسون به إلى حبيباتهم وسجدت به حبيبهم . بهم . فتبين الحليمة
من أخيله والغنى من العنبره . فكأما المرأة قد غنت لسعراء من دميم الزمان
في تمثال هاموا به جميعهم وانحصروا فيه ككيم . وإن هم اندموا في ومنه
فتاوت لا يزيد على رؤية هذا التمثال في وهج نهار أو تحت ضوء القمر ،
ولا بعدو ترقى الأسلوب من السداجة إلى الحسنات البديعة ، ونض المرأة
في تمثالها ذات رسم واحد لا يتغير خلال عشرين قرناً من الزمان وفي أثناء
عشرين موضعاً من الأماكن إن لم يكن أكثر .

(د) ما وراء هذه الصورة ؟ إن المرء عند ما ينظر إلى صورة ما ،
يجب عن المعنى الذي قصد به الرسام من رسمها . فما هي المعاني التي أرادها
الغزليون بالحبيبة ؟ ليس ما وراءها من المعاني بأكثر مما فيها من الخطوط : فهي
في نفسها أكثر منها بصورتها . وألا فإن المعاني المستمدة من غريزتها وفيها وعقلها
ومن عسرات الأسباب التي يكون كل واحد منها المرء بلونه واصبعها

تصبغهم لتخرج صورته جديدة مستقلة ؟ ومن هذه المعاني تخلف صور النساء ، فهذه ثمره وثبت عجزه هذه غنمه مريحة مملئة ، وثبت حزينته جاده ممدودة . ويظهر بساطهم فري السادحات الفاعرات الكريمات والشريرات الفاحرات ، ويوضح إزائهم فحده منهن من يلتمس بنظره وتضحى بالعام من أجهلها ، ومن ينصر حبها على رجل إذا نصرته يده عنها أحب الرجال جميعاً ، ثم ما تقابل ذلك عند نساء حسن وكمن حبين حتى النقر ، ويواصلنه إلى ما بعد العصر . ثم أوثقت اللواتي مسلسلن لأحب رغبته في العضول والعادة أو هرباً من ضجر الماضي وخوفاً من ضياع المستقبل .

من الكثير من هذه المعاني معاً يوم في نزل شعرائنا . وأحر بهم أن يفقدوا وصف العواطف الملازمة له ، ثبت العواطف الدقيقة اللطيفة التي لا يكاد المرء يضع يده عليها ويحول التعبير عنها ، حتى تتضعض وتنفق أسسه ما يكون بضع أصابع الملوثة . فإذا عاود الكرة شتر على ما لم يكن يعرف أنه موحود في نفسه وفي نفوس الآخرين ، فيصفه الشاعر وقد سرع بالأبداء أو أسرف على الانتهاء مخدأً سكلًا ولوناً وقيمة ليست للعواطف العادية .

ما س وسكن هذه الصور ، وجميع هذه المعاني ولست هذه العواطف ؛ هذا لست سود أن يلقى صورته امرأة واحدة ، يمر في خاطرها أفكار وفيرة ، ويعكس على وجهها خواص متباينة ، وهي تمر بمراحل الحب كالأكبراء وخوف وانفضحة واحم . فستعبر بعواطفها وتعبر عنها فلا تقل العاطفة عن أحبها قوة وعدمًا وصفاً ولا أسوباً معبراً عنها . مثال ذلك أن لراسين اثنتي عشرة امرأة لانتني عشر حباً لا تسبه الواحدة الأخرى ، ولا ينسخ الواحد الآخر ، ولا يجمع بينها إلا الغزل والقوة والعمق والصدق . ومن نساءه بدر Phèdre فهي حدره آمنة . مضوحة ، موجبة تائبة ، تستعير به الشاعر سعوراً قويا عبقاً صادقاً وتعبر عنه تعبيراً متيناً خاصاً واضحاً . في خلال أربع وعشرين ساعة . وإذا قيل : إن المسرح يقتضي ما لا يقتضيه الغزل المطلق فمنا : إن المسرح — ولاسي في القرن السابع عشر — كان يجمع الشخصيات من العالم ويضع بعضها تحه بعض لتفاعل ، وما كان يخفيها من عنده . أي وجد شعراؤنا نساء شعرن ببعض الذي شعرت به نساء المسرح ؟

وفضاري القول إن صورته المرأة الخارجية ليست سوية ، ومعنوياتها منعودة

في معظم هذه الصورة ، وعواطفها طيلة وضئله ، وليس لها إلا صورة واحدة ترسمها حبيبة ثم لا صورة لها ، وهي أم وسقفة وزوجه وسينه ، حتى إن صورة الحبيبة لا يستلزم أن تحوي تكويناً خلقياً وخلقياً مستقلاً بها يميزها من غيرها ويجعلها محبوبة من أجله دونهم ومفضلة ولو على واحدة منهن .
وعليه لو وضعنا خوله التي لطرفة موضع فاطمة التي لاسرى القيس ، وأحب عبلة عمر محب عبلة بشار ، ما فقد الغزل شيئاً من صمته وسوته . ولو أن الله بعث شعراءنا وبعث عشيقاتهم بأوصافهم لما عرفوهم ، على أغضب الطن .

نحب المقيى

شهريات

شهرية السياسة الدولية

المسابقة بين الجبارين

وقد تجسست بخاصة إثر إخفاق مؤتمر وزراء الخارجية الذي انعقد بلندن في شهر نوفمبر الماضي ، فإن الشهر المنقضى قد سجل اتساع الرقعة التي يمتد ظل التسابق إليها ويحاول الانتشار فوقها ، وقد شملت القارة الأوروبية كلها وراحت تشمل الشرق الأوسط إلى جانب ما كانت تقف عند حدوده الضيقة في القارة الآسيوية ، في تلك المناطق الواقعة بين الأراضي الروسية والأقاليم الصينية واليابان .

تضافرت عناصر السياسة الدولية خلال الشهر المنقضى في سبيل إبراز ما نستطيع تسميته بالتسابق بين الجبارين : الولايات المتحدة ونظامها التمولي المتطرف إلى أقصى النين ، والاتحاد السوفيتي ونظامه الاشتراكي المتطرف إلى أقصى الشمال . وإذا كان هذا التسابق قد لاحت بوادره منذ وقت رحي الحرب العالمية الثانية بل قبيل وقوف رحاها ، وإذا كانت عوامل هذا التسابق قد توالى ظهورها طوال الستين الأخيرتين ،

المناطق الألمانية

واقعة في منطقة الاحتلال الروسية ، وكان وجودها فيها إلى جانب اللجنة الرباعية رمزا للإدارة الرباعية المنبثقة من اتفاقات بوتسدام . فما دامت المجلترا وأمريكا قد خرجتا في نظر الاتحاد السوفيتي على هذه الاتفاقات بضمهما منطقتيهما وخصهما بنظام مميز ، فإن حكمة قيام اللجنة الرباعية قد انتفت ، وبقاء هذه اللجنة وما يتبعها من قوات في برلين ذاتها غير مستساغ . وليس يدري أحد حتى ساعة كتابة هذه الشهرية مدى التطور الذي سيقرب على الاحتجاج السوفيتي والمطالبية السوفيتية ، ولا سيما أن الدلائل لا تدل على اتجاه الولايات المتحدة شطر النزول على الرغبة السوفيتية ، بل إنها لتذهب إلى عكس هذا الاتجاه ؛ إذ لا تفتأ الحكومة الأميركية

أما في أوروبا فقد تجلى التسابق حين أعلنت الولايات المتحدة بموافقة بريطانيا ضم المنطقتين الألمانيتين المحتلتين بالجنود الأمريكية والقوات الانجليزية وإدارتهما إدارة مزدوجة . وقد قابل الاتحاد السوفيتي هذا الاعلان بالاحتجاج إذ اعتبره خارجا على الاتفاقات المقررة في مؤتمر « بوتسدام » ، وهي تقضى بأن ترجع الإدارة في المناطق الألمانية كلها إلى لجنة رباعية مقرها برلين تتمثل فيها السلطات السوفيتية والفرنسية والأمريكية والبريتانية ، وتكون معها السلطات المحتلة بمثابة الهيئات التنفيذية ليس إلا .

وكان من شأن ذلك الاحتجاج السوفيتي أن شاعت شائعة أن الحكومة الروسية ستطالب بخروج القوات الانجليزية والأمريكية من برلين ذاتها ؛ لأن العاصمة الألمانية القديمة

تطالب السلطات الروسية بتقديم الحساب عن تصرفاتها في المنطقة الألمانية التي تحتلها بالنسبة للنشاط الصناعي ، وما اتصل منه بالانتاج الحربي بخاصة .

اليونان والبلقان

« صقلي » ، فشجع ذلك على الوقوف من التحذير السكسوني موقف عدم الاكتراث ، فلم تتوان يوجوسلافيا في الاعتراف بحكومة الجنرال ماركوس ، ولم تليث لجنة الأمم المتحدة المشرفة على شؤون البلقان أن تسجل في تقرير بعثت به إلى مجلس الأمن ما لاحظته من تقديم ألبانيا المعونة للدولة اليونانية الجديدة عن طريق الأسلحة والذخائر وعن طريق القوات الحاربة التي ترتدى الملابس العسكرية الألبانية بالذات . والمقول أنه لن يتقضى وقت قصير حتى يعلن الاتحاد الصقلي وهو يضم يوجوسلافيا وبلغاريا وألبانيا فيصبح اعتراف يوجوسلافيا عاما شاملا للاتحاد الجديد كله ، إلى جانب ما يصبح مدعوما به من المواقف التي عقدت أخيراً بين يوجوسلافيا ورومانيا والمجر . وكان من شأن هذا التطور بل من شأن هذه المضاعفة ، أن أقدمت الولايات المتحدة على زيادة المدد الذي ترسله إلى اليونان ، وعلى احكام التنظيم العسكري فيها بالتعاون مع القوات البريطانية التي تقرر خصها بمنطقة سلانيك خشية أن تصل جنود الحكومة الثائرة عن طريقها إلى مياه البحر الأبيض المتوسط .

وقامت في تلك الأثناء مضاعفة هي إقدام قائد الثورة في اليونان على إعلان قيام حكومة يونانية مستقلة عن حكومة أثينا ، بل خارجة عليها ومحاربة إياها قصد إقصائها عن الحكم والاستيلاء عليه في التراب اليوناني جميعه .

وكان من شأن هذا الاعلان أن خشيت المجتراء وخشيت الولايات المتحدة أن تعترف روسيا السوفيتية وأن تعترف دول البلقان بالدولة اليونانية الجديدة ، وأن يتسرب عن طريق هذا الاعتراف المدد إلى الثائرين فتكرر في جنوب أوروبا الشرق مأساة بنوبيا الغربي يوم تلاحت القوات المسترة الفاشية النازية من ناحية والروسية الفرنسية من ناحية ثانية عند ما كانت الحرب الأهلية قائمة في أسبانيا .

وقد دعت تلك الخشية الدولتين الانجلوسكسونيتين إلى إبلاغ الدول البلقانية تحذيرهما من الاعتراف بالدولة اليونانية الجديدة ، لكنهما لم تحاولا التحدث إلى الاتحاد السوفيتي في ذلك الشأن . وكانت الخطوات في سبيل توثيق العلاقات بين دول البلقان قد امتدت إلى حد توقيع المعاهدات المهيمة لأسباب إقامة تحالف

والشرق الأوسط

وشاءت الدبلوماسية البريطانية أن تنتهز الفرصة لتسوين معيها لدى الدول العربية في سبيل عقد محادثات عسكرية معها فقالت أن هذه المحادثات يحتملها ذلك التكتل

البلقاني الذي ينبغي أن يقابله تكتل مشرق. وقد انتهت بالفعل إلى عقد معاهدة تعاون عسكري مستند إلى فكرة الدفاع المشترك مع حكومة العراق القائمة تعديلاً لمعاهدة التحالف العراقية البريطانية المبرمة سنة ١٩٣٠، واستعدت لعقد معاهدة مماثلة مع شرق الأردن، والسعى في سبيل عقد معاهدات على غرارها مع العربية السعودية واليمن. ويقال إنها ستحاول التعااهد مع سوريا ولبنان دون سابق ارتباطهما بمعاهدة أو اتفاقية. وكذلك فإن المساعي الحثيثة مبدولة في سبيل التغلب على العقبات القائمة في وجه التفاهم مع مصر على قضى النزاع القائم بين البلدين حول الجلاء ووحدة وادي النيل.

ولم يكذب يدافع نبأ توقيع المعاهدة العراقية البريطانية في بغداد حتى قوبل فيها وفي سائر العراق بالاحتجاج؛ إذ أضرب الطلبة والعاملون وقامت المظاهرات، وكذلك أذيع أن الحكومتين السورية واللبنانية قد قررتا التريث وعدم إجابة الحكومة البريطانية إلى عرضها التحالف معها والتعاهد قبل أن يسوى النزاع المصري البريطاني؛ فقد تقضى أحكام التحالف الجديد بمساهمة قواتهما في خلاف تكون فيه مصر في جانب وبريتانيا في جانب آخر، وهو ما لا ترضاه الدولتان الشريقتان، بل ما لا ترضى عنه أوضاع الجامعة العربية ولا روابط الأخوة التي تربط بين مصر وسائر الأقطار العربية والشرقية.

مشروع مارشال

ويتصل مشروع مارشال بالتسابق بين الجبارين الذي تتناهب تلك المضاعفات التي أشرت إلى بعضها فيما تقدم. ومشروع مارشال قد أنتاجه هو الآخر مضاعفات. فقد كان مفهوماً أنه سيتقدم بالمعاونة السخية لست عشرة دولة من دول أوروبا قصد إنقاذها من شلل الانتاج الذي قد يعرضها للارتماء في أحضان الشيوعية أو للاستجداء من الاتحاد السوفيتي. لكن مجلس «الكونغرس» الأميركي لم يتقبله التقبل الذي كان يأمله وزير الخارجية وكان يدفع إليه رئيس الجمهورية. فقد تقصت أرقام الاعتماد المطلوب لتحقيقه بنسبة كبيرة، وقد كان من شأن نقص هذه الأرقام أن تقتصر الاعانة الجديدة على بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان، وأن يطالب لهذه الاعانة بمقابل يذهب إلى حد النزول للولايات المتحدة

عن قواعد بحرية أوجوية في مياه أو أراضي هذه البلاد. وقد كانت تركيا أسرع تلك الدول الست عشرة إحساساً بشدة وطأة المضاعفة الجديدة، فبادرت إلى الشكوى من حرمانها من استمرار مدها بما مدت به حتى اليوم من وسائل التسليح وأدوات الانشاء، وهي التي تعتبر نفسها معرضة قبل غيرها لما تحسبه تهديداً جدياً من جانب الاتحاد السوفيتي الذي لا يزال يرنو إلى «المضايق» ولا يزال يفكر في «قبرص وأردهان».

ولا يزال «الكونغرس» حتى كتابة هذه السطور يناقش أمر الاعتماد اللازم لتحقيق مشروع مارشال على صورته الجديدة المتواضعة. ويقابل ذلك من ناحية الاتحاد السوفيتي إحكام الصلات الاقتصادية بينه وبين سائر الدول الواقعة إلى شرق الخط

الواصل بين «ميسل وشنتين» إلى «تريستا» النقد بمعدن «البلاز» السواحل في مناجد ،
والساحل الألباني ، وإفدائه على دعم تمام النقد في داخله ، بل تفكيره في ضمان هذا
وهو لا يقل قوة وثباتاً عن الذهب الذي يستند إليه الدولار الأميركي .

لكن الخطر غير داهم

تلك هي المضاعفات الطارئة خلال الشهر المنقضى على أوضاع السياسة الدولية ، وعلى مضاعفات غير مطمئنة لأنها تزيد من أسباب عدم الاستقرار في العلاقات بين الدول . لكنها مع ذلك لا تنذر بخطر داهم كما يود بعض المعقنين أن يذهبوا إليه في تنبؤاتهم . ذلك أن العام لا يزال يشهد أهوال ما أصابه طوال الحرب ، وذلك أن الناس غير مستعدين لاستقبال هذه الأهوال من جديد . ولعل القادة والرؤساء يعرفون هذه الحقيقة ويلمسونها فقفون عند حدود «السلم المسلح» ولا يتجاوزونها .

محمد عزمي

شهرية المسرح

الموسم الأوربي في دار الأوبرا

أحياناً من المثقفين ، يقررون أن هذا الموسم لا يفيد البلاد في شيء . ول هؤلاء يريد أن نوجه كلمة بسيطة صغيرة لا تتوسع فيها ، هي التساؤل : ما فائدة أى شيء نتصل به من مبتدعات الغرب ؟ ما فائدة الكتب الأوربية مثلاً ؟ ما فائدة الثقافة الأوربية ؟ إذا كان هؤلاء يقررون أن للثقافة الأوربية والابتداع الفكرى الأوربى قيمة ، فيجب أن يعترفوا بنوع يعد من أكبر مظاهر الفن الأوربى . وحينئذ يعلمون أن ذلك العظيم الذى أنشأ هذه الدار فى وسط عاصمة البلاد ، إنما كان رجلاً يشعر بالثقافة الحقيقية ، ويعمل لترقية بلاده وأخذها بأسباب الحضارة .

لسنا نريد أن نتوسع فى هذه الناحية فإنها مجالا آخر ، وإنما نريد أن نعرب عن سرورنا ، إذ نرى أن هذا الموسم كاللوسم الماضى قد دبر فكرته وأشرف عليه رجال من مواطنينا ، نفهمون حق الفهم رسالة هذه الدار ، ويعملون رغم الأنوال لنهضة بها بدلاً من أن تكون أعمالها فى يد الأجانب . ولقد أثبتنا فى ملاحظات على الموسم الماضى ، على ما بذله القائمون بأعمال دار الأوبرا الملكية فى تدبير الموسم رغباً من الصعاب التى أشرنا إليها . ونحن اليوم يزيد إيجاباً بما دبروه لهذا الموسم من تنوع فى الفرق التى تراها فى هذا المسرح ، مما يدل على ذوق سليم وحاسة . فلا شك فى أن الادارة المصرية التى يشرف عليها الأستاذ سليمان نجيب بك مدير دار الأوبرا .

ابتدأ فى شهر ديسمبر الماضى الموسم الحقيقى لدار الأوبرا الملكية ، حين ظهرت فيه فرقة الشانزلزيه للمسرحيات الراقصة . وإذا كنا نعتبر بظهور هذه الفرقة مبدأ لموسم الدار ، فذلك لأننا نريد أن نرى فى موسمها الحقيقى ما ينطبق كل الانطباق على الغرض التى أقيمت من أجله .

فاسم الأوبرا يطلق على نوع خاص من المسرحيات ليس فيها التمثيل وحده ، ولا التصوير وحده ، ولا الموسيقى وحدها ، وإنما هى جماع هذه الفنون . وكلمة الأوبرا تقسمها فيها مدلول هذا الجمع بين الفنون المختلفة ؛ فهى كلمة ليس لها معنى إذا ترجمت إلى لغتنا إلا كلمة العمل . فالذى يقصد بها إذن أن التمثيل وحده ليس بعمل ، والتصوير الماطر وإبرازها على أحسن صورة كما يحدث فى المسرح ليست بعمل ، والموسيقى وحدها على ما به من تأليف جوفه تجمع شتات الآلات العازقة ليست بعمل ، وإنما العمل أن تجمع بين هذه الأنواع جميعاً فى مسرحيات فيها التمثيل وفيها الغناء والموسيقى ، وفيها المناظر البارعة . وهذا هو العمل الذى يحتاج لجهد فنى كبير .

ليس هذا موضع شرح الأطوار التى مرت بها الأوبرا ، فنحن إنما نعرض لموسم خاص بذاته ، هو موسم هذا العام ، وإنما نريد أن نعرض بكلمة لصيغة مترددة نسمعها أحياناً فى هذا البلد هى التساؤل عن قيمة هذا الموسم . فبين حين وآخر نرى واحداً أو اثنين أو أكثر ، من المعلمين ، من

والراقصات يمثلون أنواع الورق المختلفة ، وهم يتقلدون في رقصهم من جانب إلى جانب ، في حين تلعب تلك الورقة التي تعين على الزيج الاعيها . كما يقضى الحظ ؛ فهي تنتقل طوراً إلى هذا الجانب وطوراً إلى ذلك .

وقد أظهر الراقص جان بايبيه براعة في دور الورقة الكبرى ، وكان رقصه بديعاً للغاية ، في عنف يناسب الدور الذي يقوم به ، وهو ذلك الحظ الذي يوافق إنساناً ، ثم يدير له أكتافه ويتركه بلا شفقة .

ورأينا الفرقة أيضاً في مقطوعات من مسرحية « العصفور الأزرق » للموسيقى تشايكوفسكى ، حيث أبدعت الراقصة أندريه ليبيفر ، والراقص جان جيل . كما رأيناها في مقطوعات من « بحيرة البجعة » للموسيقى ذاته حيث ظهر فن الراقصة إيرين سكوريك والراقص يولى الجاروف ، ولعلهما أبرز أعضاء الفرقة . ورأينا أيضاً تلك المسرحية الراقصة الشهيرة المسماة « خيال الورد » وهي التي بثت على ألحان الموسيقى الألماني فيبر وقد ظهر فيها فن الراقصة نتالي فيليبار وجان باييه . وهما من خيرة الراقصين في الفرقة . أما المسرحيات الراقصة الجديدة التي أظهرتها الفرقة ونجحت فيها نجاحاً بعيداً فمن أولها « الفنانون المتجولون » . وهي تمثل حياة فرقة من تلك الفرق التي تقوم بأعمال بهوانيه . وهي تعرض فيها لآلى المدن الكبيرة ، فهي لم تبلغ بعد من الثبات والمال ما يمكنها من ذلك ، وإنما تعرض في أسواق القرى متقلبة من قرية إلى قرية . وما مسرحها في هذه الحالة إلا بعض أخشاب تجرها على عربة ، فتنصب أخشابها وخيامها للتمثيل . وبعد أن تقوم بدورها قد لا يكون نصيبها إلا بضعة دراهمات لا تسد الرمق ، كما حدث في هذه المسرحية ذاتها . وقد وضع

والأستاذ عبد الرحمن صدقي وكيلها ، جديرة بالثناء على فهمها السليم لعملها ، وعلى مجهودها في سبيل تحقيق الأغراض التي أنشئت من أجلها هذه الدار . فهي التي قد أرادت التنويع ، فأثت بهذه الفرقة للمسرحيات الراقصة كما أنها أثت بفرقة الأوبرا الإيطالية ، فضلاً عن الفرق التمثيلية الأخرى .

أما فرقة الشانزلزيه للمسرحيات الراقصة فإنها فرقة من الدرجة الأولى لهذا النوع من المسرحيات الذي نشأت أقدمه في الزمن الحديث . ولسنا نريد أن نقول إنها خير من فرق عدة من فرق الرقص الروسي رأيناها منذ عشرات السنين ، ولكننا نقول إنها بلغت درجة كبيرة في قتها . ولنا نرجو أن ترى القاهرة في المواسم القادمة بعض الفرق الشهيرة الآن بهذا النوع من المسرحيات التي تعمل بنوع خاص في لندن .

لقد أظهرت هذه الفرقة قتها في عدة من المسرحيات الراقصة الشهيرة . ولكننا رأينا لها مسرحيات أخرى لم تكن شاهداها من قبل ، ولعلها خاصة بهذه الفرقة . وقد أبدت فيها مهارة في التمثيل بالإشارة والرقص كما هو الشأن في هذه المسرحيات مع موافقة هذا التمثيل للتعبير الموسيقي .

فمن المسرحيات الراقصة الشهيرة التي رأينا فيها هذه الفرقة مسرحية « لعبة الورق » . وقد وضع موسيقى هذه المسرحية المؤلف الموسيقي الروسي الكبير في هذا العصر سترافنسكى . وهي قصة الحظ وانتقاله في تلك الألعاب التي تقوم عليه ، مثلاً في الورقة الكبرى التي إذا وجدها اللاعب بين ورقه كان له أكبر مكسب ، وكانت الحسارة على غيره من اللاعبين .

وفي هذه الرقصة نرى الراقصين

لها موسيقى من ألحان جان سبستيان باخ من أعظم الموسيقيين الألمان في القرن الثامن عشر، ومن أعظم موسيقى العالم في كل وقت ! ووضع رقصاتها رولان تتي . وقصة هذه المسرحية في كلمة أن شابا يسكن غرفة حقيرة في أعلى منزل ، يحب فتاة . وقد واعدتها على زيارته فتزوره في غرفته حيث يروح بحبه لها ويتوسل إليها ، وهي تمتنع عليه وتوجه إليه الالهات ، ثم تغادر غرفته بعد أن تشد في جدار الغرفة حبلا وتدعوه لحنق نفسه إمعاناً في إهانتها . فاذا وجد نفسه وحيداً متبوءاً أقبل على الحبل فشنق نفسه . وحينئذ يدخل إلى الغرفة المسوت وهو مقنع ويستصعبه سائراً به فوق سطوح منازل باريس . فاذا هم بأن يسير به في الفضاء خلع قناع نفسه وألبسه للفتى . فاذا الموت في مظهر الفتاة التي أحبها وأدت به إلى الموت .

وترى من ذلك أن فكرة القصة بديدة ، ومن أصلح الفكر للمسرحيات الراقصة كما كانت موسيقى باخ العظيمة تملؤها حياة وروعة .

لقد انتهت فرقة المسرحيات الراقصة من موسمها بالقاهرة ، وانتقلت إلى الاسكندرية العاصمة الثانية للبلاد لتعرض فيها في مسرح محمد علي . وبدأت في دار الأوبرا فرقة المسرحيات الغنائية « الأوبرا » وهي فرقة مختارة من أكبر السارح في إيطاليا وفيها الكثير من المغنين والمغنيات الذين سمعناهم في الموسم الماضي .

وسنرجى الكلام عن موسم الأوبرات إلى الشهر القادم حيث نكون قد شهدنا أكبر عدد منها . ولئن كان أكثرها قد شهدناه مرة ومرات فإن ذلك لا يحول دون

لها الموسيقى الفرنسي هنرى سوجيه ألحاناً بديدة ملائمة للموضوع . وكان اتقان الفرقة في هذه المسرحية كبيراً .

ومن مسرحياتها الجديرة بالذكر مسرحية « بنت الغاب » . وهذه في الحقيقة وضعت منذ زمن بعيد لمسرح الأوبرا بباريس وضعتها الموسيقى شاتيزهوفر في سنة ١٨٣٢ وظلت تمثّل إلى سنة ١٨٦٠ ثم رفعت من البرنامج وتناساها الناس ، حتى رأت الفرقة إعادة بنائها من جديد . ولا شك أنها أحدثت فيها من التحسين ما يقضى به تقدم المسرحيات الراقصة منذ ذلك العهد ، لاسيما بعد ظهور فرق الرقص الروسي التي أخذت أوروبا الغربية على حد تعبيرنا الحديث ، على غرة ، فأحدثت تطوراً عظيماً في فن المسرحيات الراقصة .

وقد حاولت الفرقة إحياء هذه المسرحية فوفقت في ذلك توفيقاً كبيراً . وعادت المسرحية إلى احتلال المكان الذي كان لها عند ما وضعها تليوني واضع المسرحيات الراقصة الشهيرة في أوائل القرن التاسع عشر .

ولقد شاهد رواد تلك الحفلات تصويراً بديداً في رقصة « الفسالات » مع ألحان فرنون ديوك . وهي قصة طريفة هزلية فيها الكثير من الرقص العنيف الذي ترقصه تلك الطبقات .

وكانت « صورة دون كيشوت » قصة طريفة أيضاً نشأت فكرتها من بطل سرفانتز الخالد . وكانت ألحان يتراسى مناسبة لها كل المناسبة .

ولعل خير ما أظهرته الفرقة من مسرحيات راقصة ، بدا فيها جمال الفن الحقيقي ، تلك القصة التي أبدعتها تخيلة الكاتب الفرنسي الكبير جان كوكتو . وهي قصة « الشاب والموت » . وقد اقتبست

اشتمع به ، فانفس الحفيقي تزيد لذته ومتعته
 بكثرة المشاهدة .
 وكل ما نريد أن نقوله ونكرره في هذا
 الشهر هو أننا جسد فحورين إذ نرى
 مستوى الموسم في هذه الدار العريفة لا يمتلئ
 نحب الاداره المصريه عنه في أيام الاداره
 الافرنجية ؛ بل قد يرتفع هذا المستوى إذا
 راعينا الصعوبات التي يهاها القائمون على
 دار الأوبرا بالنسبه لصعوبة الاتصال بين
 بلاد العالم والظروف التي لانزال قائمه فيه .

من محمود

شهرة السينما

أكبر ما قلته سابقاً : وهو أن أمريكا ، لكي تتيح لأفلامها الرواج ، قد فرضت على الدول الأخرى فروضاً تحد من إصدار إنتاجها . وقد يكون هناك سبب آخر بعيد كل البعد عن الاقتصاد والسياسة ، سبب يعود إلى الفكرة السائدة في الغرب عن بلاد الشرق وتقهقرها ثقافياً ، مما يجعل المنتجين يعتقدون أن بلاد الشرق ميدان صالح لعرض أفقه الأفلام . وهذه الفكرة قد أوحاها ما يعرض من أفلامنا المصرية في أوروبا بين حين وحين وما يقال عن تهافت المصريين عليها .

وقد اخترت بعض الأفلام التي عرضت أخيراً لأحدث عنها . فقد سعى إلى بعضها الجمهور ليشهدها راضياً مطمئناً لما يبعثه عنوانها وأسماء ممثليها من رضا واطمئنان ، وسعى إلى البعض الآخر وهو يعرف ما ينتظره من ملل وسأم ، وإنما دفعه الفضول ليشهدها فيدرك ما وصلت إليه بعض الجهات الفنية من تقدم إن كان هناك تقدم يلتبس ، أو من تقهقر إن لم يكن هناك تقدم يلتبس . ومن اليقين أن جمهورنا مع ما يعرف عنه من ثقافة عالية وذوق مرفه لم يرض عن هذه وتلك ؛ لأنه ليس ثمة ما يدعو إلى الرضا .

تمتاز الأفلام التي عرضت في هذا الشهر عامة بتفاهتها قصة وإخراجاً ، هذا إذا استثنينا قليلاً أو فيلمين عرضا في الأسبوع الأخير . وهذه الظاهرة التي نلمحها في الانتاج العالمي الذي يعرض في القاهرة تعود لا إلى ركود سائد بين فنانى العالم ، وإنما ترجع إلى نوع الأفلام التي يتاح لشعب مصر أن يشهدها . وقد قلت في مقال سابق إن السينما الأمريكية تعاني أزمة شديدة ، ودرست مظاهر هذه الأزمة وأسبابها ، وقارنت بين الانتاج الأمريكى والانتاج الأوروبى ، وانتهى بنا الرأى إلى أن أوروبا قد تفوقت على أمريكا في هذا المضمار في السنوات الأخيرة . نحن نعلم أن إنجلترا وفرنسا وإيطاليا جادون في الارتقاء بالفن السينمائى ما وسعهم ذلك . فاذن كيف لم ينجح لنا أن نشهد هذا الانتاج حتى الآن ؟ ولا نستطيع الاجابة على هذا السؤال إلا إذا اقتحمنا ميدانى السياسة والاقتصاد في العالم ودرسنا سيطرة أمريكا على دول أوروبا اقتصادياً . وبما أن هذه الشهرة لا تعنى بالمسائل الاقتصادية ، وإنما تعنى خاصة بالفن السينمائى من حيث هوفن ، فلن اقتحم الميدان السياسى أو الاقتصادى ، بل سأكتفى بأن

أفلام الرعب

أفلاماً مخيفة . وكان هذا النوع من الأفلام وقفنا على أمريكا . وقد وجد مخرجو هوليوود وسائل كثيرة لاثارة الرعب في قلوب الشاهدين ، واكثرها من هذه الوسائل ثم

في الواقع أننا لم نشهد إلا فيلمين من هذا النوع ، وهما من انتاج فرنسا . وهذا ما يجعل لهما شأنًا عند النقد ؛ لأن المنتجين الفرنسيين لم يحاولوا قبل ذلك أن يصنعوا

شيء من ذلك الذي كان يعسده به العنوان .

وقد أعلن عن شريط آخر من النوع نفسه عنوانه « فونتوماس » وقد كثرت الشائعات حول مناظر هذا الفيلم المرعب ولصحت إدارة السينما للعصبيين ألا يشهدوا هذه القصة . فاعتقدنا أن هذا الفيلم سيصيب من رضانا أكثر مما أصاب الفيلم الأول فإذا هو لا ينال إلا سخطنا . فالمثل الذي كان يقوم بدور فونتوماس لم يكن يوحي الشر مطلقاً بل كان وجهه من تلك الوجوه التي تبعث الاطمئنان في النفوس . والقصة خيالية من هذا النوع الذي كنا نشغف به أيام طفولتنا . والاخراج لم يوفق في إنشاء هذا الغموض الذي يسود في قصص الرعب ولا هذا الجوال الذي يجعل المشاهد ملهوقاً حيناً وخائفاً مضطرباً حيناً آخر ، ولم يثر فيه الفضول وحب الاستطلاع ، بل مرب حوادث الشريط وعلى شفتي المشاهد ابتسامة سخرية واستهزاء لهذا العبث الذي يشبه عبث الأطفال .

أسرفوا فيها حتى انصرف الجمهور عن تلك الأفلام . نحن لم ننس أفلام « فرانكشتاين » و « دراكولا » و « زومبي الأبيض » و « شبح الأوبرا » ولم ننس ممثلي هذه الأفلام بيلا لوجوزي ولون شاني في عهد الأفلام الصامتة . فنحن هنا إزاء نوع جديد من الأفلام الفرنسية يهمننا أن نعلم إلى أي مدى نجح المخرج في إنشاء الجو والملائم لها واختيار الممثلين الصالحين . وأول هذه الأفلام هو « القاتل يخاف ليلاً » *L'assassin a peur la nuit* وهذا العنوان الطريف يدفع وحده الشاهد إلى أن يسعى إلى السينما ليشهد هذا الفيلم معتقداً أنه سيمضي ساعات عذبة تنسيه الحياة واضطرابها ، لما سيكون في القصة من مواقف مثيرة تستأثر بجواسه وتجعله في لحظة متصلة مدة عرض الفيلم . ولكن ما يتخيله الشاهد شيء وما أنتجه المخرج الفرنسي دلانوا شيء آخر . فالقاتل أولاً ليس بقاتل وهو لم يخف مطلقاً سواء أكان في الليل أم في النهار . والقصة تسير في هدوء تام ؛ فلا إثارة ولا لحظة ولا أي

فيلم ساذج

فمن المعلوم أن أعضاء حركة المقاومة قد عانوا صعباً كثيرة وذاقوا عذاباً مريراً وكألحوا كفاحاً عتيقاً ، وأن الألمان كانوا أكثر دهاء وأوسع حيلة مما جاء في سيناريو نويل - نويل . ولكن إذا استثنينا هذه الناحية من القصة فنحن نجد فيها صورة صادقة لشعور الفرنسيين وحياتهم لم يفلح الأمريكيون في إعطاء مثلها في أفلامهم عن المقاومة .

والأب الهادي هو رب أسرة يبدو أن ليس ثمة شيء يشغله عن أزهاره ، ولكنه

وهذا الفيلم هو « الأب الهادي » ذكره لأنني استحسنتم مثله الأول نويل - نويل خاصة ، ولأنني أعجبت بممثليه الآخرين عامة مع أنهم لم يصيبوا شيئاً من الشهرة . ونويل - نويل هو الذي وضع السيناريو وأشرف على تحقيقه وقام بدور بطل القصة التي تجري حوادثها في فرنسا أثناء الاحتلال . وهي تحاول أن تعطينا صورة عن حركة المقاومة أثناء الحرب الأخيرة ، ولكنها لم تصل إلى أن تصور لنا حال تلك الحركة تصويراً صادقاً واقعياً .

الهادي' إلى أن يشتبه فيه الألمان فيقبض عليه ، ولكن الخط لم يخطئه فينقذ من قبضتهم . وقد نجح نويل-نويل في تصوير شخصية هذا الرجل الهادي' ، كما أنه نجح في أن يعرض هذه الحوادث الخطيرة دون تلك المغالاة التي أسرف فيها الأمريكيون في جميع أفلامهم عن الحرب .

في الحقيقة رئيس فرقة من فرق المقاومة . فهذه الأزهار التي يبذل لها جهده ويشملها بعنايته ما هي في الحقيقة إلا ستار يخفي وراءه نشاطه السياسي والحربي . وهذا الهدوء الظاهر يتيح له أن يتقرب من قوات الاحتلال وأن يتجسس المركز الرئيسي في لندن عن حركاتها ونياتها . ويدوم نشاط الأب

مأساة موسيقية

السينمائي . نعم ! إن هذه القصة مقتبسة من مسرحية لوليس فرنوى ، وإن هذا المؤلف فرنسى لا أمريكى . ولكن ألا يوجد في الأدب الفرنسى كاتب آخر غير لوليس فرنوى إن أراد منتجوا أمريكا أن يستمدوا أفلامهم من الأدب الفرنسى ؟ إنى لا أنكر على هذا المؤلف قيمته الفنية وقدرته على إحياء المواقف الطريفة المضحكة ودعاياته المحببة . غير أن مسرحه قد فقد كثيراً منذ أنشئ ، ثم إن فيه تكراراً للمواقف ، حتى إنك لا تجد فيه إلا موقفاً وحيداً يعاد بأساليب مختلفة . وهكذا تجد في « خيبة أمل » قصة حب أباطها ثلاثة لا اثنان كما هي العادة في مسرحيات لوليس فرنوى . والشاهد يلحظ كلما تقدمت حوادث القصة أن الشخصيات قد رسمت اعتباطاً دون عناية بنفسياتها ودون أى ملاءمة بين تصرفاتها وطباعها التي وضعها المؤلف لها . تجد مثلاً امرأة كل ما حولها يتبني بأنه كان لها عشيق . ومع ذلك فهي تكذب على زوجها وتعلن في الكذب . إنها امرأة شريفة مخلصه لزوجها وتعلم أنها تهدم بهذا الكذب زواجها الذي لا تريد أن تهدمه . وتجد أيضاً زوجاً غيوراً تكاد غيرته تكون مرضاً ، ولكن المؤلف يجعله يتصل بعشيق امرأته ويطلب منه المساعدة . وتجد

والمأساة الموسيقية التي أريد التحدث عنها هي « خيبة أمل » Deception ثالث الأفلام الموسيقية التي عرضت في هذا الموسم . ولا يسعنا إلا أن نشكر الأمريكيين على هذه السياسة الحكيمة التي يتبعونها ، وهي نشر الموسيقى الكلاسيكية وتعميها بين أفراد الجمهور . ولا أريد هنا أن أدرس قيمة ما اختير من قطع موسيقية في هذه الأفلام ، فاختيارها عامة موفق كل التوفيق ، إنما أريد أن أدرس فيلم « خيبة أمل » قصة وإخراجاً وتمثيلًا .

وعنوان هذا الفيلم اختياره موفق ، فهو ينبشك بما ستكون فيه من حال بعد شهود القصة . إن الأمريكيين قوم لا تقصم المهارة ليهيئوا لأتفه أفلامهم نجاحاً كبيراً . لحين تكون القصة ضيقة يحشدون لها أرفع الممثلين فناً وأوسعهم شهرة ليجتذبوا إليها الجمهور . وهذا هو ما حدث في فيلم « خيبة أمل » الذي مثله ثلاثة من كبار الممثلين الأمريكيين ، وهم بيت دافيز وبول هنريد وكلود رينز ، فلم ينقذ تمثيل هؤلاء هذه القصة ولم تفر الجمهور هذه الأسماء ذات الشهرة العالية ، وإنما غادروا قاعة العرض ونحن ندهش لجرأة منتجي هوليوود واستخفافهم بجمهور الشاهدين وعيهم بالفن

الهدوء والقصد كانا أصح ما وأجدى . أما كلود رينز فهو دون الآخرين قد وجد سبيله إلى الأداء الحسن الذى يجرب المشاهد ويميد بينه وبين المثل صلة وثيقة . فهو حين يقوم بدوره ويؤديه هذه الأداء المتصدد يثير فى الجمهور الإعجاب والاستحسان . وهو إلى هذه الصفات الحميدة عند المثل يقم القدرة على التغلب على مصاعب الدور : لن ننسى له هذا المشهد الذى يحاول فيه أن يكتم حقه على تلك المرأة التى غدرت به . ولكن هذا الحقد إن لم يكن ظاهراً فى نبرات صوته فهو واضح فى نظراته واضطراب يديه . وملخص القول أنه لا يثبت شئ فى ذهنك حين تنتهى من مشاهدة الفيلم قصة فرنوى أو تمثيل بيت ديفيز وبول هنريد ، وإنما تخرج وأنت تذكر شخصية الموسيقى العبرى التى مثلها كلود رينز .

أخيراً هذا النظر الذى لجأ إليه المؤلف ليختم به قصته حين تعقدت الأمور أمامه ولم يجد للقصة مخرجاً : فجعل المرأة تقتل عشيقتها لأتفه الأسباب . وما أيسر القتل عند المؤلفين حين تتعقد الأمور ويفقدون السبيل إلى حلها .

وقد قلت إن التمثيل لم ينقذ القصة مع أن الممثلين ذوى شهرة وقد أصابوا فيما مضى نجحاً كبيراً . فكلنا نعجب ببيت ديفيز وقدرتها الفنية وتعبيراتها الصادقة ، ولكنها فى هذا الفيلم لم تبلغ ما بلغته من سمو فى أفلامها السابقة ، فهى تكرر نفسها ، إن صح هذا التعبير ، وتسرف فى الإيماءات كأنها حديثة عهد بالتمثيل . حتى بول هنريد الذى لقى توفيقاً كبيراً فى أدواره السابقة لم يصل إلى النجاح المرتقب له ؛ فقد غالى فى بعض المواقف ولجأ فيها إلى العنف مع أن

من كتب الشرق والغرب

MACHINE ET HUMANISME

ETIEMBLE

الآلة والدراسة البشرية*

لأجابه وحى الآلهة الاجابة الخالدة :
الانسان . فالانسان هو إلى الأبد مسألة
الانسان . وسيبقى الانسان الى الأبد الجواب
على أسئلة الانسان ، بحيث إن موضوع القوة
المزدوجة الآلة - الانسان يعتبر من أمهات
المسائل التي نستطيع أن نعمل فيها فكرنا
إعمالاً مثمراً . وكل دراسة بشرية تحصل
ذلك ، لا قيمة لها . ولو فحصنا الطرز
الحديثة في السيارات الأمريكية لرأينا أنها
قد صممت بحيث توائم كل المواءمة بين حاجات
الانسان وضرورات الميكانيكا . فما من ذراع
آلي ، وما من مسافة بين ذراعين ، إلا
درست بعناية لتستجيب في نفس الوقت
لمقتضيات المحرك ولراحة السائق . وكذلك
لو فحصنا الطائرة وقارنا بين الراحة التي
يجدها فيها المسافرون اليوم وبين التعب
والأزيز والمخاطر التي كان يتعرض لها ركاب
الطائرات منذ ربع قرن ، لأخذنا العجب :
كيف استطاع الانسان أن يلائم بين علمي
الميكانيكا والحياة بمثل هذه السرعة ؟
ولندخل في مصنع غزل أو مصنع صهر أو
في أى من تلك المصانع الضخمة حيث يعمل
آلاف من العمال طيلة ثمانى ساعات في اليوم ،
فسنرى عندئذ أنه لم يبدل من الجهد
للملاءمة بين الآلات والناس عشر ما بذل

يؤكدت . ١. لورنس . T. E. Lawrence
في وثيقة من أهم الوثائق التي خلفها ، وهي
خطاب (يعتبر إلى حد ما موجز حياته)
كتبه قبل موته ببطء أسابيع إلى روبرت
جريفز R. Graves في فبراير سنة ١٩٣٥ ، أنه
يعتبر أهم فترة في حياته تلك التي رصدها
في خفاء للعناية بالآلات الطائرة ولتحسينها
حين عمل ميكانيكياً بسلح الطيران الملكي
R. A. F. . ذلك لأنه قال : أهم شئ في
اعتقادي هو الآلة . The key-word .
I think is machine . وقبله نزل عبقرى
آخر ، الشاعر أرتور راسبو A. Rimbaud ،
عن المجد الذي كانت تؤهله له آثاره
الأدبية ، مفضلاً أن يخنق في الحبشة حيث
وقف نفسه على الصناعة . كلا البطلين شهد
للآلة واختار أن يعيش لها وأن يموت لها .
ولاشك أن ذلك السوت الذي لقيه لورنس
حين صرعه « بوانرج » ، دراجته البخارية ،
التي أحبها وأحبته (كانت بوانرج تحب
لورنس حتى إنها كانت تقطع حين يركبها
عشرة كيلو مترات في الساعة أكثر مما
تقطع إذا ركبها أى شخص آخر .) لاشك
أنه كان بالقياس إليه خيراً من أى
موت آخر .
ولو قد سأل إنسان اليوم أبا الهول

* كتب هذا المقال خاصة لمجلة « الكاتب المصرى » .

الدراسة البشرية يفضل مؤلفه عن « الآلية machinisme » وليس ذلك لأنه أول من كتب في هذا الموضوع . (لقد أتفق في دراسات آثار من سبقوه في هذه المادة فترة لا تقل عن عشر سنوات . قد درس مذهب تايلور ، والسلطة الصناعية technocratie ، والتنظيم العلمي للعمل . . . الخ) كلا ! وإنما لأنه أضاف إلى معلوماته النظرية وإلى تكوينه الفكري ، تجربة عملية في عامي ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ حين تعلم استعمال الآلات الصناعية (الدوارة tour ، والمضخة المستعملة للبرد étaiu-limeur ، والمسحاة raboteuse ، وآلة قلوطة القوب fraiseuse) وتلك تجربة عملية عن الآلات وعن نفسية العمال لم تكن أية دراسة تستطيع أن تبين له . أضف إلى ذلك أنه من بين تلك الفئة النادرة من العقليات التي لا يفسد فكرها أي تعصب أو أية مصلحة : فقد ولد في وسط الثروة وأنفق شطراً كبيراً من أمواله لمصلحة العمال . وهو إذا كان يسخط اليوم على التفكير الراهن في الاقتصاد الرأسمالي ، وإذا كان يفضل عليه اقتصاداً من نوع اشتراكي ، فليس علينا إلا أن نقرأ كتابه عن روسيا ، أو كتابه عن المشاكل البشرية للصناعة الآلية ، لنذكر أنه ليس من أولئك الذين يكتفون بالموجز من الأجابات . بدأ فريدمان — كما كان يتوقع — بدراسة مذهب تايلور Taylor كما ورد في كتابي : « إدارة المصانع » La direction des ateliers ، « قاعدة الإدارة العلمية للمصانع » Principe d'organisation scientifique des usines وهذه هي النتيجة التي يقرها « إن مذهب تايلور الذي يدعى أنه علم ، ليس في الواقع —

لتنظيم العلاقات بين آلات الترف وبين من يستخدمونها . فلا بد إذن من قيام دراسة بشرية صحيحة لتحاول فهم أسباب هذا التناقض . ولا بد من أن تعمل أيضاً لازالة هذه الأسباب .

وتلك هي المهمة التي اضطلع بها جورج فريدمان في مؤلفه المثلث « الآلة والدراسة البشرية » . وقد عالج في أول جزء « أزمة التقدم » (١) وبقي هذا الجزء إلى اليوم ، يعد اثني عشر عاماً من تأليفه ، كتاباً صحيحاً . وثانيها يدرس : « المشاكل البشرية في الصناعة الآلية » (٢) ، أي يدرس : التعب ، والأوتوماتيكية في الصناعة ، والتعبيل ، والحوادث ، ومذهب تايلور Taylorisme الخ . . . وهو يقصر بحثه وتحليله على المصالح الكبرى أي على العلاقات بين الانسان وآلات الانتاج ، تاركاً لجزء ثالث يعده الآن بعنوان : « مقالة عن الحضارة الصناعية » مشكلة دراسة البيئة التي تنمو فيها هذه الحضارة المشتملة على الآلات الحديدية ، والسيارة ، والطائرة ، والبرق والتليفون ، والآلات الناطقة ، والسينما ، والراديو ، والتليفزيون .

وقد نال فريدمان — الحائز لدرجة الأجراسيون في الفلسفة والأستاذ بالمعهد الوطني للفنون والصناعات — بكتابه عن لينتز وستوزا شهرة واسعة في فرنسا كمؤرخ للفلسفة . أما كتابه عن روسيا السوفيتية : « من روسيا المقدسة إلى الاتحاد الروسي للجمهوريات السوفياتية U. R. S. S. » الذي يعد من خير ما كتب في هذا الصدد فقد غزا له جمهوراً أوسع . ولكن فريدمان سيحتل دون شك مكاناً ممتازاً في تاريخ

(١) طبعة Gallimard سنة ١٩٣٦ .

(٢) طبعة Gallimard سنة ١٩٤٧ .

السييل ، الراحة للعمال والفائدة لدور الصناعة . ونستطيع بعملية حسابية بسيطة أن نثبت أنه إذا كان خفض ساعات العمل من ١٢ إلى ١٠ ساعات ثم من ١٠ إلى ٨ ساعات في اليوم يزيد في الوقت نفسه الإنتاج في الساعة والإنتاج اليومي ، فإن زيادة الإنتاج في الساعة لو خفض العمل من ٨ إلى ٧ ساعات أو من ٧ إلى ٦ ساعات — وهي زيادة مؤكدة — لن تكفي لزيادة الإنتاج اليومي . وقد أثبتت عملية حسابية بسيطة لاحدى دور الصناعة الأمريكية أن تلاحظ أنه بزيادة نفقات الإضاءة بمقدار ٢٨٠٠ دولار في السنة أسكن لها أن تخفض ما تدفعه من تعويضات للمصابين من العمال بمقدار ٦٢٠٠ دولار . وإننا نجد في هذين المثالين أن فائدة الرأسماليين تتفق وفائدة العمال . ومع أن هذه الدراسة الفنية الصناعية — التي درست بصفة خاصة في إنجلترا — أقل قسوة من مذهب تايلور الأمريكي ، فهي على كل حال مخطئة حين تفترض وجود انسجام اقتصادى بين مصالح دور الصناعة ومصالح العمال . فهي إن قدرت من ناحية ما الطبيعة الحيوية للإنسان أهملت من ناحية أخرى البحث « فيما إذا كان العامل يعمل بنفس الطريقة في مختلف المصانع التى يمر بها وقت العلاقات التى يصنعها بيده وبين زملائه ورؤسائه والمنظمات المهنية المشتركة بها ، أو بعبارة مختصرة فيما إذا كان جو العمل والإنتاج لا يتعلقان بشروط أخرى تتعدى نطاق الحدود النفسية والعنصرية للجسم الإنسانى . » والمشكلة الأخرى هي مشكلة العمل على وتيرة واحدة ، مشكلة آلية الصناعة ، والعمل على نظام السلسلة *à la chaîne* ، والمهارة الفنية وإحباطها . وسيتبقى إلى الأبد عالقة بأذهاننا صورة

إذا وضعنا جانباً المزاياء التى أتى بها ، وهي مزاياء تتعلق فقط بالميكانيكا التطبيقية ويصناعة المعادن — إلا نظاماً محسناً للوسائل الكفيلة بزيادة متوسط الإنتاج للعمال والآلات . « كان تايلور مهندساً عظيماً ، ولم يزد شيئاً عن كونه مهندساً . فهو لم يفهم قط أن لعالم الحياة ولعالم النفس قولاً في هذا الصدد يقدرهما للمهندس وما لرئيس العمال . وقد غزت آراؤه — مع الأسف — عدداً عظيماً من المصانع فى أوروبا وفى أمريكا . وكان شر تلك الآراء هو بالضبط أعظم معين لها : فالنظام الذى يضاعف إنتاج الآلات وإنتاج العمال دون أدنى حساب للعمال أنفسهم هو « نظام يال كان يتفق وحاجات مرحلة معينة فى الرأسمالية العالمية . » وقام المؤلف بعد ذلك بتصحيح القواعد الأولى فى مذهب تايلور ، وذلك بفضل دراساته الدقيقة عن التعب فى الصناعة ، والراحة وأثرها ، ودرجة الحرارة فى المصانع ، والضوء ، والتهوية ، وعن الحوادث أثناء العمل وأسبابها . أى إنه وجه همه إلى دراسة « العوامل الانسانية » .

« كما أتاحت فرصة للعلماء الذين يدرسون حقائق الصناعة والذين يمتزجون بها ، تراهم ينكرون النظرية الصناعية القائلة إن السرعة والإنتاج هما الهدفان الوحيدان ، وتراهم لا يهتمون مطلقاً بدراسة التكوين الجسمى والتفسي للعامل . والأساس لديهم هو العمل على توفير راحة العامل الجسمية والنفسية ، فهم يدركون شدة الاتصال بينهما . » وهكذا يخفى الإنسان — الشور مثل تايلور الأعلى ، ويحل محله — بفضل دراسة قية نفسية أكثر علماً — الإنسان الحى ، بقوته المتوسطة ، بآلامه وإفراحه . وهذه الدراسة النفسية الفنية تأمل أن تضاعف فى الوقت عينه وينفس

يضع قريزمان نقشه « في مذهب ناسم العمل »، وذلك دون أن ننسى من حضوره المسألة وصعوبة مداواتها . فلا يشرح أن تهم الآلية الصناعية بأكملها ؛ فهذه الآلية التي يؤدي بها تقسيم العمل - يجب أن تشجع حين تخفف عن العامل أعباء الأعمال المرهقة وخاصة في أشق الجهود العضلية . فمن يستطيع أن ينكر أن الآلات الأوتوماتيكية الخالصة - كالآلات التي تحيل مصهور السكر إلى صناديق مقفلة مضبوطة الوزن دون أن تمسسها يد عامل - ود عملت هي أيضاً في تحرير العال وتخفيف أعبائهم ؟ في مثل هذه الأحوال يصير الإنسان خالقا ، يصمم ويحرك ويلاحظ . وهكذا لو دفعنا الآلية (الأوتوماتيكية) إلى أقصى درجاتها لوفقتنا بين الآلة البشرية والآلة الحديدية . ثم إن تصميم هذه الآلات الدقيقة وصناعتها والعناية بها تقتض الباب للذكاء من العال الذين تؤودهم عيودية العمل على نظام السلسلة . عندئذ تنشأ هيئة قنية جديدة تعطى الخيار ما يستحقونه من مباحج عملهم . وهكذا تستطيع الآلة أن تنفع الإنسان .

نعم هذا صواب ، والبطالة ؟ إذا كانت النتائج النظرية لمذهب تقسيم العمل تخدعنا فجدري بنا أن نذكر أن القيمة العملية لهذا المذهب ما برحت اليوم مشكوكا فيها . نعم ! يمكننا أن نتوقع ، كما توقع فورد ، تقللات دائمة في طبقة العال ! على أن ذلك ليس إلا حلا ، وحلا يمليه الخوف أو تمليه المصلحة . قالتاريخ المعاصر ثبت مع الأسف أن الاقتصاد الحرا لا يستطيع - باستثناء فترات الحروب - أن يكف عن إنتاج ملايين البطالين . وهكذا كلما نجحت الصناعة الآلية (الأوتوماتيكية) وزادت إنسانيتها كلما زاد عدد المتبطلين . وبالاختصار

شارلي شابلن في شريطه « العصور الحديثة » حين كان عمله وهو إدخال مشط مبروم في ثقب - يحصره حصرا نفسانيا حتى لقد كان يستمر بعد خروجه من العمل في تأدية هذه الحركة في الهواء أو في الضغط على أزرار السترات التي يراها . فما العمل ؟ أنستخرج هنري فورد من تلك النفوس الحساسة التي ترى لمن يقتصر عمله طيلة حياته على ثلاث حركات ؟ أنصل معه إلى هذه النتيجة : « سمعت خبراء يتحدثون عن هذا العمل على وتيرة واحدة ويقولون إنه يقتل العال أديبا أو ماديا ، ولكن هذا يخرج عن نطاق بحثي . » في الواقع أن الانفعال المضاد لهذا السير على وتيرة واحدة يختلف اختلافا بينا من عامل إلى آخر . فخير العال وأكثرهم نفاذا بصيرة يألون أكثر من غيرهم . أما العامل اليدوي العادي فإنه يبدد راحة في ذلك . فالنظام الحالي يبعد إذن العال الموهوبين . ويختبر العال في بعض المصانع الأمريكية عدة اختبارات قبل استخدامهم ويرفض أذكى المتقدمين . وقد ذهبت شركة المطاط الأمريكية إلى حد أن استخدمت : « قنيات ناقصات العقل . » وبهذا حصلت على نتائج باهرة .

وشكا القوم في أستراليا منذ قليل قلة عدد العم البكم لأنهم يستغرقون في عملهم لا يشغلهم عنه شاغل . وأمام هذا الانحطاط لا نضحك الضحك العادي وإنما نضحك ضحك المحتون . هذه هي إذن الحياة على الطريقة الأمريكية ، حضارة تلقى عن قصد خير العناصر إلى عرض الطريق ، وتكفي ذوى العقول الناقصة . ولكن ما العمل ؟ هل هناك شيء نستطيع عمله ؟ أم هل نحن أمام إحدى صور التناقض التي لا تستطيع عقولنا لها حلا ؟

لاستطيع الآلية (الأوتوماتيكية) أن تثمر إلا في نظام يتمتع فيه المنتجون الذين يعملون وقتاً قليلاً بحق العمل في المهنة أو المهن التي يصلحون لها ، ويتمتعون فيه أيضاً بحق استهلاك تلك المنتجات وفقاً لحاجاتهم . »

اتيامبل

نقلها عن الفرنسية مصطفي كامل فوده

شاعر مصري

يعتاج في نفسه ، بل التعبير عما يضطرب في قلبه من خواطر وأحاسيس ، لا يستطيع أن يمسكها ، فيتناول الريشة مضطراً يرسمها ويسجلها في أروع صورة من صور الشعر والفن .

ولعل في هذا الشاعر وشعره ما يصحح من بعض الوجوه رأى بعض النقاد في مصر وشاعريتها أثناء العصور الوسطى . فطائفة منا لا تكاد تعتقد أن مصر بيئة صالحة للشعر ، أو على الأقل بيئة تصلح لانبثاق شعراء ممتازين . وأكبر الظن أن في هذا الشاعر ما يحملنا على أن نفكر في آرائنا التي نعطيها في بعض الأحيان صفة الاطراد والتعميم .

ولم يكن الشريف العقيلي وحده الشاعر الممتاز في العصر الفاطمي ، فهناك مجموعة كبيرة من الشعراء المصريين لهذا العصر كتب فيهم العباد الأصهباني مجلداً ضخماً من خريدته . ودار الكتب المصرية نسخة من هذا المخطوط في حاجة إلى أن تدرس درساً يصورها ، أو بعبارة أدق يصور لوحة الشعر الفاطمي وما بها من خطوط وألوان وما نثر الشعراء فيها من ظلال وأصواء .

ولم تصور الخريدة كل ما تركته مصر الفاطمية ، إنما صورت المائة الأخيرة من

هو شاعر من شعراء الطبيعة الذين خلفوا لنا تراثاً طريفاً في هذا الباب من أبواب الشعر العربي . وهو ليس من شعراء مصر الحديثة ، وإنما هو من شعراء مصر الفاطمية ، وهو الشريف العقيلي . كان في المائة الرابعة للهجرة وعاش دهرأ في المائة الخامسة . وهو من بيت عقيل بن أبي طالب ، وإليه ينسب . وكان — على ما يروى الرواة — ثريا ثراء مفرطاً ، حتى قالوا إنه كان يملك متفرحات خاصة به في القسطنطينية . وقد جعله هذا الثراء في غنى عن خلفاء عصره وملوكه ووزرائه ، فلم يشتغل بخدمة سلطان ولا بمدح أحد .

شاعر يغني لنفسه ، وقلما نجد في العربية شاعراً من هذا الضرب الذي ينظم لنفسه ويفنيها ، دون عناية بمن حوله أو بمن فوقه . بل إن كبار الشعراء الذين نقرأهم ونردد أسماءهم ونعني بحشهم ودرسهم أكثرهم من هؤلاء الذين كانوا يلزسون أبواب الخلفاء والأمراء والوزراء يصوغون الشعر في مدحهم ويحزنون لهم من أجل ذلك في العطاء .

لم يكن الشريف العقيلي يتكسب بشعره ، ولم يكن يطلب به عرضاً من أعراض الدنيا الزائلة ، إنما كان يطلب به التنفيس عما

الطبيعة بل إلى الخمر وكثوسها ، وكأنه كان يريد للناس أن يعبوا ما شاءوا من كثوس الخمر فإن تركوها فالى كثوس الطبيعة . وهكذا كان يرى أن الحياة تأتلف من الطبيعة والخمر ، وأن من لم ينعم بالنوعين من الخمر حق عليه ألا يسلك نفسه في الأحياء والحياة . وما الحياة بدون طبيعة وخمر في رأيهِ ؟ إنها تصبح شقاء خالصاً .

وهذا المزج من المزج بين الخمر والطبيعة عند الشريف جعل لشعره صورة خاصة ، صورة فيها نشوة وفرح ومسرة . ويساق ذلك كله في شعور غريب هو شعور الانطلاق بعد الحبس . فالشاعر يفرح أمام مناظر الطبيعة ومشاهدها فرحاً غريباً ، هو فرح الأسير يتنفس تسميح الحرية بعد طول العذاب .

وقد كان بعض النقاد يشك في أن العرب تركوا شعر طبيعة على نحو ما هو معروف عن شعراء أوروبا في أوائل القرن التاسع عشر . غير أننا لا نقرأ في الشريف حتى نحس أن العرب تكامل لهم من بعض الوجوه الشعور بالطبيعة شعوراً فيه تدفق وإيمان بها وحب لها ، حتى يشبه هذا الحب — أو يكاد — حب المتصوفة .

وإذا كان المتصوفة يعبرون عن حبهم بغزل وخمر ، فإن الشريف أيضاً يعبر عن حبه للطبيعة بغزل فيها وخمر . أما غزله فيتراعى في قننته بمناظر الطبيعة قننة تجعلنا نشعر أنه يهتز أمامها اهتزازاً يعم كيانه كله ، حتى لنحس أنه ينتفض بين أزهارها وأشجارها وبركها وجداولها ومياهها كما تنتفض العصفور بالله القطر . وأما خمره فيتراعى في كل مكان من شعره إذ يدعو إليها دائماً في حماسة يالفة . واستمع إليه يقول :

اشرب على وجه أرض

طبا من الماء خد

هذا العصر ، على حين صورت اليتيمة للتمالي الثمانين الأولى . ثم جاء كتاب المغرب لابن سعيد فأضاف إلى الصورتين طرائف جديدة . ومن تلك الطرائف صفح بدیعة من شعر الطبيعة ساقها للشريف العقيلي . ونحن لأنكاد نلم بهذه الصفح ، حتى نحس أننا ندخل عالماً جديداً ، وهو عالم كله بهجة ومسرة ، وإنه ليقرب في بعض جوانبه من عالم المتصوفة . ولكن لا تظن أنه عالم متصوفة حقا ؛ فهو عالم من نوع آخر ، عالم لا يتحدث فيه الشاعر عما وراء الطبيعة ، وإنما يتحدث عن الطبيعة نفسها . ولكن لا نسترسل في قراءة هذا الحديث حتى نغمزنا نشوة من الفرح تشبه نشوتنا حين نقرأ شعر المتصوفة . ولعل مرجع ذلك أن الشريف كان مقتوناً بالطبيعة قننة كادت تكون عبادة . ومن هنا كنا نحس الشبه بينه وبين المتصوفة ؛ فشعره قننة وعبادة ، بل قناء أيضاً . فهو يغنى في الطبيعة وبماهجها ، وهو يستغرق فيها استغراقاً كأنه استغرق المتصوفة في محبوبهم . ليس الشريف العقيلي متصوفاً بالمعنى الذي نألفه للمتصوف ، إلا إذا أوسعنا هذا المعنى وجعلناه يشمل كل قناء في المحبوب واستغراق فيه . ومن غير شك كان الشريف محبا للطبيعة محبة قلما تصادفنا عند شعراء العربية ؛ فهم في أغلب الأمر حسيون قلما تجاوزوا ما وراء الظاهر في الطبيعة ، وقلما شغفوا بها هذا الشغف الذي نغمز عند هذا الشاعر المصري الذي كانت تروعه مناظر مصر في العصر الفاطمي روعة بالغة ، فإذا هو ينادى بأعلى صوته في الناس من حوله أن ينكبوا على متع الطبيعة ومقاتنها ، وأن يأخذوا بأكبر حظ من هذه المتع والمقاتن . وقد كان يقرن هذه الدعوة الحارة بدعوة أخرى ولكن لا إلى

لم تلقه الريح سبطاً
إلا اثنتى وهو جعد
ويقول :

فهاه زواهر إلکسات ملأى
إلى الحافات بالذهب المذاب
فكبر الجو يوقد نار برق
إذا تهمت تدخن بالضباب
ويقول :

السحب توضع من ثبات الأرض ما
جعل الريح لها الغصون مهودا
والراح قد نظم المزاج لجيدها
در الحباب قلائدا وعقودا
ويقول :

أمهات الثمار بين الروابي
تأنهات بلبس خضر الشياح
وبنات الكروم تجلى بما قد
صاغه الماء من عقود الحباب
فاله ما دام للشقيق خلق
تنثر السحب فيه مسك ضباب
ويقول :

البرق طرز والغمام ستائر
والقاش درج والنبات جواهر
فاشرب عليه واسقنى من قبل أن
يطوى من الدياج ما هو ناشر
يكر إذا شجعت رأيت لوجهها
عرقاً يكله جبين زاهر
ويقول :

الغيم ممدود السزادق
والزهر مفروش النارق
والقاش قد نقشت لنا
منه المجالس والمرافق

أشجاره ومساره
مثل الترائب والمخائق
قد غشت الأطياف في
طرقاته كل الطرائق
فاعتق قؤادك فيه من
رق الموم بشرب عاتق
فالأفحسان عسوه
بيض النواصي والمفارق
ومراود الأمطار قد
كحلت بها حدق الحدائق

وواضح في كل هذه القطع أن الشريف
العقيلي يمزج بين الطبيعة والحجر ، فهو يعب
من الحجر ما يعب ، ثم يتقلب إلى الطبيعة
فيعب منها أيضاً ما يعب ، وهو دائماً
يتقلب بين هذين الضربين من كؤوس
الحجر .

وهذه الصورة من المزج بين الطبيعة
والحجر أو قل الدعوة إلى الطبيعة والحجر هي
التي تميز شعر الشريف العقيلي . فغيره من
الشعراء لم يحرّيات ، ولكن قلما قرأنا في
تحرّياتهم دعوة إلى الطبيعة . وغيره من
الشعراء لم شعر طبيعة ولكن قلما قرأنا في
شعر الطبيعة عندهم دعوة إلى الحجر .

ولعل هذا أهم فارق بين الشريف وغيره
من شعراء الطبيعة الذين عاصروه أو سبقوه .
فعنده لا فرق بين الطبيعة والحجر ، ونحن نجد
عند شعراء الشام في القرن الرابع حديثاً عن
الحجر أثناء نزول الثلج وفي بعض الرياض ،
ولكننا لا نجد عندهم هذه الرغبة الشديدة
في المتعة بالطبيعة ، حتى يحاول الشاعر أن
يفنى فيها فناء كما يفنى هو وكما يفنى غيره
في الحجر .

وهذا هو الشيء الطريف في شعر الطبيعة
عند الشريف ؛ إذ تراه غارقاً في مباحج
الطبيعة يريد أن يرمى نفسه على صدرها

خلق هذه الوجوه والشخوص مقدرة ممتازة
على التجسيم والتشخيص والتجسيد ،
والتجميع والحشد والتركيز . واستمع إليه
يقول :

انظر فقد صار نعام الربى
من نعم السحب طواويسا

وليس من ريب في أن هذه صورة بديعة ،
وهي تدل على ريشة فنان حقا ، فنان يعرف
كيف يحسم ويصمد ، وكيف يجمع ويركز
ويحشد . فالربى تتحول في تخيلته إلى نعام
أبيض أو أسود ، وتنزل السحب ويغم المطر
السكون من حوله ، فينظر وإذا نعام الربى
تجبرى في ريشه وأجنحته خطوط زاهية غريبة ،
وما هي إلا هنيئات حتى يتحول هذا النعام
في مظهره ويغيره فإذا هو طواويس يفرق
البصر في ألوانها وأصباغها البراقة الزاهية .
وعلى هذا النحو كان الشريف يعرف
كيف يرسم مناظر الطبيعة ، وكانت تسعفه
في ذلك « كامرا » عجيبة أو تخيلة غريبة
قاذا المناظر الواسعة ما تزال تتجمع وتتركز ،
وما تزال تتحول تحولا يلعب فيه الخيال
والوهم . واستمع إليه يقول في مطلع الربيع :

قد بيضت قبة السماء
وزوقت قاعة الفضاء

فهو يتمثل السماء ذات السحب البيضاء
وقد امتدت أطناها على الأفق من كل جانب ،
يتمثلها بقبة بيضت . أما الربيع بأزهاره
وأنواره فيتمثلها قاعة عبقرة متألقة قد تفتت
ونمتت ، وهو يدعو من حوله أن يتلصوا في
هذه القاعة تحت تلك القبة ويتمتعوا بما بهم
الربيع وصوره ، وما زين وزخرف .

وفي كل مكان من شعر الشريف نجد هذه
الصور الغريبة التي تدل حقا على شاعرية
متأصلة فيه ، كما تدل على شعور طامع

وفي أحضانها حتى يشعر بالتنازع الحقيقي في
الحياة . وأي متاع أجل من متاع الطبيعة
ومتاع الربيع يشوع خاص ، وإن الإنسان
ليحس عنده حينما تفتتح أنوار الربيع كأنما
انطلقت أبواق من كل جهة تصيح في أذنه
أن يأخذ بتصبيبه من هذا السرور الذي
تنثره الطبيعة من حوله .

ويلي الشريف هذا النداء ، ويخرج من
عالمه إلى هذا العالم الجديد عالم الطبيعة
يستقي من منابعه فتجري في عروقه نشوة
غريبة لا تلبث أن تجعله يصبح فيمن من
حوله أن يتركوا عالمهم وينطلقوا معه في
هذا العالم الجديد لينعموا بكل ما فيه من
مفاتيح ومباهج . وإنه ليصبح في رقة ولطفة
وحنو ، وهي مشاعر تتوارد عليه مع حلالة
أنفاس الحقول ، فيحس برغبة تدفعه دفعا
إلى أن يأخذ بمحله من كؤوس الخمر ،
فالحياة من حوله تهر خالصة .

وليس كل ما يجده عند الشريف إغراء
بالطبيعة ومسراتها ؛ فنحن نجد عنده إغراء
بالفن والشعر والمتاع بهما متاعا لا يقل عن
المتاع بالأصل وما فيه من فتنة . ومن هنا
كان شعره يرتفع إلى الآفاق العليا من الشعر
الذي يتدفق بالاحساس والشعور كما يتدفق
بالفن وصوره .

ولعل أهم ما يميز صور الفن عند الشريف
أنها صور حية ، فهي تفيض بالحركة كما
تفيض بالبهجة ؛ فقد دمجها شاعر كان صبا
بحب الطبيعة ، وكان يجد في كل خفقة من
خفقاتها وكل همسة من همساتها حلما غريباً
ما يلبث أن يخرجها في شبح من أشباحه أو
صورة من صوره التي لا تقنى والتي ما تزال
تتجدد أمامنا حتى لكاننا في دار من دور
الصور المتحركة قدأما نرى أشكالا جديدة
من شخوص ووجوه ، وهي وجوه وشخوص
كلها ضاحكة مستبشرة . وكان يسعفه في

طراز خاص ، وهو طراز قلما تصادفه في العربية ؛ لأن أكثر الشعراء عندنا يشغلون عن شعورهم وعن الطبيعة من حولهم بمدح الملوك والأمراء والوزراء . أما الشريف فانه لم يكن يعنى بمدح أحد ، إنما كان يعنى بنفسه والتعبير عن شعوره بحمال الطبيعة من حوله ، لا يستلهم في ذلك شيئاً سوى حب صادق للطبيعة . والغريب أن حبه لها ساقه إلى حب الخمر ، فالخمر والطبيعة في رأيه شيء واحد . إنه يجد في كؤوس الطبيعة ما يجده في كؤوس الخمر ، بل لعل نشوته بالطبيعة كانت أعين وأبعد غوراً من نشوته بالخمر . وكان لا يفسى النشوتين جميعاً حتى في غزله . واسمعه يقول :

قامت قيامة روحها لرواحي
إن النوى لقيامة الأرواح
فبكت فصار الدمع في وجناها
مثل الحباب على كؤوس الراح
فكان صفحة وجهها لما بكت
روض يرصع ورده بأناحي

وقرار هذه الأبيات الروض وما يرصع من أنوار وأزهار ، وهو القرار العام لشعره ؛ فهو شاعر الرياض ومباهجها ، أو قل الطبيعة ومفاتها ، وقد ظل طوال حياته يتغنى بها وبألوانها وأصباغها ، فقد كان يحيا لها ، مغتوراً بها ، وزاده حيا وقتنة أنه كان من ذوي العيون الشاعرة التي تتحرك أمامها في الطبيعة أشباح وأشخاص لا تحصى ، ورؤى وأحلام لا تقنى ، وقد ذهب يثبت في شعره ما رأى من هذه الرؤى والأحلام ، وتلك الأشباح والأشخاص ، وشفع ذلك بكل ما استطاع من تمثيل وتصوير وتلوين وتظليل .

ترقى ضيف

بالطبيعة ومحبة لا توصف بمفاتها . وأكبر الظن أننا لا نبعد حين نزع أن الشريف يعتبر في الرعي الأول من شعراء الطبيعة عندنا ، إذا كنا نريد بشعر الطبيعة معناه الصحيح من اندماج الشاعر في الطبيعة اندماجاً يفسيه نفسه ، فإذا هو مسحور بمشاهدها ومناظرها سحراً ما يزال ينفث في عقده ما يرى من بدائع الكون وروائعه . وهذا هو الشيء الطريف حقاً عند الشريف العقيلي ؛ فهو مسحور بالطبيعة سحراً لا ينتهى ، وهو يقف من حين إلى حين أثناء هذا السحر ، فيصف بعض ما يرى ويشاهد . وإنه ليرى ويشاهد غرائب وعجائب من مثل طفل الصباح الذى رآه يحبو بين « دايات » الرياح :

قد حبا طفل الصباح
بين دايات الرياح

ويمس الانسان عند الشريف دائماً كان صور الطبيعة وأشباحها لا تحصى . وقد كان يرقده في ذلك مدد واسع من خيال خصب ، كما كان يرقده مدد واسع من شعور مرهف . والانسان لا يطيل النظر فيه حتى يتنى أن لو كان له مثل ذلك الخيال وذلك الشعور . وانظر إليه يقول :

وروضة كالجنة الخضراء
غارقة ببركة حسناء
قد لبست عقد طيور الماء
ليس انسماء ألحم الجوزاء

ولا شك في أن هذا العقد الذى صوره أو قل نظمته حول جنة البركة عقد بديع ، ولعل فيه آية أخرى على ما وصفنا به الشاعر من المقدرة على الحشد والتركيز . والحق أن الشريف العقيلي شاعر من

من وراء البحار

تأثير العامل الجغرافي في روسيا

استطاعوا في حى الغابات أن يتجمعوا .
وفي حوالى سنة ١٤٨٢ ألفوا منهم اتحاداً ،
وانتخبوا أميراً مسكياً قيصراً على جميع
الروس ، وأخذوا يطرئون البيوت الأوربية
وجوع التتار من المساحات التى تكتنفها
الغابات .

فلما أن زاد عددهم وقوتهم أخذوا
يتحركون نحو الأراضى المنبسطة حيث المراعى
والزراعة ، وبذلك دفعوا بالتتاريين
والبولوتيين إلى الغرب ، إلى أن وقفهم
الدول الغربية القوية التى كانت قد تألفت .
ولكن دولة التتار كانت قد أصابها الضعف
فى القرن السادس عشر ، فانتسعت رقعة
الروس شرقاً وشمالاً وجنوباً إلى أن شملت
أودية أنهر الدنيبر والدون والفولجا وفروع
هذه الأنهر .

على أن الاتساع نحو الشمال لم يلبث أن
وقف حين وصل الروس إلى المنطقة المتجمدة
حيث لا يجذون إلا موسماً قصيراً لصيد
الأسماك ، وحيث تصعب الملاحة مع تجمد
الأنهار . وقد وجدوا فى الجنوب قوة من
البولوتيين والتتاريين الذين كانوا يحسبون
ما يعرف الآن بأوكرانيا ، كما كانت جبال
القوقاز واقعة فى أيدي الأتراك والفرس .
أما التتار فكانوا على ما أصابهم من ضعف
يشغلون أراضى نهر الفولجا فى أسفله .
فكان أضعف مكان فيما يحيط بهم هو الأودية
الممتدة إلى الشرق من نهر الفولجا فى أعلاه .
وعند ما سقطت قازان عاصمة التتار فى
أيدى الروس فى القرن السادس عشر ، لم
يلبث الروس أن وصلوا إلى خط جبال

يقول دافيدسون هاوستون فى مقال بمجلة
« ناشنال ريفيو » عدد نوفمبر : إن الأحوال
الطبيعية كان لها تأثير كبير فى تاريخ
الأمة الروسية كما كان لها شأن فى تاريخ جميع
الأمم . فالتنا إذا بحثنا أصل الأمة الروسية
وتتبعنا أثر امتدادها حتى صارت إمبراطورية
كبيرة ، وجدنا أنها تمت بسلسلة من
الاندفاعات كان تطورها اتباعاً لأغراض
سياسية ، ولكن اتجاهاتها خاضعة لاعتبارات
تتصل بطبيعة البلاد .

فتلك البطون من الجنس السلافي التى
تعرف باسم روسيا الكبرى وروسيا الصغرى
وروسيا البيضاء ، كانت تتألف قبل القرن
التاسع من عدة قبائل تسكن حوض نهر
الدنيبر . وكانت حياة هذه القبائل بدائية
وغير منظمة تقوم على صيد حيوانات الغاب
واستخراج الأسماك من مياه الأنهار . وكانت
عنده الأنهار هى الوسيلة الوحيدة للاتصال
والاتصال . وكانت تقوم بين هذه القبائل
حروب ومنافسات كما كانت تهاجمها القبائل
التي تجاورها . وأخذت هذه القبائل تتجمع
فتؤلف عدة إمارات . على أنه كانت تقيم
إلى الشمال منها وإلى الغرب قبائل أخرى
ذات نزعة حربية هى قبائل الاسكندناف
والبولوتيين والتتاريين والطوطون ،
وكانت هذه القبائل تقيم على أرض القبائل
السلافية وتستولى على أجزاء منها ، على
حين كانت القبائل السلافية تجمد ضعفاً فى
جنوبها من قبائل التتار التى استطاعت
بين ١٢٣٨-١٤٦٢ أن تسيطر على أراضى
الزعماء الروس فى الجنوب . ولكن الروس

ولم تأت سنة ١٩٠٤ حتى كانت منشوريا تحت حماية روسيا ، وكوريا تكاد تقع تحت الحماية كذلك . فهبت اليابان لاقتاذ نفسها من روسيا التي كانت تهدد استقلالها نفسه . وبعد أن انتصر اليابانيون صارت لهم السيطرة في منشوريا وكوريا مدة أربعين سنة . ولكن بعد هزيمة اليابان في الحرب الأخيرة أخذ النفوذ الروسى يعود إلى تلك الأعغاء . ويرى من ذلك أن الحدود الحالية للاتحاد السوفيتى كانت نتيجة أحوال جغرافية . ولتلق الآن نظرة على العوامل التي يتوقف عليها ثبات تلك الحدود .

فاذا نظرنا أولاً إلى الغرب وجدنا أن الاتساع الروسى كان نتيجة للمقاومة السياسية أكثر منه نتيجة لمقاومة جغرافية . وقد أدى انهيار الامبراطوريتين الألمانية والنسأوية إلى زيادة النفوذ الروسى . كما أن الشيوعية زادت من نفوذ الروسى ، شأنها في ذلك شأن العرب الذين زاد من نفوذهم اعتناق الأم للإسلام . ولقد بسط الاتحاد السوفيتى نفوذه الاقتصادى على الدول الصغرى المجاورة له . وفي ذلك فائدة كبيرة له فضلاً عن ضمان حربى . وبما يدل على رغبة الروس فى الوصول إلى الموانئ الواقعة على مياه حارة تأييدهم لليوغوسلافيين فى ادعاءاتهم الخاصة بتريستا ، وتشجيعهم للالبانيين فى النفوذ إلى مضيق كورفو ، وتأييدهم للبغايرين فى طلبهم لخروج إلى بحر إيجه ، واهتمامهم بإدارة المستعمرات الإيطالية السابقة فى شمال إفريقيا ، ورغبتهم المستمرة فى السيطرة على بوغازى الدردنيل والبوسفور ، وهى الرغبة التي تعكس صفو العلاقات بين الروس والأتراك .

واذا اتجهنا إلى آسيا الوسطى وجدنا الروس يهتمون اهتماماً شديداً بإيران حيث موارد البترول فى أذربيجان قد زادت قيمة

الأورال . ولم تأت سنة ١٩٩٣ حتى كان الروس قد وصلوا إلى شاطئ المحيط الهادى . على أنهم وجدوا مقاومة من حاسيات المنسوخ على نهر أمور . واضطر الروس إلى عقد معاهدة مع الصين ، على أن ينسحبوا إلى نهر أرجون . ومع ذلك استمروا فى التقدم إلى الشمال الشرقى حتى وصلوا شبه جزيرة كتشاتكا فى سنة ١٩٩٧ وعبروا بوغاز بيرنج واستولوا على ألاسكا فى القارة الأمريكية فى سنة ١٧٤١ . وظلت فى أيديهم تلك المنطقة إلى أن باعوها للولايات المتحدة فى سنة ١٨٦٧ قبل أن يكتشف الذهب بها .

وفى هذه الأثناء زالت سطوة التتار وضعت قوة البولونيين والتتوانيين ، واستولى الروس على الأوكرين وعلى شمال بحر قزوين . ولم يأت القرن السابع عشر حتى كانت روسيا دولة ذات قوة وبأس تستغل أراضى واسعة ، وكانت تعمل لإيجاد وسائل للتجارة . ولذلك انتقل بطرس الأكبر من موسكو إلى بطرسبرج لكي يجد نافذة تطل على أوروبا فى بحر البلطيق . وكان يود لو يجد متفذاً آخر للتجارة من البحر الأسود ، غير أن تركيا كانت مهيمنة على البوسفور والدردنيل . ومن هذا العهد أخذت روسيا تتطلع إلى إيجاد طريق لها فى هذا الاتجاه لكي تتفادى طرق أنهارها ومياهها الملحة التي لا تصلح طول السنة للملاحة لأنها تتجمد أحياناً .

ولقد استطاعت روسيا فى الشرق أن تتسع عند ما ضعفت الامبراطورية الصينية ، فاستولت على أراض كثيرة فى القرن التاسع عشر ، وبمكنت من إقامة ميناء فلاديفوستوك فى سنة ١٨٩٠ ، حيث أقامت حواجز تقي من الثلج ، فأمكن فتح هذا الميناء طوال السنة ، وأخذت تضغط على منشوريا .

أولاً : إن الحدود الواسعة التي هي — في الغرب صفة خاصة — معرضة للهجوم الخربي والتي يمكن في كل مكان اقتحامها بالأسلحة الحديثة مثل القلاع الطائرة والطائرات الصاروخية ، قد دفعت الروس إلى الحصول على أراض جديدة أو مناطق ، لحول دون إقامة العدو لقواعد حربية وصناعية . ولذلك كانت روسيا من غده الجهد مهتمه فنلند وبولونيا وسيكويسوف لنا واحمر ورومانيا وسنغوليا وميشوريا ولوربا واسان .

ثانياً : ان الحاجة للوصول إلى البحار الحارة تدفع روسيا دفعا شديدا . فقد دل التاريخ على أنه ما من أمة استطاعت أن تزيد من مواردها دون الاتصال البحري مع الأمم الأخرى . فالمحيطات من خير الوسائل للاتصال بين الأمم في حين أن الحدود الأرضية تفصل بينها . وروسيا من بين جميع الدول الكبرى سيئة الحظ من هذه الجهة . فأنهارها الكبيرة ، وهي من أطول أنهار العالم ، تتجمد أربعة شهور أو خمسة شهور في السنة ؛ على حين يكون بعضها قليل المياه في الصيف . ثم أنها تجري في اتجاهات خاطئة ، فبعضها يصب في المنجمد الشمالي وبعضها في البحر الأسود الشمل وبعضها في بحر قزوين الذي هو شبه البحيرة . لذلك نتظر من روسيا أن تكون دائمة الاهتمام بشبه جزيرة البلقان والبوغاز والخليج الفارسي ومنشوريا وشمال الصين وكوريا وربما كانت الهند كذلك ؛ إلا إذا تطور الطيران تطوراً كبيراً حتى يحل محل الطرق البحرية .

لدى الاقتصاد السوفيتي الذي زاد اتساعاً . كما أن إنشاء السكة الحديدية في إيران قد زاد في تحسين الاتصال بين جهات بحر قزوين وألبه احاره في حبيح لمارسى . ولقد اتخذت روسيا من الأفليب الأذربيجانية والارمنيه وارس كيد في نهك اجهت ، فصلا من الدعية الشيوعية ، وسيله تزويد من نفوذها في إيران ، لولا وجود النفوذ البريطاني وموقف هيئة الأمم المتحدة أخيراً . ولا تعتبر الحدود المتاخمة للافغانين ثاسد لأمرين : أولاً أنه يفصل بينهما نهر والأنهر ليست حدوداً طبيعية جيدة ، لأن الناس يميلون إلى التكاثر والتكتل على جوانب الأنهر . وثانياً لأن القبائل الساكنة في شمال الأفغان من الأزبك والصاحت فرسه لشعوب السوفيت وليست قريبه في جنسها إلى أهل كابول .

وإذا انتقلنا إلى الشرق وجدنا أن نفوذ الروس في منغوليا صار عظيماً بعد انهيار النفوذ الياباني . وكذلك زاد نفوذهم في منشوريا ، وإن كانوا قد سلموها للحكومة الصينية ، ولكن أعوانهم من الصينيين الشيوعيين قد استطاعوا أن يملأوا هذا الفراغ .

ولم تبق موانع طبيعية تحول دون امتداد نفوذ السوفيت في بلاد الصين . أما كوريا التي كانت خاضعة لليابانيين فإنها منذ سنة ١٩٤٥ انقسمت إلى قسمين : أحدهما يحتله الأمريكيون ، والآخر يحتله الروس والحد بينهما صناعي .

ويمكن تلخيص العوامل الجغرافية التي تسيطر على السياسة الروسية فيما يأتي :

فرنسا وسياستها بعد الحرب

وكان لا يزال بالمدينة عدد من جنود الأعداء وهم جميعاً من الروس الذين التحقوا بخدمة ألمانيا ، فوقفوا السيارة ورأوا أحد ركبها واضعاً شارة حركة المقاومة ، فاتهموا عليه بالضرب حتى قتل . وأصيب كاسو بضربة في رأسه فأغمى عليه وترك بين الحياة والموت . ثم طلب كاسو ترك الحديث في هذا الموضوع ، واتجه يشرح رأيه في حالة فرنسا قائلاً :

« قد تدهش لحالة فرنسا ولكن دعني أفسر . فمما لأشك فيه أن هنالك قطيعة بين فرنسا وحكومة ديغول ، وأن العلاقة بينهما هي مأساة . وتتخذ حكومة ديغول في معاملتها للشعب الفرنسي هيئة المعلم حين يرى تلاميذ أشقياء »

وقال : قد يفهم الانجليز أن هنالك حركة اندفاعية من جميع الطبقات ترغب في التجديد وليست هذه الحركة مساورة شيوعية أو ما يشابهها .

الواقع أنه تأسست تحت حكم الألمان الأداة الادارية لاستقلال المناطق بأسورها وهي أداة قوية . لذلك أرادت هيئة المقاومة بعد تحرير البلاد أن تستفيد من الفرصة السانحة فتصلح من الأمور وتبذلها بما يشبه أن يكون ثورة ، حتى لا يكون التحرير مجرد رحيل للألمان . وكان أقل ما ينتظر ألا يعود نظام الجمهورية الثالثة من جديد ؛ وهذا أدنى ما يجب أن ينتظر بعد حركة التحرير .

ولقد كانت حركة المقاومة تضم جميع العناصر من سائر الأحزاب ، فكان من الطبيعي أن يؤمل فيها القضاء على الأحزاب القديمة . وسأله محادثه الانجليزي عن اعترافه في

تنشر مجلة القرن التاسع عشر وما بعده عدة أحاديث أجراها الكاتب سيبان مع بعض الزعماء والكتاب المشهورين في فرنسا . وقد نشرت المجلة في عدد نوفمبر أحد هذه الأحاديث . وستوالى نشر بعضها ، وستصدر الأحاديث جميعاً في كتاب قريباً يصدره سيبان عن حركة التحرير .

قابل الكاتب سيبان الزعيم الفرنسي والأديب المعروف جان كاسو في مارس سنة ١٩٤٥ . وكان كاسو من زعماء حركة المقاومة الفرنسية للاحتلال الألماني . وكان يعمل مفتشاً لهذه الحركة في المنطقة الجنوبية من فرنسا . ونظم أول حركة خفية كانت تتصل بلندن لاستقبال الرجال الذين ينزلون بالمظلات . وقبضت عليه حكومة فيشي بعد اكتشاف مستودع كبير للأسلحة بمدينة تولوز ، كان مليئاً بالديناميت والمسدسات . وفي السجن ألف مجموعة من الأناسيد . وانتخب في سنة ١٩٤٦ رئيساً للجنة الوطنية للمؤلفين . وهو الآن مدير لمتحف الفنون الحديثة بباريس ويتولى رئاسة تحرير مجلة أوروبا .

يقول سيبان إن كاسو رجل لا يعرف الالتواء في عباراته ، وقد أتى عند ما قابلته بزجاجة من الكونياك وأخذ يفرغ ما فيها لنفسه وللضيف . وهو يسكن داراً كبيرة في ضواحي تولوز مع زوجته التي تعد من خير العازقات على البيانو .

ابتدأ سيبان الحديث بأن سأله عن الجرح الذي أصابه في رأسه ولم يكده يشفى منه . فقال ضاحكاً : إنه أصيب به حينما كان يقود سيارته قبيل تحرير مدينة تولوز ، وقد جازف إذ وضع عليها الراية الفرنسية المثلثة الألوان ،

أو عن أنه قصيد في الليلة السابقة أحد
الخواير .

وفوق هذه الأمور يجب ألا ننسى الهدنة .
ولم نعد نستطيع منذ سنة ١٩٤٠ أن نلوم
أحداً . فقد شعر الفرنسيون بأن امرهم
كانت منقطة . ومثل هذه الهزيمة هي أخطر
الهزائم في التاريخ وقد جادت على أثرها
أربع سنوات قضيت في حمة العار .

فسأله الكاتب الإنجليزي أهو يرغب في
المحاربة الشيوعية؟ فقال له جان كاسو : إنه
يرى فيما يتعلق بالشيوعيين ألا تثير حركة
المقاومة شقاقاً معهم ؟ فإن هؤلاء الشيوعيين
قد بذلوا في الحرب مجهوداً كبيراً وسياستهم
هي عظمة فرنسا . ثم قال : إن المحافظين في
فرنسا يمتنعون عن المحافظين في إنجلترا .
فالأولون رجعيون لا يعملون للتقدم على
حين لا يتحرج الآخرون في إنجلترا في قبول
أنتم حديثه .

وصرح دسوميه بتعجبنا من أن
الأحد معمود على أن نستر- إسبانيا
وإيطاليا حريتهما ، فتكونا أساساً لتجدد
القرب . وعند ما سئل وماذا يكون من
شان الروس؟ قال : إنهم مشغولون بالبلقان .
ولذلك فإن إيجاد جماعه : بمقاطعة غربية
تسير بالثورة حسب غرضها لا حسب
قواعد مرسومة قد يكون يسيراً . وسنكون
أسبقاً بحكم مثل هذه السياسة . ولعل إنجلترا
تؤيد مثل هذه الحركة الديمقراطية .

أثناء الحديث بأن حركة المقاومة كانت
تتألف من الأقلية ، فأجاب كاسو : أجل !
ولذلك وجدت الحركة صعباً عند ما أرادت
أن تتولى السلطة ؛ إذ كان يقصها تأييد
الجماهير . ولقد ارتكبت الحركة بعض
الأخطاء بأن اتبعت بعض الطرق غير
النظامية بعد التحرير ، وهي طرق كانت
وافية بالغرض قبله . وكان الواجب على
حركة المقاومة أن تعمل لاسترضاء الجماهير ،
وكان من نتيجة ذلك أن أخذت الحزبية
القديمه تتجمع .

قال الكاتب الإنجليزي : إن الإنجليزي
لا يفهمون حركة التطهير . فقال كاسو :
لقد ظلت فرنسا أربع سنوات خاضعة للخيانة
والأكاذيب من صلب أذى من ذلك .
فقبل هذه المدة كانت هنالك الحبسة وأسبانيا
وموتش . وقد غلبت فرنسا في أعز شيء
لديها ؛ وليست فرنسا بممسحة للآقدام .
ولقد شهدت الألمان وهم يسودونها بسبب
التعاون الداخلي من رجال فرنسيين . وفيما
يتعلق بالصحافة التي يدهش الأجانب
لشعور الوطنيين بالعداء نحوها ، كانت هذه
الصحافة قد سممت الرأي العام . وكان
الكاتب موراس ذو النزعة الملكية
وأمثاله يسيطرون على رجال السياسة .
وأؤكد لك أن رجالاً مثل بوانكاريه كان
يتصنع في سرعة جريدة أكسيون فرانسيز
في الصباح ليرى ماذا تقول عن زوجته

أنطون الجميل

كان حصاً فادحاً ذلك الذي ألم بالأدب العربي والسياسة الشرقية والصحافة المصرية ، حين توفى المفور له أنطون اجميل باشا ، رئيس تحرير « الأهرام » في الثالث عشر من شهر يناير .

وقد كانت وفاته فجاءة غير منتظرة ؛ إذ كان الفقيد عسيرة اليوم الذي توفى فيه كأحسن ما يكون الانسان صحة ، وكأقوى ما يكون قوة ، وأكمل ما يكون نشاطا .

فقد شهد جلسة المؤتمر بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وعمل في « الأهرام » كما تعود أن يعمل إلى أن قرب الليل ثلثه ، وعاد إلى داره فاذا الموت ينتظره فيها .

وكان أنطون باشا اجميل أديباً مترف الأدب رفيع الفن صافي الذوق مرهف الطبع .

ظهر ذلك في شبابه حين أصدر مجلة « الزهور » واتصل ذلك في حياته كلها . فكان أروى الناس لبيت جيد واحفظهم لفنص رائع كما كان أرقهم منطقاً وأعذبهم حديثاً .

وقد عمل في مناصب الدولة ؛ فكان نموذجاً للموظف المثقن لعمله في أمانه وحنق وفتنة . ثم ترك مناصب الحكومة وتولى رئاسة تحرير « الأهرام » فكان مثالا لصحفي البارع الفطن والسياسي الماهر اللبي فقد « بالأهرام » في رشاقة أى رشاقة من أشد المواقف السياسية في مصر والشرق دقة وجرحا . وعين في مجلس الشيوخ ، فكان برلمانيا ماهرا لبقا موفقا بين اخصمين مؤلفا بين اخصفين . وعين في مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فكان اهناسمه منصبه في جوه الذي يأخذه الجبد من جميع أقطاره . وكان فيه كما كان في مجلس الشيوخ موفقا حين يكون الاختلاف ورفقا حين تشد اخصومة . وكان مكتبه في « الأهرام » ناديا سياسيا أديبا من أحفل الأندبه في الشرق العربي وأبعدها أثرا في الحياة العامدة والخاصة وكان على هذا كله رفيقا بالنسب عطوفا عليهم موبها هم . وكان أوى الناس لصديق وأحط الناس لسر وأحسنهم محضرا وآمنهم على غيب . فليس غريبا أن تكون المصيبة فيه عامة والمحنة به شاملة ، وأن يأسى لفقده أصحاب الأدب والسياسة والصحافة في مصر والشرق العربي ، بل العالم الاسلامي كله وبيئات كثيرة من بيئات الأدب والصحافة في الغرب .

أحسن الله عزاءنا عن فقده وألمنا جميل الصبر على مصيبتنا فيه .

ظهر حديثاً

كتاب النجوم، للجامع حقن نضه وعلق عليه الأستاذ طه الحاجرى ٤٦٥ + ٥١
صفحة من القطع الكبير (دار الكاتب المصرى)

وعقولنا ، ونقلنا إلى عالم من روعة الفن ،
مباعد أشد المباعدة لذلك العالم البائس
الذى كنا نعدس فيه .

ولست أخفى أنى حين تلقيت كتاب الأستاذ
وليم مارسيه ، وقرأت مسخظه على الطبعة
المصرية وأصحابها ، استجاب له عقلى ، ولم
يستجب له قلبى . فقد كنت مديناً للحاج
محمد الساسى رحمه الله بفضل عظيم ، فهو
الذى أتاح لى ولأمشالى أن تقرأ البخله
والحيوان ، كما أتاح لى ولأمشالى أن تقرأ
كتاب الأغاني ، بعد أن نفذت طبعته الأولى
أو ارتفع ثمنها حتى أصبح التطلع إليها لا
يلامح قرر الأزهرين .

وكنّا فى ذلك الوقت نتكلف أعظم المشقة
وأشدّ الجهد ، لنشترك فى كتاب الأغاني
أو كتاب الحيوان ، نؤدى هذا الاشتراك
فى كل شهر قروشاً لا تبلغ العشرة ، ونأخذ
بين حين وحين جزءاً من أدب الجاحظ أو
من أدب أبى الفرج ، فنفرق فيه وننعم به ،
ونملىء قلوبنا مسخطاً على حياتنا التى كنا
نحياها ، وعلى علمنا الذى كنا نتلقاه من
شيوخنا الأجله .

ولم نكن نحفل بالأصل الذى نقلت عنه
هذه الكتب ، ولا بالجهد الذى تكلفه
الناشرون ، ولا بالنص الذى كان يقدم إلينا ،
وإنما كنا جياحاً نريد أن ناكل ، وطمعاً نريد
أن نشرب ، وجهالاً نريد أن نتعلم . وكان
أيسر ما يقدم إلينا لارضاء هذه الحاجات يقع

منذ أعوام طويلة كتب إلى شيخ
المستشرقين القرنسيين ، الأستاذ وليم مارسيه ،
يود لو أن عالماً مصرياً تجرد للنشر كتاب
البخله للجاحظ نشره علمياً محققاً يبرى
نضه من الأغلاط التى لم يستطع ناشره
المستشرق فان قلوبنا أن يبرئه منها .

وأرسل إلى فى الوقت نفسه ، ثبناً بطائفة من
هذه الأغلاط التى استخرجها حين قرأ هذا
النص ، وعاب على المصريين أنهم يتركون
كتب الأدب والعلم نهياً للناشرين المتجربين
الذين لا يراعون فى نشرها أمانة ولا
إخلاصاً ، بل لا يراعون فى نشرها تحرجاً من
السطو والعدوان . فقد نشر كتاب البخله
فى مصر ، كما نشر غيره من الكتب فيها وفى
بلاد الشرق العربى ، قلاعاً عن الطبعة
الأوربية ، دون ذكرها أو إشارة إليها أو
تحريراً بقتها ، فكانت الطبعة المصرية شيئاً
يشبه أن يكون عاراً لحق المثقفين المصريين
جميعاً ، لأنها سرقت من الطبعة الأوربية ،
واحتفظت بما فيها من الأغلاط والتحريف ،
وأضافت إليها أغلاطاً أخرى ، وألواناً من
التحريف جاءت من أن التصحيح كان تجارياً
خالصاً ، كما كان النشر تجارياً خالصاً . ومع
ذلك فقد نعمنا فى آخر الصبا وأول الشباب
بهذه الطبعة السروقة المشوهة ، ووجدنا فيها
متاعاً أى متاع . اشتريناها بقروش قليلة
كنا تراها فى ذلك الوقت كثيرة . فلم نكد
نقرأ منها صفحات حتى ملكت علينا نفوسنا

والأستاذ طه الحاجري مفتون بالجاحظ قد وقف عليه أعظم جهده منذ تخرج في كلية الآداب بجامعة فؤاد . فهو قد اتخذ كتاب البخلاء موضوعاً لرسالته التي نال بها درجة الماجستير . وهو قد شارك المرحوم الأستاذ كراوس في لشرطائفة من رسائل الجاحظ لم تر النور قبل أن ينشرها . وهو قد نشر في هذه المجلة شيئاً من آثار الجاحظ ، لم يكن معروفاً قبل أن ينشره فيها . وهو بعد هذا كله قد فرغ للجاحظ فراغاً يوشك أن يكون تاماً منذ سنين ، فاستقصى ما استطاع أن يصل إليه من آثاره ودرسها ، وتقدم بنتيجة هذا الدرس والاستقصاء ، إلى كلية الآداب ، لينال بها درجة الدكتوراه . وطبعته هذه لكتاب البخلاء ، نتيجة من نتائج هذا التخصص في الجاحظ والتفرغ له ، وهي تقدم إلى قراء العربية ، من الشرقيين والمشرقيين ، آية من أروع آيات الأدب العربي ، كحسن ما يكون تقديم النصوص القديمة دقة وتعقلاً واستقصاءً وتحصيماً . فقد روجع النص كالحسن ما تكون المراجعة ، واستدركت أغلاط الطبعة الأوربية الأولى ، سواء منها ما كشفه الأستاذ وليم مارسيه ، وما لم يكشفه . وحقت أسماء الرجال والأطعمة والأدوات ، كما حققت نصوص الشعر التي جاءت في هذا الكتاب . ووفق الناشر إلى أن يكشف عن أشياء كثيرة ، تتصل بالأشخاص والأحداث ، كانت مجهولة قبل هذه الطبعة . وقدم بين يدي هذا كله ، بحثاً متقناً عن فن الجاحظ في أدبه كله ، وفي كتاب البخلاء خاصة ، وأتاح لي أن أكتب إلى الأستاذ وليم مارسيه بأن أملة في العلماء المصريين لم يجب ، وبأن ظنه فيهم لم يكذب ، وبأن أحدهم وهو الأستاذ طه الحاجري قد تجرد لكتاب البخلاء . فبرأه من خطأ والجحرف ، وحقق

من نفوسنا أحسن موقع . ويبلغ من قلوبنا أجل منازل الرضا . مثلنا في ذلك كمثل هؤلاء الجياع العراة الذين تزدحم بهم أرض مصر ، والذين لا يتلمسون لارضاء حاجاتهم إلى الغذاء والكساء ، طرائف ما ينعم به المترفون من ذلك . ثم تقدمت بنا السن وتطورت بنا الحياة ، ولقينا المشرقيين في الجامعة المصرية ، وأخذنا عن العلماء في الجامعات الأوربية ، وعرفنا أن لنشر الكتب القديمة أصولاً يجب أن ترعى ، وحقوقاً يجب أن تؤدى ، فرحنا الناشرين الذين قدسوا إلينا ما نعلمنا به من الأدب والعلم ، ورحمنا أنفسنا لأننا اكتفينا بما قدم إلينا ، وأخذناه كما هو في غير تحفظ ولا تحرج وفي غير نقد ولا تمحيص ، وحرصنا على أن نوجد جيلاً من الناشرين خيراً من ذلك الجيل ، وأجيالاً من القارئ خيراً من جيلنا ذلك . ولست أزعم أننا قد بلغنا من ذلك كل ما أردنا أو أكثر ما أردنا ، ولكن الشيء الحق هو أننا بلغنا من ذلك حظاً لا بأس به ، واستطعنا أن نتحدث إلى المشرقيين الأوربيين ، عن جهود يذلها الجيل الجديد من الناشرين للأدب القديم فيتاح له فيها كثير من التوفيق .

وقد تحدثت في غير هذا الموضوع عن شيء من هذه الجهود . وأظن أن كتاب البخلاء هذا ، أو أن هذه الطبعة الجديدة من كتاب البخلاء ، دليل صادق قاطع على ما أتيج لنا من النجح ، وعلى ما ظفر به شبابنا المثقفون الذين يعتون بلشر الأدب القديم من فوز أرجو أن يكون مقدمه لفوز آخر أعظم منه حظراً وأبعد منه أثراً . وأجدر منه أن يكفل لنا التفوق فيه يبعي أن تنمو فيه . فلأدب العربى القديم أدب نحن . ونحن أولى الناس بأن نحوطه ورعاه ونحبي آثاره على ما ينسب لنا من الدقة والاستقصاء والانتفاء .

لصه ، وشرح غامضه وبين مشكله ، وعرضه في أجل صورة ممكنة . وأتاح لي أن أرسل إلى الأستاذ ولیم مارسيه مع هذا الكتاب ، نسخة من هذه الطبعة ، يطعن إليها ويغيبط بها . وأتاح للباحث أن يحيا حياة جديدة جذرية به . وأتاح للذين يحبون أن يترجوا كتاب البخلاء ، أن يقبلوا على هذه الترجمة مطمئنين إلى أنهم يترجون نصا صحيحا . وأظن أن هذا كله يستحق أن نهدي إلى الأستاذ طه الحاجري شكراً جزيلاً وثناء جليلاً .

رسائل الصاحب بن عباد صححها وقدم لها الأستاذان عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف . ٢٩٠ صفحة من القطع المتوسط (دار الفكر العربي)

وكتاب البخلاء كنز لا يقدر ، نجد فيه ما شاء الله أن نجد من حياة المسلمين في العراق ، أثناء القرن الثالث . وهو إلى ذلك آية من آيات الأدب العربي كما قدمنا . على أن هناك كنزاً آخر لا يقدر ، من كنوز الأدب العربي ، قد أثاره وأهداه إلى الناس الأستاذان عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف ، وهو رسائل الصاحب بن عباد . وأي الناس لا يعرف الصاحب بن عباد ، ولا يشارك في إعجابه والاعجاب به ! فكل أديب عربي ينشأ على إكبار الصاحب ابن عباد والاعجاب به ! لأن مكانته في الأدب العربي مقررة منذ أواخر القرن الرابع للهجرة ، لا ينكرها أحد ولا يجادل فيها مجادل . ولكنك تسأل الأدباء عن مصدر هذا الامتياز الذي أتيح للصاحب ابن عباد ، وهذه المكانة المقررة التي فرضت له وارتفعت عن الخصومة والجidal حتى أصبحت من الأوليات ، فلا نجد عندهم جواباً ، لأن الأدباء لم يكونوا يعرفون الصاحب بن عباد إلا معرفة مقاربة ، يقرءون عنه في كتب الأدب ، ويرون ترجمته في كتب التراجم ، ويقرءون له هذا النص القصير أو ذاك هنا وهناك ، ثم لا يزيدون على ذلك شيئاً . وهم على ذلك يؤمنون له بالامتياز إيماناً تقليدياً متوارثاً ، وكذلك قال القدماء ، فيجب أن يقول المحدثون مثل ما قال القدماء . أما الآن فقد استطاع الأستاذان عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف ، أن يقدموا إلينا طرفاً صالحاً ، من أدب الصاحب بن عباد ، واستطعن نحن أن ندرس هذا الأدب دراسة تعمق وبحث واستقصاء ، وأن نكون لأنفسنا في هذا الأديب رأياً ، لا نرثه ولا نقلد فيه ، وإنما نستخرجه من درسا نحن ، ومن حكمنا نحن ، ومن علمنا نحن لا بما قيل قبلنا ، عن علم أو عن جهل ، وعن اجتهاد أو تقليد . وليس من شك في أن هذا وحده يكفي لتعريف للاستاذين بفضل عظيم ، أعظم جداً مما قدرا حين تجردا لنشر هذا الكتاب . ولكن رسائل الصاحب بن عباد لا تمتاز بأنها نماذج لأدب هذا الأديب الكبير لحسب ، وإنما تمتاز مع ذلك بأنها كنز من كنوز التاريخ ، ومن كنوز التاريخ ليستة لم يوفها التاريخ الإسلامي العام والخاص حقها من التتبع والتعمق والاستقصاء ، وهي ليستة البويهيين خارج بغداد . فهؤلاء البويهيون قد حكموا رقعة من الأرض الإسلامية في إيران عسراً طويلاً ، وحكموها في الوقت الذي كان الشعب الإيراني فيه يحاول أن يسترد من مقوماته الوطنية ما

النشر، ولم يستأنيا لعل البحث أن يتيح
لها نسخة أو تسعاً أخرى تعينهما على
المقابلة والموازنة والتحقيق . وهما على ذلك
قد بذلا ما أطا من الجهد لتحقيق النص
وتصحيحه ، واحتفظا باستئناف التصحيح
والتحقيق إن أتيت لهما مصادر أخرى
تمكنهما من استئناف التصحيح والتحقيق .
وما يلغى أن نلومهما على هذه العجلة التي
يلومان فيها أنفسهما ؛ فالتص الذي قدماه
إلينا واضح ناصع لا يظهر فيه اضطراب ولا
اختلاط . فنحن لا نتحفظ إلا حيث تحفظا ،
ونحن نرجو كل يرجو أن يكشف جدهما
المتصل وبجتهما العميق عما يرجعهما من كل
ما يشفقان منه .
ونحن بعد ذلك نشكر لهما جهدهما
الخصب ، وحسن غنائهما في خدمة الأدب
العربي والتاريخ الاسلامي .

طه حسين

فقد يحكم الفتح الاسلامي : يحاول أن
يستكمل سلطانه السياسي ، وأن ينشئ
لنفسه أدبه الايراني الذي يؤديه في لغة
ايرانية مستقلة .

وكان صاحب بن عباد من أكبر وزراء
هؤلاء البويهيين ؛ فهو قد شاركهم أعظم
المشاركة وأقواها في إنشاء هذا اللون
الجديد من هذه الحياة الايرانية الجديدة .
وهذه الرسائل التي نشرها الاستاذان
تصور أطرافاً كثيرة من حياة الدولة
البويهية ، ومن حياتها في إيران خاصة ، ومن
حياتها السياسية والادارية والعسكرية
والاجتماعية والأدبية بالطبع . وأكبر الظن
أن خطورة هذه الرسائل هي التي دعت
الأستاذين حين ظفروا بها إلى نشرها متعجلين
غير متمهلين . وهما ينشاننا في سذاجة
ساذجة وصراحة صريحة بأنهما تعجلا هذا

بقطة مصر الحديثة *The awakening of Modern Egypt* تأليف الأستاذ محمد

رفعت بك (محل لنجمانز Longmans بلندن)

قيمة باعتزاله العمل الحكومي وانقطاعه
للبحث والكتابة . وهذه آثاره ، وهذا
إنتاجه الذي تقرأه له في مجلة « الكاتب
المصري » وفي غيرها من المجلات والمصحف ،
يدل دلالة واضحة على ما خسرت الحركة
الفكرية في مصر في السنوات الطويلة التي
كان فيها الأستاذ رفعت بك في منصبه ،
وإن كان رفعت بك قد شغل المناصب التي
وكلت إليه بكفاية نادرة ، ولم يكن اسمه
قط نسكرة كما هي أسماء كثير من شاغلي
المناصب ، وإن كان قد أخرج كتباً ومباحث
أثناء عمله الحكومي .
ولكننا الآن نلمس نشاطه البادي في

كان الأستاذ محمد رفعت بك دائماً بالرغم
من أعماله الحكومية والمناصب الكثيرة
الشاغل التي تولاه في وزارة المعارف محتفظاً
بمقامه العلمي بين المؤرخين المصريين
البارزين . ولم تكن المناصب لتؤدي به ،
كما أدت بكثيرين ، إلى ترك البحث
والدراسة ، والاهتمام بمجرد المظاهر التي
هي في الواقع لا قيمة لها ، وإن ظن الناس
أن لها قيمة . فهو قد اختار لنفسه أن يحتفظ
بمكانته العلمية على أن ينساب في تيار
الأعمال الادارية . ولقد وجد أن ما فعله
كان خيراً وأجدي بعد أن تخلى عن هذه
الأعمال ، لأن مكانة الأستاذ رفعت بك زادت

تشعر بقوميتها المنفصلة عن الأتراك والمماليك
السيطرين على شؤونها .

فالحلقة الفرنسية هي التي مهدت للقومية
المصرية ، كما نراها متجلية في الفصل
الثاني من هذا الكتاب الذي وصف فيه
قدوم محمد علي ، وطريقة تولية الإمارة
برغبة لشعب المصري ، قبل أن يكون
برغبة السلطان والخليفة التركي .

وفي هذا الفصل قرأنا وصفاً بديعاً للحملة
الانجليزية التي أريد بها تثبيت أقدام الانجليز
في مصر ، بعد إخفاق الفرنسيين ، وكيف
قاوم محمد علي ، هذه الحملة ، وكيف ساعده
الشعب المصري حتى انتصر على المغيرين .
ثم ينتقل بنا المؤلف إلى حكم محمد علي إذ
توطد سلطانه على البلاد ، وما أخذ يقوم
به من اصلاحات ، وما بذله من جهد
للهيوض ببلاده ، حتى تصير في مصاف
الدول الأوربية المتحضرة ، وكيف تم ذلك
عن طريق الاهتمام بالجيش .

فاذا تم محمد علي إعداد جيش قوى
خشيته الأمم . ولعل السلطان التركي كان
أكثر خشية لتابعه من غيره من رؤساء
الدول الأخرى . وبدأ النزاع يتفاقم بين
الباشا والسلطان كما قرأنا في الفصل الرابع ،
وانتهت الأمور بينهما إلى القطيعة ثم الحرب .
وهنا تقوم الأزمة الأوربية حول مصر ، إذ
أخذت الدول الكبرى تحشي جانب محمد علي ،
وكانت تفضل السلطان الضعيف لكي يحقق
أغراضها في السلطنة العثمانية . أما وقد رأت
الأمور تتعرج ، ويتقدم إلى مصر مستصراً ،
حتى هدد في وقت ما السلطنة العثمانية
بالزوال ، وكاد يحل محلها ، فكيف يتفادون
أغراضهم إذا حل الرجل القوي مكان الرجل
الضعف .

وفي الفصل السادس نرى هدوء العاصفة
بعد ضغط الدول ، وفي طليعتها إنجلترا ، على

كتاباتهما ، ونلمس نشاطهما في هذا الكتاب
الذي وضعه باللغة الانجليزية عن « يقظة مصر
الحديثة » .

وقد لا يكون من المستطاع أن ننوه بأهمية
هذا الكتاب بما هو جدير به ؛ لأن الشعور
بأهميته يتبين من أول فصل فيه . ويزيد
اهمهم المدرك كما أوغل في اسكتاب حتى
بأق إلى نهايته . فيفكر حقاً أن الأستاذ محمد
رفعت بك قد أحسن كل الاحسان بتأليفه ،
وأحسن أكثر من ذلك باخراجه باللغة
الانجليزية . فتحن لا نكاد نتذكر فيما قرأنا
صوره نتيب لتاريخ مصر الخدب في مثل
هذا الوضوح ، وفي مثل هذه القوة من
إبراز وجهه انظر انصريه . ثم كاتب
مصري لقراء أجانب . فلقد وضعت عن هذه
الفترة من التاريخ المصري كتب كثيرة ،
بعضها يعالج هذه الفترة إجمالاً ، وبعضها
يعالج أزماناً منها . ولكننا نحاول أن نفكر
فيما قرأناه لنجد كتاباً اتخذوا هذه الوجهة
التي اتخذها محمد رفعت بك فلا نجد ، ونحاول
أن نفكر فيمن أجل حوادث هذه الفترة
بهذا الوضوح ، وحسن التصوير ، وهذه
الحياة التي تمشي في عروق صور الحوادث ،
فلا نجد . وليس في هذا القول مغالاة ، فقد
تفوننا الذاكرة ، ولكن الواقع أن هذا
الكتاب الذي بين أيدينا الآن ، قد أثرت
قراءته فينا تأثيراً كبيراً .

بدأ المؤلف فصله الأول بذكر حملة
نابليون وأثرها ، وما كان لنابليون من يد في
اصلاحات عدة أدخلها في النظام المصري ،
حتى استطاع أن ينقل هذه البلاد لحياة من
نظام عتيق ألفته منذ القرون الوسطى إلى
نظام حديث ابتدعه لها وليد الثورة . ولئن
كان نابليون قد أخفق من الوجهة الحربية ،
فانه بث في مصر الروح الحديثة من الوجهة
السياسية والاجتماعية والثقافية ، فبدأت مصر

فاذا وصل المؤلف إلى الفصل الأخير رأيناه يحمل اجالا بارعا تاريخ الاحتلال ، وطلب الجلاء ، ونهضة التعمير التي بدأتها الحكومة المصرية حين انتقلت الأمور إلى يد أبناء الوطن .

وهو في كل ذلك يسدى آراء صائبة ، ونظرة بعيدة في الأمور وهو يستعرضها ، وهو في ذلك يد لرمائح التي اسعد عليها حين ينقل رأى غيره . وهو بالطبع على غير ما يفعله المؤرخون من الأوروبيين حين الكلام عن مصر الحديثة ، يعتمد على المراجع العربية كما وجد إلى ذلك سيلا . ومع أنه وضع الكتب باللغة الانجليزية ، لم يحاول قط أن يخفى مساوى الحكم الانجليزي أو يخفف من هذه المساوى . ولم يحاول قط أن يسكب صوت الوطنيه المصرية ، أو يخفف من هذا الصوت . وهذه فضيلة من أكبر مزايا هذا الكتاب ، الذي لا لشك في أنه يجب أن يكون في مكتبة كل قارى مصرى ، كما سيكون مرجعاً لكل أوربي يهتم بتاريخ مصر الحديث .

محمد على ، حتى تم الصلح بينه وبين السلطان . وبذلك أفقدت السلطنة العثمانية من خطر يكاد يكون محققاً ، وبذلك انتهى نشاط محمد على من الوجهة السياسية .

أما الفصل السابع فيتكلم عن حكم اسماعيل ويصف بذخه ، وما أدخله من اصلاحات اقتصادية واجتماعية وقضائية وثقافية .

ثم انتقل المؤلف إلى المشروعات التي قام بها رجال من الأجانب ومن أهمها قناة السويس ، وما قام حول هذا المشروع من عقد سياسية . وتكلم المؤلف في الفصل التاسع عن اهتمام مصر بالبلاد الافريقية لاسي السودان ، وإرسالها البعثات إلى منابع النيل وعلاقاتها بالحبيشة والبلاد المتاخمة لها .

والفصل العاشر يشرح نزول الخديوى اسماعيل عن عرش مصر والأسباب التي أدت إليه .

وحوادث الفصل الحادى عشر هي حوادث الثورة الحرية التي قام بها عرابى باشا ، وما كان لها من أثر في قيام النزاع بين الأتراك والمصريين .

معانى الفلسفة للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى (دار حياء الكتب العربية)

ولقد أثبت المؤلف إلمامه الواسع بموضوعه وتمكنه منه . وليس لأنام واتمنى ليستن في المطولات كما يستبين في الخلاصة الهضومة ، وهذا ما يتضح تماماً في قراءة هذا الكتاب .

وقد ابتدأ المؤلف بتعريف لفظ الفلسفة وماقاله فيها اليونان والعرب ، ثم تكلم عن تطور الفلسفة والفرق بينها وبين العلم . وانقل من ذلك إلى الكلام عن المذهب الضالعه في الفلسفة اليونانية ثم في الفلسفة الاسلاميه ، ثم تكلم عن الفلسفة الحديثة .

لعل هذا الكتاب من أهم الكتب التي ظهرت في السنوات الأخيرة وعالجت موضوعات فلسفية ، مع أن هذه السنوات تميزت بما ظهر باللغة العربية من كتب الفلسفة والموضوعات التي يبحث فيها هذا العلم . ووجه أهمية هذا الكتاب قد لا يدل عليه عنوانه ؛ فهو مقدمة وخلاصة لمباحث في الفلسفة والموضوعات التي تعالجها ، وهو يضع الحدود ويرسم الصريح للباحث في هذا العلم ، فهو يلقى نظره سريعاً ولكنها نظره صائبة على مجال الفلسفة وطرق البحث فيها .

وعالج بعد ذلك كيف انفصلت العلوم
عن الفلسفة ، وما بقي لها من مجال يعد
انفصال هذه العلوم .
هذه مباحثه التي تكلم عنها في القسم
الأول . أما في القسم الثاني فتكلم عن نظرية
المعرفة ، ثم عن تطور هذه النظرية ومختلف
مدارس الرأي فيها .
فهذا الكتاب هو خير دليل لمن يريد
أن يلم بمباحث الفلسفة ، وهو فضلاء عن ذلك
مكتوب بأسلوب جميل حتى لئلا يذوق قطع
قنية مع أن المؤلف لم يعمل الدقة في تعابير
الفلسفة ، ومع ذلك لا يمل قارئ هذا
الكتاب مطلقاً بل قد يجد فيه من اللذة
ما يجده في القصص ، ولا ينتهي منه حتى
يتطلع إلى مزيد من تعمق في النظريات
الفلسفية ، وتلك غاية لا يصل إليها الكتاب
ولاسيما الكتاب في موضوعات غير أدبية
إلا القليل .

البرستس ماركس أعلى مراحل الرأسمالية تأليف لينين ورمحه دكتور رسد البراوى
(مكتبة النهضة)

لقد أراد الدكتور راشد البراوى أن
يطلع العالم العربي على تطور الفكر الحديث
في أوروبا ، فعمد إلى نقل طائفة من الكتب
كانت المكتبة العربية في أشد الحاجة إليها ،
كما وضع طائفة من الكتب في أحدث
النظريات الاقتصادية ، فقام بنقل كتاب
رأس المال لكارل ماركس كما أخرج كتابه
عن التفسير الاشتراكي للتاريخ . وهو اليوم
ينقل كتاباً من مؤلفات لينين زعم الشيوعية
الذى حقق نظريات كارل ماركس حين
نجحت الثورة البلشفية وتولى زعامة روسيا .
وليس ثمة شك في أن الآراء التى نادى
بها كارل ماركس وشرحها واعتقها لينين
وعمل لتحقيقها في دولة من أكبر الدول
قد صارت جزءاً من تراث الفكر العالمى . فكما
أن الآراء التى جاءت بها الثورة الفرنسية
وكانت تبدو ثورية جريئة عندئذ قد اعتنقها
كل الأمم وصارت جزءاً من الفكر الانسانى ،
كذلك سوف يبقى خير ما في آراء كارل
ماركس وتلاميذه جزءاً من آراء العالم .
وليس معنى ذلك أن العالم سيعتق الشيوعية
فالشيوعية بنظامها الحالى قد لا تلائم كل
الأمم ، وهناك لكل أمة تقاليد وتاريخ قد
يحول دون قيام الشيوعية على الوجه الذى
عرف في روسيا . وعند ما اعتنقت الأمم
آراء الثورة الفرنسية لم تعد إلى تقليد
فرنسا كما يفعل القردة ، فلم يبق المفكرون في
هذه الأمم يتصب المقلد للاشراف والزعماء
كما حدث في فرنسا ، بل إن شرور هذه
الثورة لم تقابل إلا بالنفور والازوار من
هذه الأمم ، وإنما خيرها هو الذى سرى
وثبت في أذهان الناس .
لذلك نحن نعتقد أن الدكتور راشد
البراوى قد أدى خدمة كبيرة بنقل هذه
الكتب وأماها ليطلع عليها الشرق العربى
ويسار الزمن في تفكيره واتجاهاته ويشارك
الغرب في تفهم الحياة السياسية
والاقتصادية .

مسند أحمد بن محمد شاذلي وشرح الأستاذ أحمد محمد شاذلي (دار المعارف بمصر)

من مسند الزبير بن العوام ، ويتنهي بالحديث رقم ٢١٣٤ ؛ فهي إذن سبعة وعشرون حديثاً محققاً مضبوطاً معنياً بشرح غريبه وتحقيق مسنده ؛ منها ٦٤٣ حديث بين الصحيح والحسن و ٧٧ مضعفة .
وقد ألحق بهذا الجزء كما ألحق بالجزأين السابقين جريدة المراجع ، ثم طائفة من الفهارس التفصيلية المدققة لم يلحق مثلها بكتاب من كتب السنة قبل أن يضطلع بهذا العمل الجليل حاصل عيئه . نسال الله أن يتفق به ويعينه على تمام ما بقي من أجزاء هذا المسند الامام .

أصدرت دار المعارف الجزء الثالث من هذا الديوان الأعظم الذي اضطلع بتحقيقه وشرحه وصنع فهارسه العلامة المحقق الشيخ أحمد محمد شاذلي ، ليتيح لأهل العلم والشتغلين بالفقه وأصول الدين وتاريخ التشريع الاسلامي وعلم الحديث وفن الرواية ، الانتفاع بهذه الموسوعة العظيمة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الامام أحمد بن حنبل منذ أحد عشر قرناً ونهف ورجاها أن تكون للناس إماماً . . .
ويبدأ هذا الجزء بالحديث رقم ١٤٠٥

عصر المماليك وتنامي العلم والادب للأستاذ محمود رزق سليم المدرس بكلية اللغة العربية (مكتبة الآداب بالجواميز بالقاهرة)

لأمر الباب العالي في الاستانة . . . وفاق بها ما حاق من ذل الاستعمار منذ أربعة قرون . فتراكم غبار السنين على ذلك الماضي الزاهر ، فلا يكاد يذكره ذاكر في مصر أو في غير مصر . ولم يبق عالقا بالأذهان من تاريخ هذه الفترة إلا ما أرادت دعايات الاستعمار أن يبقى من الصور البغيضة والأوهام الباطلة والمبالغات المصنوعة لتشويه صورة ذلك العصر في عيون المصريين .
وهذا الكتاب الذي يقدمه الأستاذ محمود رزق سليم عن عصر سلاطين المماليك وتنامي العلم والادب هو محاولة مؤقتة لتجلية ذلك العصر وكشف غبار السنين عن صوره وإدحاض المقتريات الباطلة عن حقائقه .

لا زال عصر سلاطين المماليك في مصر مجهولاً أو كالمجهول لا يكاد يلتفت أحد إلى تجليته والتعريف به ونبش تراثه العلمي والأدبي والكشف عن آثاره وصور الحياة السياسية والاجتماعية فيه ؛ على أنه من أزهى العصور في تاريخ مصر الاسلامي ؛ بل لعل مصر لم تبلغ في عصر من العصور ما بلغت في عصر سلاطين المماليك من الرقي والعظمة واتساع الرقعة والمهابة والسلطان السياسي حتى استدت حدودها بين طرابلس القرب وآسيا الصغرى ، وشمل سلطانها الحجاز واليمن والحجازة والموصل - كان ذلك في الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع إلى أوائل القرن العاشر اعرجى حين وطنها جنود الدولة العثمانية فسلبتها استقلالها وجعلتها ولاية محمية يخضع حكامها

سبعائة صفحة من القطع الكبير ويتضمنان خلاصات وافية عن ملوك ذلك العصر وسيرهم وأحوال الدولة ونظمها وعاداتها ما يتصل بها من شؤون في ذلك العصر، مع ترجحات محققة لكثير من الرجال الذين كان لهم أثر في سياسة الدولة لذلك العهد .

وسيتبع هذا القسم من الكتاب أقسام أخرى تبلغ بها عدة أجزاء الكتاب ثمانية يتم بها المؤلف قصده في التعريف العلمي والأدبي الكامل بهذا العصر .

وليس يعرف ما بذل المؤلف من الجهد في تأليف هذا الكتاب إلا الذي عانى بعض متاعبه في محاولة الكشف عن بعض حقائق ذلك العصر ، وهو عناء وجدت مذاقه في بعض ما أنشأت من قصص عن عصر سلاطين المماليك .

إنه كتاب فيه برهان للناس على أن مصر لم يزل فيها مجاهدون مجهولون يؤمنون بالعلم ويبدلون في سبيله ما لا طاقة على بذله لكل أحد .

على أن المؤلف وهو أستاذ من أساتذة الأدب لم يكن يقصد من بحثه ودرسه إلا إلى ناحية واحدة تتصل بدائرة اختصاصه الأدبي ، وقد كان خليقاً بذلك أن يقتصر في مؤلفه على الناحيتين العلمية والأدبية ، لولا أن ذلك الغموض الذي يكتنف ذلك العصر كله قد فرض عليه أن يوسع دائرة بحثه ليجعل دراسة تاريخ العصر وخصائصه الاجتماعية سبيلاً إلى دراسة أدبه ونتاجه العلمي وأهل الأدب والعلم فيه ، واستتبع شيء شيئاً ، فإذا دائرة البحث تتسع شيئاً بعد شيء حتى تشمل العصر كله ، فإذا بين يديه موسوعة عن عصر المماليك كشف عنها القبار في منطقة قسيحة وعلى أعماق بعيدة ، وإذا الكتاب الذي قصد أن يكون خالصاً للادب قد عاد سلسلة من الكتب عن العصر كله في مختلف أحواله وصوره .

وقد أصدر حتى اليوم القسم الأول — وهو القسم التاريخي — من هذه السلسلة في جزأين كبيرين يتجاوز مجموعهما

كتب أخرى

— « فهارس المكتبة العربية في الخافقين » تعريف شامل بالفهارس الموضوعية للكتب العربية في مختلف البلاد ، تأليف الأستاذ يوسف أسعد داغر أمين دار الكتب اللبنانية — خصص ريعه لصندوق إقتاد الأراضي الفلسطينية (مطابع صادر ريحاني — بيروت) .

— « رائد التراث العربي » مسرد تقدي جامع لكل ما ألفه علماء المشرقيات عن التراث العربي في مختلف العصور والموضوعات . وضعه بالفرنسية جان سواقجي

لم يتح لي أن أخلص إلى طائفة أخرى من الكتب جاءت بها البريد في هذه الأيام ، فأكتفي بالإشارة إليها شاكراً ومعتذراً ، وهي :

— « رفاق المدق » قصة حديثة عن حي من أحياء القاهرة القديمة بقلم الأستاذ نجيب محفوظ (لجنة النشر للجامعيين) .
— « حفنة ربح » مهزلة في فصل واحد

ومجموعة قصص ، ومراسلات ، بقلم الأستاذ سعيد تقى الدين (دار العلم للملايين — بيروت) .

- رئيس دائرة تاريخ الشرق الاسلامى في
مدرسة الدراسات العليا بباريس ، واقتبس
الأستاذ صلاح المنجد رئيس ديوان مديرية
الأثار العامة في الجمهورية السورية (دار
العلم للملايين - بيروت) .
- « رجال الحكم والادارة في فلسطين »
أسماء وتواريخ وتراجم مختصرة ، من عهد
الخلفاء الراشدين إلى القرن الرابع عشر
الهجرى ، بقلم الأستاذ أحمد سامح الخالدى
(المطبعة العصرية - القدس) .
- « الاسلام والنظام العلمى الجديد »
تأليف مولاى محمد على رئيس الرابطة
الأحمدية لاشاعة الاسلام بلاهور ، ترجمة
أحمد جودة السحار (لجنة النشر للجامعيين
بالقاهرة) .
- « لطف الايناس في النصيحة للناس »
للمؤرخ اليمنى الشيخ عبد الواسع الواسعى .
— « تركيا بين جبارين » الحلقة
السادسة من سلسلة الثقافة السياسية ، بقلم
ياسيل دقاق (منشورات دار المكشوف
بيروت) .
- « روح وجسد » أقاصيص مصرية
بقلم عبد المعطى المسيرى (مكتبة البنا
بدمهور) .
- « الرسول : حياة محمد » تأليف
ر. ف. بودلى ، ترجمة عبد الحميد جودة
السحار ومحمد محمد فرج (لجنة النشر
للجامعيين - القاهرة) .
- « حضارتنا » مباحث في نواح من
الحضارة العربية : للأستاذ أحمد مظهر
العظمة (مطبوعات التمدن الاسلامى
بدمشق) .
- « أطفال بلا أسر » تأليف أنا فرويد ،
دثرى برلينجهام ؛ ترجمة محمد بدران ،
رمزى يسى (دار الفكر العربى -
القاهرة) .
- « النوم الهادئ » حلقة من « المكتبة
النفسية » تأليف ولفرد نورثفيلد ، ترجمة
عبد الحميد يونس (الناشر المصرى
بالقاهرة) .
- « من قصص الأولين » أقاصيص من
عصر النبوة وصدر الرسالة الاسلامية ،
للأستاذة على محمد البجاوى ، ومجد أبو الفضل
إبراهيم ، والسيد شحاتة (دار الفكر
العربى - القاهرة) .
- « فى السرير » قصة حقيقية وقعت
حوادثها للمؤلف إبان مرض طويل مشفى .
أذاعها لاشاعة روح التفاؤل في زمان
يدعو فيه كل شئ إلى التشاؤم ، ألفها
محمد العدنانى (مكتبة الطاهر - يافا) .
- « فلسفة الحمال » تأليف آ. ف. جاريت
ترجمة عبد الحميد يونس ، رمزى يسى ،
عثمان توية (دار الفكر العربى) .
- « القضايا الاقتصادية الكبرى في
سورية ولبنان » جغرافية البلاد ، ثروة
الأمة ودخلها ، الزراعة والخراج والماشية ،
عرب البادية ، الانتاج الصناعى والتجارة ،
وسائط النقل ، الصحة ، المصايف ، العلاقات
بين كل من سوريا ولبنان (مكتبة فوحات
ونجاق - دمشق) .
- « من وراء الأفاق » ديوان الشاعر
المصرى محمد عبد الغنى حسن (دار المعارف
بمصر) .
- « كتاب الأشربة » تأليف أبى محمد
عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عنى ينشره
وتحققه الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع
العلمى العربى بدمشق (مطبعة الترقى
بدمشق) .
- « أبطال الفتح الاسلامى من العرب
والترك » تأليف الأستاذ محمود نصير بك
عضو مجلس النواب السابق (طبعة ثانية ،
مطبعة خلف - القاهرة) .

- « معجم أدياء الأطباء » (الجزء الأول) ، تأليف محمد الخليلي (مطبعة الغرى - النجف) .
- « تاريخ العصر الحاضر » تأليف الأستاذ رقيق التميمي (المكتبة العصرية - يافا) .
- « الطلائع » و « سعد قال لي » و « ما ذا في الحجاز ؟ » كتب ثلاثة للأديب الحجازي أحمد محمد جمال ، وأولها مجموعة شعرية ، والثاني حوار قصصي ، والثالث تسجيل ثقافي لبعض ما في الحجاز اليوم من ألوان النشاط الأدبي والثقافي .
- « التبرج » حديث اجتماعي للسيدة نعمت حرم الدكتور محمد رضا (مطبعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة) .
- « عم الاجتماع الديني » تأليف الاستاذ يوسف ياسين شلحت (منشورات مكتبة الأمانة - حلب) .
- « لورنس بطل الجزيرة » تأليف و. ف. بريدج ، وونستن تشرشل ، ترجمة محمد بدران وأحمد حلمي علي (لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة) .
- « مصر والشراكسة » صفحات من تاريخ مصر الحديث — تأليف راسم رشدي (دار النيل للطباعة - القاهرة)
- « الفردوس المهجور » — قصة مصرية للاستاذ حسن رشاد السيد . (مطبعة عناني - القاهرة)
- « لهذا الوطن » — مجموعة من شعر الوطنيه من نظم عدنان الراوي (دار دجلة للطباعة والنشر - بغداد) .
- « القلب والجسد » — القصة التي فازت بالجائزة الثالثة في مباراة وزارة الشؤون الاجتماعية للتأليف المسرحي ، لعام ١٩٤٤ — ١٩٤٥ ، تأليف محمد حكمت محمد (مطبعة الاخاء - مصر) .
- « نهاية الطريق » — فصول قصصية تأليف السيد الدالي (مطبعة مكتبة مصر - القاهرة) .
- « إخوان الصفاء » — دراسة علمية للاستاذ عمر الدسوقي الاستاذ بكلية دار العلوم (مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية - القاهرة) .
- « جمال الدين الأفغاني » آراؤه وكفاحه وأثره في نهضة الشرق ، للاستاذ قدرى حافظ طوقان (مطبعة بيت المقدس) .

محمد سعيد الميراني

في مجلات الشرق

من مراكش

رسالة المغرب العدد ٢ : ٦ (أكتوبر ١٩٤٧)

الجلس المختار ، ولا لغير أذواقهم وأرواحهم تراقص الضياء في مواكب ألوانه بين زرق البحر وزرق السماء ، ولا لغيرهم وغيرهم رق البحر وراق وزجى موجاته الفتية مهينة في جزرها ومدنها بهسات لأحلام ! مسحان من جماع العلم في واحد ، ورتب له من مال الدولة ما أقر به أمة وأقر منه خزينة ، ثم كال له بالمكيال الأوفى من غذاء بطنه في يوم ما حرم منه الآخرين طوال شهر ! » ويمضي الكاتب فيما يصف من نظرة السيد الفرنسي إلى المغربي الذي تسول له نفسه أن يستمتع بما يستمتع به الفرنسي من طيبات بلاده ، حتى يبلغ الغاية فيما يصف . لا يعوق القارئ عن متابعته ما يتخلل السطور من فجوات حذفها الرقابة ووضعت موضعها طابعها ؛ أمانة أخرى من أمارات الترقية والتمدين للشعب الذي كان أبطاله ذات يوم يطأون بأقدامهم أرض فرنسا فيرعد أبطالها ويولون من وجوههم منهزمين .
وئمة مقال آخر بقلم الأديب « أبو عمر » عنوانه « حاجتنا إلى أدب حي » يختتمه بقوله :
« إننا في حاجة إلى أدباء يعيشون في عصرهم ويشعرون بما يشعرون به معاصروهم ويطمحون لما يطمح إليه مواطنوهم ؛ لا يعيشون في الماضي ، ولا يحبون لأنفسهم ، وإنما يتذمرون مع المتذمرين ويشكون مع

هذه مجلة من المغرب الأقصى ، قطعت الطريق من الرباط إلى القاهرة في بضعة أشهر - في عصر الطائرة - وقد كانت الرحلة بين البلدين في عصر « سفينة نوح » لا تحتاج إلى أكثر من بضعة أسابيع ، ولكنه أسلوب من أساليب التمدن الفرنسي في بلد لا يفصله عن مصر بحر ولا ساحل .

في هذا العدد من مجلة « رسالة المغرب » موضوعات أدبية ، ومباحث ناضجة ، ودراسات مستوفاة ؛ فهذه الافتتاحية بقلم الأديب « ابن أكرم » عنوانها « ميثاق الأطلنطيق » ، والأطلنطيق ، أو الأطلسي ، هو الحد الغربي لمراكش . وليس يعنى الكاتب بميثاق الأطلنطيق ، تلك المبادئ الإنسانية التي كان يهتف بها الطغاة منذ بضع سنين ليتجنبوا إلى الأمم المستضعفة ويستجدوا رضاها وثقتها ، ولكنه يعنى ميثاقا آخر . . . فهو يصف في هجة بين السخط والغضب ، أو بين السخرية والفكاهة ، موقف السادة الفرنسيين من أصحاب تلك البلاد حين تقع عيونهم على مغربي في تبانة على « بلارج » الأطلسي يحاول بعض ما يحاولون من التمتع بجو بلادهم في موسم الاصطياف « فكان الله ما دحاها ندية وهاجة إلا ليرتع ويمطى فيها أبناء وبنات ماربان ؛ وما هب هذا النسيم جنوبا رخاء إلا لانعاش أرواح هذا

فراكتني صاحب باب " المعجب " الذي نشره اعلامه دوري استشرق هولاندي في احوال الناس ، فكيف الناس عن واقع حاضره في حياه المؤرخ الهولندي برستس عما أحده من قيمه . لامن انشأه ولا من مستشرقين ؛ فهو بحسب قيمه وزنده لم اجتمع في سائر قصوره وما سعى سره منه في الاستاذان المستعد ، ولأن انظرني . . . بين الرجا واستمره يحول بيني وبين لأعرف في اعلى !

ويستعمل بعدد مباحث حرقى ثبات
عن ثمانية قصص فرسية للحسين ، وعن
مخطوط من كتب بن حمدون . . . إلى
سعر وثلاثين ريالاً

شاكين وبعضهم مع العاصيين ومخرجين
مع الفرحين ومهدءون مع هادئين
وبعضهم مع المطمئنين !

وإلى جانب هذه نقول الأدبية الفصحى
مأخوذة من الصحيفات ومأخوذة من مجلته
على نهجته بغير دخل : فهو يحب
للأديب عبد الكبير الكليش أساساً عنوانه
« على هامش الغرب اللاتينى »
يتحدث فيه عن وقعة تطوان في القرن
الماضى وما كان لها من أثر في وضع المغرب
السياسى إلى هذا العهد .

ويبحث آخره للدكتور ديب الحقيق « مجد القاسمي »
عنوانه « العصر الموحدى الثانى » يحدد
القارى تمامه فى هذا العدد ، وهو يتحدث
فيه عن المؤرخ المغربى عبيد الواحد

من ايمان

العدد ١ : ٧ (يناير ١٩٤٨)

طالها ونأخذ ما نراه صالحاً ؟
ثم يحاول الجواب عن أسئلته تلك دارساً
كل ما يحيط بها من الاعتبارات ، ثم ينتهي
إلى أن يقول :

« إذن . . . لا مناص من الجهاد ،
و « الجهاد » هنا لا يفيد الدفاع عن
حرمان الدين والوطن والحرية والكرامة
— كما سبق لأذهان السواد — وإنما هو
حاجة طبيعية للعرب في هذا الظرف لتحويل
اتجاه الحضارة في العالم كله ! . . . فقد
ظهرت المسافة الشاسعة التي تفصل بين
المدينين الغربية والشرقية ، وحفرت بينهما
هوة لا يسدها إلا الدم والنضحيا
والأشلاء ! »

« ثم يهتف في الخاتمة : « أيها العرب !

وتستهل مجلة «الأديب» البيروتية ستها السابعة بهذا العدد ، الذى يتضمن ، كما تعود القراء من مجلة «الأديب» ، فصولا متمعة فى الأدب والنقد والمباحث العلمية والنفسية والقصص والشعر والصور الفنية والفصول المترجمة . وفى هذا العدد مقال قيم عنوانه « هذه المدينة الرعناء » للأديب عبد اللطيف شرارة يدور حول « مؤامرة للتسدين » على فلسطين ، وما يجب على العرب فى هذا الظرف لاحتباط هذه المؤامرة البربرية الرعناء ؛ قيسائل : ماذا يكون موقفنا الخاص فى هذه القضية كعرب ، كأمة عربية ، من المدينة الراجعة ؟ أنكون سلبين أم إيجابيين ؟ أنتخذ حالة وسطا بين السلب والإيجاب ؟ أتنبذ ما نراه

الوقوف على عادات القوم ، وهي ما زالت في بعض القبائل المتبدية - وهي أمور لا مندوحة عنها لمن اتسذب نفسه وتجرد لشرح الأدب وتدرسه . . . »

ثم يمحى في الاحتجاج لرأيه ذلك والاستشهاد عليه بالشواهد من الشعر الجاهلي الذي يتصل بما كان للعرب في الجاهلية من عقائد وعادات .

ويسأل الأديب ودع فلسطين في هذا العدد من الأديب : « كيف يكون التعاون الثقافي بين الدول العربية ؟ » لنسبة ظهور ترجمتين في وقت واحد في مصر وفلسطين لكتاب اميل لودفيج عن نابليون ، أحدهما بقلم الأديب الفلسطيني الأستاذ عادل زعير ، والأخرى بقلم الأديب المصري الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقي . فيرى الكاتب من ظهور هاتين الترجمتين في وقت واحد ، أن العربية قد خسرت جهداً مضاعفاً كان يمكن أن يتوزع لتستفيد العربية من مجهود مثل هذين الأديبين إنتاجاً مضاعفاً . وهو يرى لتلافى مثل هذه الخسارة أن يكون بين البلاد العربية نوع من التعاون الثقافي يوجه العاملين في هذا الحقل الوجهة التي تكفل للعربية الانتفاع بمجهود كتابها وعلمائها ومضاعفة الانتاج الأدبي .

أثقفوا فلسطين تنقذوا أمريكا من نفسها وتنقذوا هذه المدينة الرعناء وتعيدوها بذلك إلى صوابها . . . »

وفي هذا العدد تقرأ بحثاً ضافياً للأديب صلاح الدين المنجد عن « مسجد دمشق الكبير » موضعاً بالصورة محققاً بالنصوص مزوداً بالمراجع ، وهو بحث يهتم له كثيراً كل المشتغلين بالآثار العربية .

ويتضمن العدد إلى ذلك الحلقة الثالثة من البحث الذي يتابعه الأديب الشاعر البحريني إبراهيم الفريض عن « منزلة الشعر بين الفنون » وهو في هذه الحلقة يتحدث عن « العاطفة في الشعر » فيستشهد لرأيه في ذلك بالشواهد العدة من الشعر القديم والحديث يحللها ويصفها ويستنبط منها ما يستنبط مما يؤيد رأيه . وهو كذلك بحث طريف فيه متاع للفكر وللنفس جميعاً .

وثمة بحث آخر للأديب عيسى ميخائيل سابا عن « الأدب الجاهلي وكيف نفهمه » يتحوفيه نحواً جديداً في محاولة فهمه ، فيقول : « لكي نفهم هذا الأدب الجاهلي الذي بين أيدينا على وجهه الأحم ، لا بد لنا من أن نكون لنا مشارفات بمعرفة العقائد الدينية التي كانت منتشرة في ملء الجزيرة من أقصاها إلى أدناها . وكذلك يجب

الطريق العددان ١١ و ١٢ (نوفمبر - ديسمبر ١٩٤٧)

وثمة بحث آخر للأديب راتب الحسامي عن « بيروت قبل مائة عام » يصل فيه بين ماضى هذا الميناء اللبناني وحاضره ويصف العوائل التي تطورت به ، وهو بحث فيه متاع وقائدة . وفي هذا العدد يتحدث الأديب

في هذا العدد حديث وافي للمهندس اللبناني الأستاذ أنطون ثابت - صاحب الحجلة - عن « فن العمار اللبناني » يتحدث فيه عن الآثار الرائعة والمنازل الجميلة التي استمر بناؤها في لبنان إلى أوائل القرن الحاضر .

مدى مبلغها من الدقة ، ولكنها على أي أحوالها تعطى القارئ فكرة ما عن بعض الطوائف التركية هذه الأيام من وجهة نظر صحيفة « ندميه » .

وفيه إلى ذلك تعريب بقلم الأديبى . ش لموضوع بقلم الأديب الروسى ف . لوتسكى عن « الدراسات العربية خلال ثلاثين سنة فى الاتحاد السوفياتى » وهو موضوع يحتوى على كثير من أسباب العلم بما بين السوفيت والأدب العربى من صلات قريبة .

يوسف خورى عن شاعر فلسطين المختصر فى شبابه المرحوم إبراهيم عبدالفتاح طوقان يصف فيه تاريخه ونسأته وفنه ومعناه ويحلل طائفة من جيد شعره تحليلاً طيباً ، ويصفه — ولعله لم يبعد — بأنه شاعر فلسطين ! ثم مقال آخر للأديب تحسين موسى بعنوان « مشاهدات فى مناطق الحدود التركية » يصف فيه رحلة إلى مناطق الحدود التركية ، ويحاول أن يصور الشعب التركى فى تلك المناطق صورة ما ، لا أدرى

المظهر العددان ٧ ، ٨ : ٣ (ديسمبر ١٩٤٧)

ذلك مبلغاً ، ويلاحظ تطورات المجتمع اللبناني فى هذه الأيام ملاحظة تحمله على مستقبل أفضل لموضع الاجتماعى فى لجمهورية اللبنانية الناهضة .

وفى هذا العدد يعنى الأستاذ بهيج عثمان على الحكومة اللبنانية أن يمثلها فى المؤتمر لثنائى العربى لدى انعقد على منه صعد ، سهرم يكونوا حجر استنيس أدب وعده : وفيه لم يوفى فى احبصار من حارث ، ولا فى إغفال من أغفلت من المثقفين اللبنانيين ؛ ويرى أن يعالج ما ترك هذا الاختيار من أثر بالدعوة إلى مؤتمر يسميه « مؤتمر أدباء العرب » يحاول تحرير الأدب العربى المعاصر من الطفيليات التى تعلق به ، والبحث فى المشاكل التى تعرقل نموه وتهدد تطوره . وقد تألفت لجنة تحضيرية للدعوة إلى هذا المؤتمر فيها ممثلون للبنان وسورية والعراق ، ويرجى أن تستكمل بموها بانضمام ممثلين إليها من سائر بلاد العربية ، تقضى فيها رسمت من برنامج حتى يلتئم هذا المؤتمر العربى الأدبى فى وقت قريب .

« أيها العرب ! لقد تت الساعة ! فمن كان يستطيع القتال ولا يقاتل فهو جبان ! ومن كان يستطيع القتال ، ويدعو إليه ، ولا يقاتل ، فهو جبان ونذل ! ومن كان يستطيع القتال ، ويدعو إليه ، ولا يقاتل ، وبعد بالشروع فى القتال ، فهو جبان ونذل ودجال ! »

بهذه الكلمات القوية يعبر الأديب على ناصر الدين عن « فكرة العدد » . وفى كل صفحة من صفحات العدد وراء ذلك مقال أو حديث أو أبيات من الشعر تعبر عن هذه « الفكرة » تعبيراً ما . . . وثمة مقال بليغ يمتح للاستاذ عبد الله العلاطى عنوانه : « التطور الاجتماعى فى لبنان » يصف فيه يقظة الصحو فى لبنان اليوم ، تلك اليقظة التى لم تفتح عن كل إمكاناتها بعد والتى تمهد السبيل بين يدي تطور جديد رسمت بعضها من خطوط مداه . . .

وهو فى هذا المقال يتحدث عن الفرق بين ما يسميه الاجتماعية التعاونية والاجتماعية الاشتراكية ، فيبلغ فى توضيح

من سورية

المرأة العدد ٩ (ديسمبر ١٩٤٧)

تملك من الوعي القومي ومن تفهم المسئولية ما يجعلها جديرة بتحمل أعباء مقدراتها ومشاركة الرجل في مصير البلاد ، وقد أدركت أن هذا حق صريح ، وأن كثيراً من جاراتها الشرقيات سبقتها في هذا المقام ، وأنها وهي تؤلف شطر الحياة تفبن إذ تحير على التمسك بقوانين لم تنسها وتشاريع لم تدع إلى مجتها !

ونمة مقال آخر بديع للاستاذ عبد الرزاق الهلالي عنوانه « المرأة دكتاتور ظالم » أوحاه إليه - وهو عراقي - إحصاء النفوس العام في العراق ، وانتحار شاب . . . وكانت المرأة سبب انتحاره !

وهو في مقاله ذاك - كما يدل عليه عنوانه - يحاول أن يثبت أن المرأة ليست هي ذلك المخلوق الضعيف الرقيق المغلوب على أمره ؛ فهي علاوة على سيطرتها المادية ذات سيطرة روحية عاطفية لا يستطيع أن يفلت الرجل من سلطانها . . . فهي دكتاتور ظالم !

لا تزال مجلة المرأة في طليعة المجلات النسائية في الشرق ، ولا تزال تقدم لقراءها خير ما يطلبون من الباحث في الشؤون النسوية الخاصة ، أو الشؤون التي يجب أن تلم بها المرأة العربية في هذه الأيام إلماً يصلها بالحياة ويحقق لها وجودها بين الأحياء .

وفي هذا العدد طائفة من الفصول والمباحث والشعر والقصص والصور الفنية الرائعة فيها لكل قارئة متاع ولذة ، وفيها لكل قارئ من أسباب العلم بالنهضة النسائية في الشرق قدر يكفيه .

وفيه الحلقة الأخيرة من سلسلة « المرأة في قافلة الحضارة » التي تكتبها السيدة نديمة المنقبادي - منشئة المجلة - وهي تتحدث في هذه الحلقة عن « المرأة السورية في المجتمع » فتصف فيها ما لا يد أن يعرف عن المرأة في سوريا ، لنقول في آخر الحديث :

« فالمرأة السورية بلغت أشدها وأصبحت

من العراق

المعلم الجبرير العددان ٤ و ٥ (ديسمبر ١٩٤٧)

والنفسية والفصول التجريبية عن بعض المشاهدات في معاهد التعليم المختلفة ، إلى طائفة أخرى من المباحث المترجمة في هذين البابين وما يتصل بهما . وقد ألحقت بهذا الجزء تفصيلاً واقياً عما انتهى إليه مؤتمر

وهذه المجلة التربوية التي تشرف على إخراجها وزارة المعارف في بغداد - لا تزال في طليعة المجلات العربية في الاهتمام بمباحث التربية وعلم النفس ؛ وقد تضمن هذا العدد منها طائفة من المباحث التربوية

عنوانه « التفتيش : مشاكله وأصوله » ،
ومقال آخر للآنسة بهية فرج الله بعنوان
« أطفالكم والطبيعة » إلى مقالات أخرى عن
« تدريس الأدب في المرحلتين الابتدائية
والثانوية » و « خصائص لغة العرب »
و « أهمية التصوير والتوضيح في تدريس
قواعد اللغة » .

الثقافة العربى الأول ومؤتمر الآثار - من
مقررات ، لاتصال هذه المقررات بشئون
التربية والتعليم .

ومن الباحث الخليفة بالنظر في الجزء
مقال للأستاذ حسن أحمد السلطان الفتش
الاختصاصى في وزارة المعارف العراقية ،

الدليل العدد ٣ : ٢ (نوفمبر ١٩٤٧)

ولكن فيه إلى ذلك فصولا أدبية تمتع
عن « البحتري شاعر الحضارة »
و « الخطيئة » ، « والدواوين في العصر
العباسى الأول » ، إلى فصول مترجمة وسعر
ونقد وقصص وتراجم ، وطرائف مما يجرى في
الأندية من أحاديث الأدباء ومطاراتهم .

يكاد يكون هذا العدد من مجلة « الدليل »
التي تصدر في النجف خاصا بذكرى الامام
الحسين رضى الله عنه ، لمناسبة ذكره في
المحرم ، ثمرة حديث عن « وقعة الطف »
وآخر عن « استشهاد الحسين » وغيره عن
« كربلاء في التاريخ » إلى فصول أخرى .

الجزيرة العدد ٢١ : ٥ (يناير ١٩٤٨)

ولكن فيها إلى ذلك فصولا أخرى
ذات شأن ، فهذا بحث مستوفى بقلم
صديق الدمولوجى عنوانه « الياساق ، أو
الياسا » وهو مجموعة القوانين التي تنسب
إلى جنكيز خان ، والحلقة الثانية من سلسلة
« بعض القرى الموصلية في التاريخ » بقلم
إسماعيل فرج ، إلى تعقيقات علمية وتاريخية
وسباحث أدبية وشعر وقصص . وفيها فصل
بقلم خيرى العمري عن ديوان « شرق
وغرب » للشاعر المصرى على محمود طه .

ومجلة « الجزيرة » في الموصل هي صوت
« الأمناء » في القاهرة ، فهي تسمى حادثة
« الفن القصصى في القرآن » وهي الرسالة
التي تقدم بها الأستاذ محمد أحمد خلف الله
إلى جامعة فؤاد الأول ، وكان من شأنها
ما كان : محنة الأمناء ، وتحدث عنها في
مقالين : أحدهما بقلم « ذو التون شهاب »
بعنوان « توجيه مسيطر » والآخر بقلم
« فؤاد الوندائى » وعنوانه « حرية الفكر
في محنة » .

في مجلات الغرب

من فرنسا (مرسيليا)

الباب السادس : شهادات عن الاسلام .
وقد اختلف حظ هذه الأبواب من التوفيق
فبينما حفل قسم الفنون والآداب مثلاً
بمقالات عظيمة القيمة تولى الباب الخامس
الذى يهدف إلى أن يقدم للقارئ الغربي
نماذج من أدب العرب والمسلمين قد أخفق
في الوصول إلى غايته . شغل شعر التصوف
في هذا القسم مكاناً أكبر جداً مما يخصص
لبقية فنون الشعر وشغلت بلاد المغرب فيه
مكاناً أكبر جداً مما شغلته بقية بلاد العالم
الاسلامى . وتفسير هذا يسير فيما يظهر
وهو أن السيوايميل ديربنجيم Emile
Dermenghem محرر العدد يعيش في بلاد
المغرب ، يعاونه في أعماله علماء وأدباء من
المغاربة ، ثم هو يؤثر التصوف الاسلامى
بأكثر عنايته ومجهوداته . القارئ يأسف
إذن لأن النصوص التى اختيرت في هذا
القسم ليست مما يعطى القارئ الغربي
فكرة شاملة دالة على طبيعة الآداب
الشرقية الاسلامية بألوانها المتعددة ولا مما
يبين في صورة عادلة النشاط الفكرى
لختلف بلاد الاسلام . الشعر الاسلامى
تصوره في هذا العدد مختارات من
شعر ابن الفارض في العربية ومن شعر
جلال الدين الرومى في الفارسية ومن شعر
الشاعر التركى عزيز محمود هداى ؛ ولا شك
أن شعر ابن الفارض الصوفى مثلاً لا يكفى
مطلقاً لتمثيل الأدب العربى كله .
نتنقل الآن إلى دراسة المقالات التى

نشرت مجلة « كراسات الجنوب »
Cahiers du Sud في العام الماضى عدداً
ممتازاً خاصاً بالدراسات الاسلامية والعلاقات
بين العالم الاسلامى والعالم الغربى جعلت
عنوانه « الاسلام والغرب » . وقد امتاز هذا
العدد بميزات كثيرة تجعل منه عدداً
عظيم القيمة جديراً بعناية المهتمين بالدراسات
الاسلامية والعلاقات بين الشرق الاسلامى
وألم الغرب . من هذه الميزات أن من
بين الذين ساهموا في تحريره جماعة من أشهر
المستشرقين الفرنسيين وأكبر المتخصصين
في شئون الشرق وجماعة من كبار كتابنا
المصريين المعاصرين . وقد حاول المسئولون
عن إصدار هذا العدد أن يضعوا به أمام
القراء صورة للعالم الاسلامى وحياته
الثقافية ولما بينه وبين العالم الغربى من
صلات ، وبذلوا غاية جهدهم في أن يجعلوا
هذه الصورة منتظمة واضحة كل الوضوح .
ونحن ننقل لك هنا عناوانات الأقسام الستة
التي ينقسم إليها العدد لتتري طبيعة الأبحاث
التي احتوى عليها :

الباب الأول : أوضاع .

الباب الثانى : تأثيرات وتفاعلات .

الباب الثالث : آراء في الاسلام والعالم
الاسلامى .

الباب الرابع : الفنون والآداب في
الاسلام .

الباب الخامس : نصوص ومقالات
اسلامية .

الدراسات المنظمة الميسرة عند الغرب ، وهم إن أرادوا أن يعرفوا عنه شيئا وجدوا أنفسهم أمام أكنداس متراكمة من المعلومات والكتب لا يدرون بأيها يبدأون ولا كيف منها الخلاص ، فليس في الشرقيين مستغريون (٢) قد أنتجوا من الآثار ما ينفع سواظمنهم في دراسة شئون الغرب .

والكتاب ينتقل بعد ذلك إلى دراسة هذا الاستعراب أو هذه العناية بشئون العرب التي سنجها اتصال الشرق بأوربا . يلاحظ الكاتب أولا أن هناك من الشرقيين من إذا أخذ في الاتصال بالغرب لم يلبث أن يقتنع بآراء الغرب ويعتق مذهبهم في الحرية مثلا . هذا الاقتناع يدفعه أولا إلى مهاجمة الغرب المستعمر ومطالبته بأن يعطي الشرق مثلما يريد لنفسه من الحرية . وهو ثانيا يريد أن يطبق هذه الحرية التي آمن بها في الشرق ، وهذا عنده معناه التحرر ليس من قيود الاستعمار الغربي فقط ولكن من قيود التقاليد الشرقية أيضا ، ونتيجة هذه كانت تكون القضاء على التقاليد الشرقية قضاء تاما وزوال كيان الشرق ذاته ، ومن حسن الحظ — فيما يرى الكاتب — أن هناك من الشرقيين من هم أذكي من هؤلاء المستغريين المتحررين وأحرص على أن يحسنوا انهم لبقيد اسرق وأن يستبقوا ما كان منها صالحا جديرا بالحياة . يرى هؤلاء — فيما يقول الكاتب — أن المناظرة بين الشرق والغرب جدير بها أن تدفع الشرق إلى أن يعرف مقوماته باعتباره شرقا خالصا ، وأن يتمسك بمميزاته ويحى تقاليده الصالحة . وهذا القسم من الشرقيين ليسوا — عند الكاتب — أنصار

اشتملت عليها بقية الأبواب فتجد في صدر الباب الأول مقالا للمستشرق الأستاذ لويس ماسينيون يدرس فيه « المركز الدولي للإسلام » ونحن نقف فيه أمام فكرة أغلب الظن أن القارئ العربي سيوافق عليها كل الموافقة وهي أن العالم الإسلامي إن كان اليوم لا يقاوم ما تصدر إليه أوربا من علوم تطبيقية وفنون عملية واختراعات ، فإنه قادر على أن يرد عن نفسه — بما فيه من عقائد وإيمان — ما يسود أوربا من التهاك على الثقة بالعلم ومن الاغراق في الشكوك ، وهو قادر على أن يميز ما كان من أصول الخلق الأوربي الحق وبين ما يزينه ويروجه المستعمرون من المذاهب المغرضة .

ويلى مقال الأستاذ ماسينيون مقال للمرحوم الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ذهب فيه إلى أنه ليس في روح الإسلام ذاتها ما يتعارض مع التفكير الغربي ، كما أنه ليس في التفكير الغربي ذاته ما يعارض الإسلام .

ولكن هناك أحيانا تعارضا بين بعض الغربيين وبعض الشرقيين ، ولا بد أن نجمع أسباب هذا التعارض والاختلاف وهذا هو الموضوع الذي يدير عليه فرنسوا بونجان (١) المقال الذي يلى مقال المرحوم مصطفى باشا . يلاحظ فيه الكاتب أولا أن الرجل الغربي يستطيع أن يفهم أمور الشرق بأيسر مما يستطيع الشرق أن يفهم أمور الغرب ، فقد يسر المستشرقون الأوروبيون دراسة الشؤون الشرقية ومهدوا طريقها أسام إخوانهم الغربيين ، أما الشرقيون فانهم لا يجدون مثل هذه

والكاتب يقول في آخر مقاله - في تواضع - إنه إنما جمع بقصد الملاحظات عن الموضوع ليس إلا ، وأن هذه الملاحظات تكفى - على كل حال - لتخطئة من يذهبون إلى أن « سيف الاسلام » لا يدل إلا على العنف والقوة المادية .

ويجد الذين يعنون بمقارنة الأديان في المقال الذى يلى مقال سيف الاسلام دراسة هامة تمس المسيحية والاسلام ، وهى مقدمة المرحوم الأب ميخويل أسين بلاسيوس (٢) لكتابه عن « الشعور المسيحى في روحية الغزالي (٣) » وتلى هذا المقال دراسة طريفة للكاتب ب. ج. تيرى (٤) عنوانها « محادثات في مراکش » والكاتب يشير إلى المحادثات التى يقول أنها دارت في أوائل عام ١١٦٩ في مراکش بين رجال ثلاثة ممتازين من أعلام الاسلام وهم أبو يعقوب وابن الطفيل وابن رشد ، وهو يرى أن أحاديثهم وقراراتهم أحدثت أكبر صدمة فكرية هزت أوروبا الفكرة في ذلك الوقت : وهزت أوروبا المسيحية على الخصوص ، ذلك أنهم قد قصدوا إلى أن يردوا للفلسفة المقام الذى لها في عصرها العربى الزاهر ، في أيام العباسيين في بغداد .

ويظهر أن موضوع الحب العذرى ونشأته باعتباره فنا من فنون الشعر الأوربى يشغل في هذه الأيام عقول المستشرقين . فنحن نقابل في الباب الثانى من أبواب هذا العدد من « كراسات الجنوب » مقالين

السرى فقط ولكنهم أنصار الانسانية كلها . والكاتب يختم مقاله بالآية الكريمة : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضى ولو لم تمسسه نار . نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم . »

وغنى تريد أن تفرغ أولا من دراسات الكتاب الأوربيين ، ولذلك تترك الآن الدكتور محمد حسين هيكل باشا لنتظر في الدراسة القصيرة الشاملة التى كتبها الأستاذ رينيه جينون (١) عن « سيف الاسلام » يريد أن يثبت فيها لهذا التعبير معنى رمزيا غير معناه المادى ، ويذهب إلى أن هذين المعنيين الرسمى والمادى يناظران المعنيين اللذين للفظ « الجهاد » في الحديث النبوى الشريف « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » أى من الجهاد المادى إلى جهاد النفس . السيف إذن سلاح بالمعنى المادى وسلاح بالمعنى الروحى أيضا . والكاتب يقارن هذا التفسير الذى يقول به لعبارة « سيف الاسلام » بالصورة التى تقابلنا في الميثولوجيا اليونانية لأبولون وهو يقتل التين بسهامه ، فإن التين والسهم هنا رمزان ، وهو يقارنه أيضا بفكرة « القربان القيدى » في الدين الهندى القديم .

René Guénon, *Sayful Islam* (١)

Miguel Asín Palacios, *Contacto de la espiritualidad musulmana et de la spiritualité chrétienne.* (٢)

« La espiritualidad de Algazel y su sentido cristiano » (٣)

P.G. Thèry (٤)

ليظهرنا على تأثر شعره باللغة والألفاظ الرومانية *la langue romane* .
ننقل الآن إلى الباب الثالث من أبواب العدد فتجد مقالين عن التصوف الاسلامي أولهما لرينيه جينون عن « السري في الدين الاسلامي » والثاني لماسينيون عن « اللغة العربية ، من حيث هي اللغة الدينية للإسلام » ننقل منه هذه الجملة الكبيرة الدلالة : « إذا كانت الاسرائيلية تقوم على الرجاء والأمل ، وكانت المسيحية مبتية على الاحسان والمحبة ، فإن الاسلام مؤسس على الايمان . »

وفي الباب الرابع مقال قيم عنوانه « الكنيسة والمسجد » كتبه جورج مارسيه Georges Marçais درس فيه نشأة المسجد وقابل بينه وبين الكنيسة . يصف في أول مقاله أول مسجد بني بالدينية ثم يعمق في تتبع التطورات التي مرت بالمساجد حتى صارت إلى البناء الذي نعرفه اليوم . وإذا كان الكاتب يظهر في أجزاء المقال كلها علمه ومقدرته فانه يظهر في ختامه ما له من مشاركة في الفن والأدب والفلسفة أيضا حين يقارن بين المسجد والكنيسة وبين الاسلام والمسيحية فيقول : « أن الكنيسة تبدو كأنها عالم غير حقيقي تحفه الأسرار يكشف الله فيه عن وجوده للمؤمن ويقرب منه ، أما المسجد فهو حي يجمع الزاهد أفكازه فيه ولا يسعه إلا أن يحس نفسه فيه وهي تتصاعر أمام ألوهية لا يستطيع منها دفنوا . »

حول هذا الموضوع . أوطما لشارل سالفرانك (١) يرى فيه أن مشكلة أصول الحب العذري في الشعر الأوربي قد حلت حينما أثبت الكاتب ا. ر. نيكل A.R. Nykl العلاقة بين شعر العرب في الأندلس وبين شعر التروبادور في فرنسا ، وانتهى — مع ريبيرا Ribera وغيره من العلماء — إلى أن الشعر الأندلسي العربي كان هو أصل هذا الشعر الأوربي الذي تغنى بالحب العذري ، بدلالة ظهور القافية — وهي من مميزات الشعر العربي الأصلية — في شعر التروبادور وبدلالات أخرى تلاحظ لأبنية الشعر ، ويهتم سالفرانك مقاله بقوله : « فتح الحب العذري الغرب كله ، وقد كان زهرة رقيقة أزهرت في ربيع الأندلس التضر بعد أن تمت في النفس العربية القديمة . »

المقال الثاني عن الحب العذري كتبه الأستاذ هنري بيريز (٢) وعنوانه « الشعر العربي الأندلسي وعلاقاته المحتملة بشعر التروبادور » . يمتاز هذا المقال عن سابقه الدراسة الكاتب للشعر العربي الأندلسي دراسة مفصلة على قدر ما يمكن التفصيل في مقال محدود ، وهو يميز بين الشعر العربي المشرقي وبين شعر العرب في الأندلس ، ويقرر — بصدق — أن للشعر الأندلسي الاسلامي — حتى في موضوعاته التقليدية — صفات ومميزات خاصة تفرق بينه وبين أدب العرب المشاركة . سببت ذلك مسيات كثيرة يذكر منها التأثير الاسباني في شعر الأندلس العربي وبورد بعض سطور من شعر ابن قريش

Charles Saltertrique, *Peuples : L'amour en Orient et en Occident, les origines* (١)
arabes de l'amour courtois.

Henri Peres, *La poésie arabe d'Andalousie et ses relations possibles avec* (٢)
la poésie des troubadours.

الشيعة الدينية المعروفة في إيران باسم التعزية والتي تمثل مصرع الحسين ، يقول الكاتب في هذا المقال أن دراسة هذا الفن من فنون الشعر الفارسي تحتاج الى أن يتقطع إليها عالم من علماء الدراسات الفارسية .

وفي مقال قيم عن « الفنون المغربية » يتحدث الكاتب بيير فيلين (٤) عن فنون الاسلام ، ويقتبس في عرض حديثه عن التصوير الاسلامي هذه الفقرة من كلام بول فاليري ، عما يقال من منع الاسلام لتصوير الاحياء: « انني أحب هذا المنع . إنه ينقي الفن من عبادة الأصنام ومن مجرد التقليد الساذج للطبيعة والحياة ، ينقيها من الخداع والتغوير ومن كل ما هو ليس بقوى في الفن ولا خالص . »

نلتفت بعد هذا إلى مقالات الكتاب العرب في هذا العدد ، فنجد فيه دراسة عن أحوال المرأة المسلمة للأستاذ حليمة بن عايد H. H. Benabed وصفتين للدكتور فراج عن « حكماء الاندلس وقسم أبقراط » وقصة مراكشية للأستاذ أحمد سقرىوى تمتاز بقوة الوصف وانطلاق الخيال .

ونريد أن ننوه بمساهمة الكتاب المصريين في هذا العدد فنذكر دراسات الدكتور محمد حسين هيكل ياشا في أسباب عدم التفاهم بين أوروبا والعالم الاسلامي وطرق ملاقة ذلك ، والدكتور طه حسين بك في الاتجاهات الدينية في الأدب المصري الحديث ، وإلى دراسة الأستاذ توفيق الحكيم

المقال الذي يلي هذا مختلف في طبيعته كل الاختلاف عن هذه الدراسة ، يخصصه الأستاذ ج. ه. بوسكيه (١) لدراسة الشريعة الاسلامية ، وقد قسم الكاتب مقاله إلى خمسة أقسام تعرض في أولها باختصار إلى ماهية هذا القانون الاسلامي ، وانتقل في ثانياها إلى دراسة تطبيق الشريعة في البلاد الاسلامية قبل اتصالها بأوروبا ، وفي القسم الثالث يدرس المؤلف الفقيه آثار التفكير والحياة الاقتصادية الأوروبية في بلاد ثلاثة انحسر عنها سلطان الشريعة الاسلامية وهي بلاد روسيا وتركيا وألبانيا ، وفي القسم الرابع يدرس الكاتب أحوال بلاد تطورت فيها الشريعة الاسلامية دون أن يضيع سلطانها ضياعاتا ، وهي مصر ويوغوسلافيا والمهند البريطانية وأفريقيا الشمالية الفرنسية ؛ والقسم الخامس هو ختام هذا المقال يقول فيه الكاتب إن دراسة الشريعة الاسلامية وتنظيم العمل يتبعى أن تقوم على دراسة دقيقة لأحوال الاجتماعية في البلاد الاسلامية ، لأن القانون دائما وكما هو معلوم مظهر من مظاهر حياة الجماعة التي تتوافق عليه وتخضع له .

وقد خص هذا العدد الأدب الفارسي بمقالين أحدهما للأستاذ هنري ماسيه (٢) عن الأدب الفارسي في الوقت الحاضر ذكر فيه الكاتب أسماء كثيرة العدد ولكنها قليلة الغناء للقارئ العادي الذي لم يتخصص في شئون إيران ، وثانيهما للأستاذ جان هيتيه (٣) عن المأساة الدينية في الفارسية ، وهو عرض سريع للتشكيلات

(١) G. H. Bousquet, *Évolution juridique des populations musulmanes*

(٢) Henri Massé, *La littérature persane d'aujourd'hui*

(٣) Jean Hytier, *Vie et mort de la tragédie religieuse persane*

* Pierre Féline, *Arts maghrébins* (٤)

عن الأدب العربي في ربع القرن الأخير ،
 وإلى القصة الرشيدة التي كتبها الأستاذ
 بشر فارس .
 ونحن نصل الآن إلى المثال الذي يعتم به
 الأستاذ أميل درمنجيم أبحاث هذا العدد
 الممتاز حقاً . عنوان هذا المقال هو « ملاحظات
 عن القيم الدائمة والقيم الحالية في الحضارة
 الإسلامية » ولنلخص للقارئ العربي
 رأي الأستاذ درمنجيم في المسلمين نذكر له
 أن الكاتب قد اقتبس في مقاله الافتتاحي
 هذا قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة
 وسطاً لتكونوا شهداء على الناس . »

أمينه طه حسين

مسابقات محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية

الجائزة الثانية : خمسة وعشرون جنيهاً فلسطينياً .

الجائزة الثالثة : خمسة عشر جنيهاً فلسطينياً .

وترسل هذه الجوائز إثر إذاعة النتائج مباشرة .

*

يسر محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية أن تعلن فيما يلي شروط مسابقة للتمثيلية وهي المسابقة الثالثة من سلسلة مسابقاتها الأدبية لهذا العام .

١ - يشترط أن يعالج موضوع التمثيلية مشاكل الجهل والفقر والمرض في الشرق الأدنى .

٢ - يجب أن تكون مدة التمثيلية ثلاثين دقيقة وأن تكتب باللغة العربية الفصحى وبأسلوب خاص بالإذاعة .

٣ - ترسل التمثيلية مطبوعة أو مكتوبة بخط واضح على أربع نسخ برسم « مسابقة التمثيلية » لتصل إلى المحطة قبل يوم ١٥ مارس (أيار) .

ويشترط ألا يكتب المرسل اسمه على أي من هذه النسخ بل يرفق اسمه وعنوانه كامليين على ورقة منفصلة .

٤ - التمثيليات الفائزة بالجوائز ملك للإذاعة حتى لها أن تمثلها وتذيعها كما تشاء ولا يحق لأصحابها التصرف بها من حيث نشرها أو إذاعتها أو بيعها إلى محطة إذاعة أخرى .

وتبقى هذه التمثيليات ملكاً للإذاعة مدة ثلاثة أشهر من تاريخ أول مرة تذاع فيها ، وتستشار المحطة بعد ذلك إذا شاء المؤلفون التصرف بها .

٥ - تعلن نتيجة المسابقة في جلسة مذاعة يوم الجمعة ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ .

٦ - جوائز التمثيليات الفائزة هي كما يلي :
الجائزة الأولى : خمسون جنيهاً فلسطينياً .
الجائزة الثانية : ثلاثون جنيهاً فلسطينياً .
الجائزة الثالثة : عشرون جنيهاً فلسطينياً .
وترسل هذه الجوائز إثر إذاعة النتيجة .

محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية تجري مسابقة جديدة للقصة .

شروط القصة :

١ - يجب أن يكون موضوع القصة مستمداً من البيئة العربية ، ويشترط أن تكون القصة نفسها قد كتبت خصيصاً لهذه المسابقة ، وألا تكون مترجمة أو مقتبسة أو منشورة أو مذاعة من قبل ، ولا تقبل القصص التي سبق أن دخلت مسابقتي القصة الماضيتين التي أجريتهما المحطة .

٢ - يجب أن لا تزيد القصة على أربع صفحات عادية حجم (فولسكيب) وألا تقل عن ثلاث ، هذا إذا كانت مطبوعة على الآلة الكاتبة ، أما إذا كانت مكتوبة باليد فيجب ألا تزيد على خمس صفحات (فولسكيب) وألا تقل عن أربع .

٣ - يشترط أن ترسل القصص برسم « مسابقة القصة » لتصل إلى المحطة في موعد لا يتجاوز ٢٥ مارس (آذار) ١٩٤٨ وأن تكون مطبوعة على أربع نسخ على الأيدي الكاتبة اسمها على أي من هذه النسخ بل يرفق اسمه وعنوانه مكتوبين على ورقة منفصلة . ولا ترفض القصص المكتوبة باليد على أربع نسخ وبخط واضح .

٤ - لا تعاد القصص المرسلة إلى هذه المسابقة سواء فازت أم لم تفز .

٥ - تحتفظ المحطة بحق إذاعة ونشر القصص الفائزة دون مقابل ولا يحق لصاحبها التصرف بها قبل مضي ثلاثة أشهر على تاريخ إذاعة النتائج .

٦ - تعلن لجنة التحكيم التي ستعلن أسماء أعضائها بعد اليوم الأول من شهر شباط (فبراير) القصص الفائزة وكلة عامة عن أعمالها وملاحظاتها في جلسة مذاعة يوم الجمعة ٢٨ مايو (أيار) ١٩٤٨ .

٧ - جوائز القصص الفائزة هي كما يلي :
الجائزة الأولى : أربعون جنيهاً فلسطينياً .

أصدرت دار اللآئب المصرى بأشراف الدكتور طه حسين بك

مدونة جوستنيان فى الفقه الرومانى

INSTITUTES DE JUSTINIEN

نقله إلى اللغة العربية معالى عبد العزيز فهمى باشا

٢٨ + ٤٠٩ صفحة ثمن النسخة المجلدة ١٥٠

العقيدة والشريعة فى الاسلام

للمستشرق الكبير اجناس جولدتسيهر

نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، عبد العزيز عبد الحق المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر، على حسن عبد القادر دكتور فى العلوم الاسلامية، مدير المركز الثقافى الاسلامى بلندن

١٦ + ٣٨٨ صفحة الثمن ٨٥

كتاب البخلاء للجاحظ

حقق نصه وعلق عليه طه الحاجرى مدرس الأدب العربى بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٥١ + ٤٦٨ صفحة الثمن ١٠٠

قطوف لعبد العزيز البشرى

مع مقدمة لطله حسين

الجزء الأول ١٦ + ١٩٦ صفحة، الجزء الثانى ٨ + ١٩٦ صفحة ثمن الجزء ٢٠

البيت السبكى

بيت علم فى دولتى الماليك

تأليف محمد الصادق حسين بك

٩٦ صفحة الثمن ٢٥

تأريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط

تأليف الأستاذ يوسف كرم مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٨ + ٢٦٦ صفحة الثمن ٥٠